



مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon - Tripoli /Abou Samra Branche P.O.BOX - www.jilrc.com - literary@journals.jilrc.com



[ISSN 2311-519X](http://www.jilrc.com)

العام الثامن - العدد 73 - ديسمبر 2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية

ISSN 2311-519X

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا



Lebanon - Tripoli / Abou Samra Branche P.O.BOX - www.jilrc.com - literary@journals.jilrc.com

المشرفة العامة: أ.د. سرور طالبی

المؤسسة ورئيسة التحرير: د. غزلان هاشمي

هيئة التحرير:

- أ.د. شريف بموسى عبد القادر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان / الجزائر.
أ.د. أحمد رشاش جامعة طرابلس / ليبيا.
د. لحسن عزوز، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
د. مصطفى الغرافي، جامعة عبد المالك السعدي / المغرب.

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. الطاهر رواينية، جامعة باجي مختار/ الجزائر

اللجنة العلمية:

- أ.د. إحسان يعقوب حسن الديك، جامعة النجاح الوطنية / فلسطين.
أ.د. أمينة بلعلي جامعة مولود معمري، الجزائر.
أ.د. أمين مصبرني، المدرسة العليا للأساتذة/وهران، الجزائر.
أ.د. دين العربي، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة / الجزائر.
أ.د. ضياء غني لفته العبودي، ذي قار/ العراق.
أ.د. عبد الوهاب شعلان، جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر.
أ.د. محمد جواد حبيب البدراني، جامعة البصرة / العراق.
أ.د. مداني زيقم جامعة سوق أهراس.
أ.د. منتصر الغضنفری جامعة الموصل / العراق.
د. كريم المسعودي جامعة القادسية / العراق.
د. مليكة ناعيم، جامعة القاضي عياض / المغرب.

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. عبد الجليل منقور، جامعة عين تموشنت، الجزائر
د. سليم سعدي، جامعة برج بوعرييج، الجزائر
د. عبد الرحمان إكيدر، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب
د. عبد القادرين فرح، جامعة سوسة، تونس
د. علي خلف العبيدي، جامعة ديالى، العراق
د. فيصل أبو الطفيل، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب

التعريف:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي وتعني بالدراسات الأدبية والفكرية بإشراف هيئة تحرير ولجنة علمية ثابتة مشكلة من أساتذة وباحثين من عدة دول وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

ينفتح الخطاب الفكري والأدبي على عدة اعتبارات، ويتموضع ضمن سياق سوسيو ثقافي وسياسي، يجعل من تمثلاته تأخذ موضوعيات متباينة، فبين الجمالي والفكري مسافة تماس وبين الواقعي والجمالي نقاط التقاء تكشفها المواقف، وإيمانا منا بأن الحرف التزام ومسؤولية، وبأن الكلمة وعي وارتقاء، فإن مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية المجلة الأكاديمية الدولية المحكمة والتي تختص بنشر البحوث الأدبية والمقاربات النقدية والفكرية تسعى لأن تقدم جديدا إلى الساحة الفكرية العربية.

الأهداف:

- نشر المعرفة الأصيلة، وتعزيز الحوار العلمي العقلاني من خلال نشر الرأي والرأي المخالف.
- تلبية حاجات الباحثين وطلبة العلم سواء من ناحية الاكتفاء المعرفي في مواضيع محددة تتماشى وهدف المجلة أم من ناحية النشر وتشجيع البحوث الرصينة والمبتكرة.
- خلق وعي قرأني حدوده التمييز بين الكلمة الأصيلة والكلمة المبتذلة التي لا تقدم جديدا في ظل استسهال النشر مع المتاحات الالكترونية.



مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية

شروط النشر



مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية مجلة علمية دولية محكمة تختص بنشر البحوث الأدبية والمقاربات النقدية والفكرية، تصدر شهرياً عن مركز جيل البحث العلمي، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد. تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية:

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.

• أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية والانجليزية.
- اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها باللغة العربية والانجليزية.
- البريد الإلكتروني للباحث.
- ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12 باللغة العربية والانجليزية.
- الكلمات المفتاحية بعد الملخص باللغة العربية والانجليزية.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
- تكتب العناوين الرئيسية والفرعية بحجم 18 نقطة مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفاً مختصراً بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك.
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها وهي غير ملزمة بتقديم مبررات.

• ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة: literary@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • العجائبي وتأويله في النصوص التأسيسية الفرنسية والألمانية: علي السيارى، جامعة منوبة، تونس.
- 23 • المبدع الاسباني ماكس أوب، شاهد على العصر: الشعبي إدريس. جامعة القاضي عياض. المغرب.
- 35 • التكامل المعرفي في المعجم العربي بين القديم والحديث: أمبرز. إدريس شريقي علوي، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين مراكش أسفي، المغرب .
- 47 • النظرية الدلالية في السياق المعرفي: مبادئ وقيود: أحمد راسم خولي، جامعة ابن طفيل/المغرب .
- 61 • قراءة في نظرية الحس الصوتي في تعليم النحو العربي: سليم عواريب. بالمركز الجامعي ميله. الجزائر.
- 75 • ماهية الكناية في البلاغة العربية: نبيل الهومي، جامعة القاضي عياض، مراكش .
- 83 • جماليات الخطاب في الحديث النبوي الشريف: منصور محمد احمد يوسف، جامعة المدينة العالمية (ميديو) – ماليزيا.
- 95 • طرائق تدريس اللغة العربية، إستراتيجية قبعات التفكير الست: ربعة محمد، جامعة حلب، سورية.
- 115 • الكتابة الأكاديمية وتجربة كلية اللغات والإدارة في تعليمها عن بعد خلال جائحة كورونا في الفصل الدراسي الثاني 2020-2021م: محمد عبد الرحمن إبراهيم، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا .

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله: ".....فينبغي أن نفهم نحن ويفهم أبنائنا أن اللغة العربية هي رأس المال الذي تجب المحافظة عليه، وأن اللغات الأجنبية هي ربح فلا تعطى من العناية ولا من الوقت إلا ما لا يزاحم لغتنا الأصيلة ولا يبتليها بالضعف ولا يمس قدسيته عندنا".

في اليوم العالمي للغة العربية ارتأينا إصدار هذا العدد احتفاءً بها وتأكيداً على أهميتها وعلى كونها مكوناً هويتياً لا يمكن للذات أن تنفصل عنها.

إن الانخراط في عملية الدفاع عن اللغة العربية ليس من قبيل الترف أو الدعوة إلى التمركز والانغلاق على الذات، وإنما هو دعوة لرؤيتها - أي الذات - في ضوء الآخر والعكس مع احترام الخصوصيات الحضارية والحفاظ على مقوماتنا، وهو دعوة إلى الاعتزاز بها وتعميم استعمالها دون عقدة نقص، خاصة ونحن اليوم نشهد استعارات تليفقية تعبر عن اختلافات على مستوى الوعي وعن اعتلال على مستوى الإدراك وهو ما يستوجب مراجعة الكثير من المفاهيم والمقولات المستوردة التي تهدف إلى النيل من كل ما هو من صميم الهوية.

في هذا المقام لا يسعنا إلا أن نبارك للمشاركين بنشر بحوثهم في هذا العدد المميز، وأن نشكر كذلك أسرة المجلة بكل كادرها على جميل التعاون وروعة التفاني تحكيماً وتقويماً.

رئيسة التحرير: د. غزلان هاشمي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

العجائبيّ وتأويله ، في النصوص التأسيسية الفرنسية والألمانية

The fantastic and its interpretation in the French and German foundation texts

علي السيارى، جامعة منوبة، تونس Ali Sayari, University of Manouba, Tunisia

ملخص:

يعدّ تمثّل العجائبي لدى كُتّاب القصة والرواية نوعا من الفهم والتأويل له أي تحديدا لمعانيه ودلالاته وشروطه وضبطا لحدوده ولعلاقاته بالمفاهيم المجاورة له مثل العجيب والغريب واللامعقول والخرافي والسحري والأسطوري، وذلك دون تقديم نظرية نقدية متكاملة حوله مثلما يفعل، عادة، النقاد.

ولا يمكن الجزم بأنّ العوالم المفارقة التي يقدّمها الكُتّاب في أعمالهم الأدبية غايتها فنية بحتة أو أنّها مجرد تحليلات لخيالاتهم، لأنّ تلك العوالم يمكن أن تطرح قضايا وأسئلة فلسفية متعلّقة أساسا بالوجود الإنساني وبرؤية العالم. وبناء على ذلك، يختلف فهم العجائبي من مدرسة إلى أخرى، ومن كاتب إلى آخر، مثلما قد يختلف الفهم لدى الكاتب نفسه من قصة أو رواية إلى أخرى.

الكلمات المفتاح:

العجائبي، الفهم، التأويل، التأسيس، الأدب الفرنسي، الأدب الألماني

Abstract:

Novelists, Authors and writers think that the miraculous is just an interpretation and understanding to its meanings. It adjusts its limits and shows the relations with other concepts like the absurd, the fabulous, the magic and the legendary without giving a critical theory about it like what critics usually do. In addition, nobody could confirm that the writers aim of what they present in their literature as paradoxical realms is purely artistic or only a reflection of their imagination. This is because those realms could raise philosophical issues related basically to human existence and the world vision. Thus, understanding the miraculous differs from a study to another study or from an author to another the same way a writer understands a story or a novel in different ways.

تمهيد:

تفطن كُتّاب الرواية في الغرب إلى أهمية اعتمادها على الخيال، وذلك منذ نشأتها، حيث إنَّها لم تكتف بتمثيل الواقع ورسمه في حدود العقل والطبيعة، بل اعتمدت على الخيال، وبحثت في الأفاق عن عوالم أخرى مفارقة للواقع والمألوف. ولذلك تزخر المدونة الروائية الغربية بالمنزع العجائبي منذ النشأة إلى اليوم، غير أن ذلك المنزع يختلف من عصر إلى آخر ومن كاتب إلى آخر. وهنا، يمكن القول إنَّ الرواية في الغرب مرّت بمراحل مختلفة ومتعاقبة في علاقتها بالعجائبي، حيث نرصد في كل مرحلة مرجعيّات وروافد تراثية وفكرية وفلسفية معيّنة ينهل منها الأدب العجائبي.

ولقد كان للروائيين فهم مخصوص للعجائبي واشتغالاته السردية، وهو فهم يختلف من روائي إلى آخر بحسب اختلاف الأفكار والرؤى للعالم والزمن، غير أن الواضح أنّ تمثّلهم للعجائبي وفهمهم له قد تطوّر من زمن إلى آخر، ومن عصر إلى آخر، خاصّة أنّ كلّ ذلك ارتبط بنظريات فلسفية مؤثرة في مجال الكتابة الأدبية. ولعلّ من شأن ذلك أن يؤكّد حيوية مفهوم العجائبي وقابليّته لأنّ يكون متعدّد الأوجه نظرا إلى مرونته وارتباطه بمفاهيم أخرى تكاد تتقاطع معه أحيانا وتكون مرادفة له. ولا يمكن حصر تمثّل العجائبي لدى كُتّاب العصر الحديث لأنّ العجائبي كان حاضرا أيضا في آداب العصور القديمة خاصة الأدب الإغريقي الذي يقوم أساسا على توظيف الميثولوجيا، ومن ذلك الإلياذة والأوديسة لرائد الآداب العالمية هوميروس و"الحمّار الذهبي" لأبوليوس. وكان حاضرا، أيضا، في العصور اللاحقة سواء في الآداب الغربية أو حتى الآداب الشرقية ومنها الأدب العربي القديم، ولذلك فإنّ تحديد فهم كلّ روائي للعجائبي وتأويله لمعانيه يمرّ حتما عبر تحديد العصر الذي عاش فيه.

والملاحظ أنّ عددا كبيرا من الأدباء والمبدعين خاصّة في الغرب كانت لهم تمثّلات طريفة للعجائبي، وكان لهم فهمهم المخصوص للسرد العجائبي. ومن هذا المنطلق كانت كتاباتهم وأعمالهم الأدبية والإبداعية ملهما لغيرهم من المبدعين للاقتداء بهم، والنسج على مناويلهم. وهو ما يعني أنّ بعض كُتّاب العجائبي أسّسوا مدارس أدبية، وكانت لهم تمثّلات ورؤى خاصة لكيفية التعامل مع العجائبي في الأدب. ولقد لاحظنا أنّ تلك المدارس جاءت متعاقبة زمنيا بدءا من القرن الثامن عشر، وهو القرن الذي شهد الميلاذ الفعلي والحقيقي للعجائبي. وفي هذا السياق سنركّز بحثنا على النصوص العجائبية التأسيسية في الأدب الفرنسي والأدب الألماني، وذلك لأهميتها وتأثيرها في رسم ملامح التيار العجائبي منذ النشأة إلى اليوم.

1- الرواية الرومنطيقية الألمانية:

1-1- العجائبي الرومنطيقّي:

لم يقتصر المذهب الرومنطيقّي في الأدب على جنس الشعر فحسب، بل إنّ فنّ القصة نحا بدوره منحنى رومنطيقيا منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وقد مثّل بعض الروائيين الألمان في تلك الفترة صوتا رافضا للتيارات الأدبية السائدة وأبرزها الكلاسيكية، وقد ساندتهم في ذلك أبرز الشعراء في ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر مثل كوليريدج Coleridge (ت. 1834)، شليغل Schlegel (ت. 1829)، ووردزورث Wordsworth (ت. 1850) ونوفاليس Novalis (ت. 1801).

ومن أبرز الروائيين الذين مثّلوا الاتجاه الرومنطيقّي العجائبي في الرواية الألمانية، آنذاك، نجد لودويغ تياك Ludwig Tieck (1773-1853) وأشيم فون أرمين Achim Von Armin (1781-1831)، فضلا عن الكاتب الذي حقّق شهرة عالمية واسعة في مجال العجائبي وهو أرنست ثيودور أمادوس هوفمان. وقد حاول هؤلاء التصديّ للكلاسيكية التي ميّزت الأدب قبيل عصرهم خاصّة في ألمانيا وفرنسا، ومن هنا فإنّ كلمة "رومنتيك" أو رومنطيقّي (Romantique) كانت تعني غير الواقعيّ والمحال، ومتجاوز الحدّ أيّ

مضادًا للكلاسيكية¹. وفي هذا السياق، تعدّ رواية "حياة السيد سيب الدوس نوتانكر وأراؤه" للكاتب كريستوف فريديريش وليام نيقولاوي (1733-1811)، والتي كتبها سنة 1776، أبرز الروايات التي تمثل التيار الأدبي السائد آنذاك في ألمانيا وهو التيار الكلاسيكي الذي رسخته فلسفة الأنوار.

وتعني الكلاسيكية في منظور رواد الرومنطيقية اتجاها أدبيًا كان قد ساد خاصّة أثناء عصر الأنوار. وهو متمثّل في الأدب الأخلاقي الذي يقدّم مواعظ وتعاليم دينية وتربوية. والمعلوم أنّ فلاسفة الأنوار قد رسّخوا الأدب الأخلاقي والتربوي، ودعوا إلى التقيد الإبداعي به، حيث إنهم حاربوا الاهتمام الفنيّ بالأساطير والخرافات والأشباح، ونظّروا لأدب يعلي من قيمة العقل والتأمّلات الفلسفيّة، ويقدمّ الواقع على ما وراء الواقع كي يركّز، فقط، على المواعظ والإرشاد والتربية الأخلاقية والتفكير المنطقي العقلاني والتجريبي.

ولقد انضافت إلى جهود الكتّاب والشعراء الألمان في التأسيس إلى مذهب معاد للكلاسيكية جهود أخرى بذلها الفلاسفة الذين انتقدوا عصر الأنوار، ورأوا فيه "اغتيالاً" للخيال. ومن هؤلاء الفيلسوف الألماني فيشته Fichte (ت. 1814) الذي قام انطلاقاً من 1793 بنشر أفكاره المرتكزة حول مثاليّة الإدراك الذاتي واستقلالية الوعي، وذلك في جامعة بينا Université d'Éna. ولقد استطاع فيشته أن يؤثّر في رواد الرومانسية الذين "وضعوا الروح فوق الواقع، وأمنوا بأن قوى الإبداع الشعاعية والخيال هي التي علمها أن تحدّد معالم الحياة"².

وبناء على ذلك، فإنّ الرومنطيقية اهتمت بالخلود وأهواء الإنسان اللامحدودة واللاوعي والحلم، وأعلنت من شأن الغيب والشيطان وحطّمت الحواجز بين الإيمان والعلم، وأيضا بين الفنّ والدين، وتطلّعت إلى الشموليّة في الفنّ. ولم تكن الدعوة إلى إعادة القيمة الفنية والأدبية للخيال والأحلام في الأدب الألماني في نهاية القرن الثامن عشر وليدة فراغ أو رغبة في النسخ على منوال الأدب البريطاني في تلك الفترة (وهو الذي نحا منحى عجائبياً من خلال الرواية القوطية)، بل إنّ تلك الدعوة هي وليدة تأثر بكتاب "ألف ليلة وليلة" الذي اطلع عليه الألمان بعد ترجمته إلى لغتهم مباشرة بعد أن ترجمه أنطون قالان إلى الفرنسية عام 1717. و"لقد حمل كتاب ألف ليلة وليلة كثيراً من قضايا الرومنطيقية، ومنها الهروب من واقع الحياة إلى عالم خيالي وسحري، ومنها السخرية من الملوك، ومنها ترجيح العاطفة على العقل في الاهتمام إلى الحقائق الكبرى"³. ويعني ذلك أنّ كتاب "ألف ليلة وليلة" كان له الفضل على ظهور الرواية العجائبية الرومنطيقية في ألمانيا بعد أن كان له الفضل أيضاً على ظهور الرواية القوطية بريطانيا.

ويعدّ كل من هوفمان وتياك وأرمين أبرز رواد الاتجاه الرومنطقي في الأدب الألماني، بل إنهم كانوا يمثّلون أعمدة رئيسة للرومنطيقية الأوروبية. ولقد أسهموا بشكل كبير في التأسيس إلى الرواية العجائبية الرومنطيقية والتمهيد للتيار العجائبي الذي ازدهر وأضحى السمة الأبرز للأدب الأوروبي والعالمي في القرن التاسع عشر. وهو ما يعني أنّ الرومنطيقية التي ظهرت في ألمانيا في نهاية القرن الثامن عشر ساهمت في تبلور العجائبي وإرساء قواعده⁴. ولذلك فقد شهدت ألمانيا الميلاد الحقيقي لهذا التيار الأدبي (أي العجائبي). ويعود ذلك إلى توقّرها على مناخ فكري أعاد للخيال مكانته المفقودة، وأرجع للأحلام دورها في فهم الواقع والحياة

¹ - تاريخ الآداب الأوروبية : مؤلّف جماعي، ترجمة : صياح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط 1، 2002، ج 3، ص. 196.

² - كورت روتمان، تاريخ الأدب الألماني، ترجمة : سليمان عواد، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1989، ص. 101.

³ - محمد هلال غنيمي، الأدب المقارن، دار الثقافة، بيروت لبنان، د ت، ص. 222.

⁴ - Paul Van Tieghem, *Le romantisme dans la littérature européenne*, Ed. Albin Michel, Paris, 1948, P. 491.

فكان الظهور الفعلي للعجائبي في البيئة التي توفرت على حركة رومنطيقية ذات فاعلية¹. والملاحظ أنّ شهرة هؤلاء الرواد لم تكن هي نفسها لدى كل واحد منهم، ذلك أنّ هوفمان فاق تياك وأرمين شهرة، وهو يكاد يحتكر لنفسه مجهودات كلّ الرومنطيقيين الأوائل في إرساء اتجاه أدبي جديد مغاير للنمط الكلاسيكي نظرا إلى النجاح الكبير الذي لقيته مؤلفاته الأدبية وتأثيره البالغ في الجيل اللاحق من كتّاب العجائبي.

1-2- تأثير هوفمان في تطوّر العجائبي:

لا يمكن دراسة الأدب العجائبي دون تخصيص حيّز من البحث للكاتب الألماني هوفمان، فهو يُعتبر أعظم أدباء التيار العجائبي، وأكثرهم أهمية على الإطلاق، ليس لغزارة إنتاجه القصصي والروائي فحسب، بل لأهميته ما كتبه ودوره في التأثير في العجائبي الذي انتشر بكثافة في القرن التاسع عشر خاصّة في فرنسا حيث ازدهر العجائبي وأضحى سمة الأدب في ذلك العصر.

ولقد كان لهوفمان، أيضا، تأثير في مجالات مهمّة من العلم والفلسفة، ذلك أنّ كتاباته تتضمّن تأملات فلسفية، وهي تنبني على سبر الأغوار الداخلية للذات الإنسانية. ولعلّ ذلك ما جعلها تؤثر تأثيرا بالغا في أهمّ نظريات علم النفس التحليلي بدءا بنظريات فرويد (1856-1939) الذي ألف كتابه المعروف "الغربة المقلقة" انطلاقا من نصوص أدبية مشهورة منها نصوص الكاتب الأمريكي إدغار آلان بو، وكذلك نصوص هوفمان وتحديدا روايته "رجل الرمال" التي مثلت إحدى الموادّ الأساسية لدراسات فرويد ولنظرياته في علم النفس. ويصنّف فرويد الكاتب الألمانيّ هوفمان ضمن أهمّ أدباء العجائبي على الإطلاق ويصفه بكونه "السيد الأوّل للغربة في الأدب العجائبي"².

وقد كان هوفمان في سنوات شبابه منجذبا إلى الموسيقى، ومهتماً بالنقد الموسيقي بين سنوات 1809 و1814 خاصة أنّ له موهبة كبيرة في العزف والغناء، وهو مهتمّ أيضا بكل الفنون التشكيلية من رسم وتخطيط معماري³، ولذلك تحفل كتاباته بأنواع من الفنون أبرزها الموسيقى والنحت والتصوير. وكذلك، تحضر في كلّ قصصه، حضورا كثيفا، الشخصيات التي تستهلك الكحول والمخدرات، والشخصيات الهامشية التي تحمل كل المتناقضات والمصايب بالعقد النفسية، والتي يكون لها أحيانا نزعة كبيرة نحو الشرّ وارتكاب العنف وممارسة كل أنواع الشذوذ. وتتظافر هذه المكونات لتؤكد نزعة الجنون التي تميّز شخصيات قصص هوفمان، وهي نزعة ميّزت الكاتب في حدّ ذاته باعتباره انتهى إلى الجنون في آخر أيام حياته، حيث إنّه قضّى بقية عمره في مستشفى للأمراض العقلية⁴. ويرتكز العجائبي في قصص هوفمان على طبيعة الجنون والانفصام في الشخصية والذهان والاكْتئاب. ونجد في قصص هوفمان وجهة نظر واحدة تتلخّص في الرؤية السوداوية للعالم والتشاؤم، حيث كانت "كلّ قصصه تحفل بالفشل الجنسي والقدرة التراجيدية"⁵.

وتعدّ رواية "رجل الرمال" L'homme au sable التي نشرها سنة 1817 أبرز ما كتبه هوفمان. وهي رواية رومنطيقية تعتمد على ما سمّاه الناقد كولن ولسن "قوة الظلام" أي حضور كل عناصر الغربة والإحساس بالخوف والهلع في أحداث الحكاية. وتطرح

¹ - Michel Viegnes, *Le fantastique*, Ed, Flammarion, Paris 2006, P. 83.

² - Sigmund Freud, *L'inquiétante étrangeté et autres essais*, Ed. Gallimard, Paris, 1985, P. 234/ 235

³ - *Patrimoine littéraire européen, Tom 10* (ouvrage collectif), Anthologie en langue française sous la direction de Jean-Claude Polet, Ed. De Boeck université, Paris, Bruxelles, 1998, p 480.

⁴ - كولن ولسن : المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار الآداب، لبنان، ط6، 2001، ص. 172

ويمكن الاطلاع أيضا على :

Gwenhaél Ponnau, *La folie dans la littérature fantastique*, Ed. C N R S, Paris, 1990, P. 35/ 36

⁵ - كولن ولسن، المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ص. 173.

"رجل الرمال" قضايا فلسفية معقدة وشائكة تتصل أساسا بالروح الهائمة في المكان وفي العقل والوجدان، وتتصل بفكرة المراودة وظهور الأطياف.

وتتكرر في رواية "رجل الرمال" معاني الغرابة التي تزيد الحكاية تعقيدا وتمنعا عن الإلمام بالروابط بين أحداثها: "أدرك أنّ ذلك الطيف الذي أصابه بالرعب الشديد ربما يكون قد ظهر من داخل عقله هو، وأنّ كوبولا هذا قد يكون خبير بصريّات جديرا بالتقدير، ومتخصّصا في الميكانيكا، بارعا في مجاله، وليس بالضرورة أن يكون هو ذلك الطيف العائد بعد غياب أو ذلك القرين المتوهّم للبغيض كوبوليوس"¹. وتتجسّد في هذا المقطع من رواية "رجل الرمال" فكرة المراودة في أبرز تجلياتها، ذلك أنّ كوبولا الذي يعدّ أبرز شخصيات الرواية تبرز له روح أخرى، ويظهر في أمكنة أخرى رغم أنه يكون في الوقت ذاته في أحد الأماكن يحاور شخصية أخرى أو يقوم معها بفعل ما، ويظهر باسم مشابه للأول وهو "كوبوليوس" فيكون قرينا له ويتوحد معه في الشخصية إلاّ أنّه لا يظهر معه في المكان نفسه.

والحق أنّ فكرة القرين شكّلت سؤالاً فلسفيا طرحه عدد من كتّاب الأدب العجائبي بدءا بالرواية الرومنظقية وانتهاء بالخيال العلمي والقوطنيّ الحديث. ولقد عالج الناقد الأمريكي أندرو ويبر فكرة القرين في كتابه "القرين: الرؤى المزدوجة في الأدب الألماني" الصادر سنة 2003، حيث طرح ويبر تسع مسلمات يعتبرها ضرورية لفهم جوهر فكرة القرين والازدواجية في الأدب والسينما². وإلى جانب ذلك فإنّ سيقموند فرويد كان، بدوره، قد أطنب في تحليل فكرة القرين في الأدب معتمدا أساسا على رواية هوفمان "رجل الرمال"، فخلص إلى أنّ فكرة القرين هي جوهر الغرابة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالعجائبي. ولقد أشار شاكر عبد الحميد في دراسته الطريفة والمستفيضة لقضية "الغرابة" إلى أنّ "نصّ هوفمان (رجل الرمال) سيطر على فرويد وتلبّسه، هيمن عليه، انتابه، تكرر ظهوره لديه، حضر على الرغم من غيابه"³.

2- الرواية العجائبيّة الفرنسيّة:

عرف العجائبيّ ميلاده الحقيقيّ وأوج ازدهاره في القرن التاسع عشر رغم أنّ القرن الثامن عشر شهد بدوره، خلال نصفه الثاني، كتابات عجائبية ظهرت في بريطانيا، وهي متمثلة في الاتجاه القوطنيّ، وبدرجة أقلّ وبتأخّر زمني (تحديدا عند نهاية ذلك القرن وبداية القرن الموالي) في ألمانيا حيث ظهرت الكتابات العجائبيّة ذات الاتجاه الرومنظقي.

ولقد كان للفلسفة تأثير مباشر على نوعيّة الكتابة الأدبية في أوروبا، لأنّها قامت بتوجيهها، وفرضت الوصاية عليها. ومن ذلك أنّ فلسفة الأنوار التي ظهرت خاصّة بفرنسا، سعت إلى توجيه الإبداع الأدبي، فحاربت الأسلوب الذي يوظّف الخرافات والأساطير والحكايات الشعبيّة والعقدية. ولذلك، فإنّ الأدب الفرنسي كان خاضعا إلى سطوة فلسفة الأنوار على امتداد القرن الثامن عشر، وذلك على عكس الأدبين البريطاني والألماني اللذين لم يكن تأثرهما كبيرا بتلك الفلسفة رغم الصدى المعرفي الذي لقيته في بريطانيا وألمانيا.

ويبدو أنه، بدءا من العقد الأول من القرن التاسع عشر، طرأ على الأدب الفرنسي تغيير في الأسلوب وفي نوعية المواضيع التي يتناولها، حيث أضحي تأثيره واضحا بما يُكتب من روايات وقصص في بريطانيا (التيار العجائبي القوطني) وفي ألمانيا (التيار العجائبي

¹ - إرنست تيودور هوفمان، رجل الرمال، ترجمة شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، الكويت، العدد 384، يناير 2012، ص. 257

² - للمزيد من التوسّع حول فكرة "القرين" في الأدب، ينظر:

شاكر عبد الحميد، "الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب"، عالم المعرفة، الكويت، العدد 384، يناير 2012، ص. 183

³ - ينظر المرجع نفسه، ص. 312

الرومنطقي)، وهي قصص وروايات عجائبية تُعلي من شأن الأساطير والحكايات الشعبية، وتؤمن شخصياتها بالقوى الخارقة للطبيعة وتتصف بالجنون، وتمارس القتل والعنف. ولعل ما ضاعف من تأثر الأدب الفرنسي بهذا النوع القصصي الجديد هو ظهور فلسفات جديدة معادية لفلسفة الأنوار التي أضحت محل انتقاد شديد باعتبارها تعادي الخيال الأدبي وتحارب الإيمان الديني والتفكير الروحاني، وكانت أبرزها الفلسفة الانتقائية الروحانية التي ظهرت بفرنسا في بداية القرن التاسع عشر، وقد جاءت باعتبارها "رد فعل ضدّ الإيديولوجيا"¹. وقد رافقت عند ظهورها مرحلة الإصلاح والترميم أي محاولة استرجاع ما قامت الفلسفة التنويرية بإقصائه وإبعاده من الحياة الاجتماعية والأدبية مثل الدين والتصوّف والاعتقاد والتفكير في الله والغيب ونهاية العالم والبحث عن أسرار الكون خارج دائرة العقل، وهو ما يمكن تسميته بـ "الميتافيزيقا الروحانية التي تبحث عن التقاط الحقائق الروحانية الكونية وهي الله والنفس، انطلاقاً من التأمل الداخلي"².

ويعدّ فكتور كوزان (Victor Cousin) (1792-1867) المؤسس الأبرز للفلسفة الانتقائية الروحانية إلى جانب بيار لاروميقيار وبول رويير-كولارد اللذين تخصصا أكثر في فلسفة مشابهة وهي الإشراقية.

ولقد عقب الفلسفة الانتقائية الروحانية، تاريخياً، ظهور الفلسفة الدينية، وهي تعدّ أيضاً، نوعاً من ردّ الفعل ضد فلسفة الأنوار، حيث نشأت "في شكل حركة نبوية اجتماعية مرتبطة بشكل واضح بالإشراقية التي شهدها القرن الثامن عشر، وهي مرتبطة بالتجديد الديني"³. ومن أهمّ المؤسسين لهذه الفلسفة موريس بلانش (1776-1847) ودانواس كيركيغارد (1813-1815).

2-1- المحاولات الأولى:

استرجع التدين والإغراق في التفكير الروحاني مكانتهما في فرنسا في خضمّ ظهور فلسفات جديدة معادية لفلسفة الأنوار، حيث عاد، من جديد، الاهتمام بالماورائيات والأساطير والحكايات الشعبية العجيبة. وهو ما انعكس بشكل مباشر على الأدب الفرنسي الذي أصبح ينحو منحى عجائبي بعد أن كان غارقاً في المنحى التعليمي والتربوي الأخلاقي الذي رسّخته فلسفة الأنوار في فرنسا طوال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

ويعترف بعض النقاد الفرنسيين أنّ أدبهم لم يكن منشغلاً بالخيال، وأنّ أدباءهم لا يمتلكون القدرة اللازمة على التخيل السردي بسبب سيطرة العقلانية على تفكيرهم وتصوّرهم للإبداع⁴، وذلك على عكس أدباء بريطانيا وألمانيا الذين لم يتأثروا بالفلسفات العقلانية، ووجدوا أنفسهم في بيئة اجتماعية وثقافية وأدبية تعلي من شأن الخرافات والأساطير والروحانيات (وهنا يخصّ الأمر أكثر بريطانيا).

ولقد وجد الأدباء الفرنسيون أنفسهم متأثرين بالنوع القصصي الجديد الذي ما يزال ناشئاً بريطانيا متمثلاً في القصص القوطي، وبألمانيا متمثلاً في القصص العجائبي الرومنطقي، إلا أنّ محاولات الكتابة في هذا النوع القصصي الجديد كانت لها خصوصيتها بفرنسا، ولذلك فإنّ فهم أدبائها للعجائبي وتمثّلهم له وتأويلهم لمعانيه وجماليّاته لم يكن هو نفس الفهم والتمثّل الموجود عند كتاب القصص القوطية البريطانية أو القصص العجائبيّة الرومنطقيّة الألمانية.

ومن هذا المنطلق، فإنّ الكتاب الفرنسيين ممّن ألفوا في مجال العجائبي، كتبوا انطلاقاً من فهمهم للكون واستجابة لذائقة أدبية معيّنة، وهو ما لم يكن متوقفاً عند نظرائهم البريطانيين والألمان، حيث إنّ الأدباء البريطانيين الذين كتبوا الرواية القوطية

1 - Emile Bréhier, *Histoire de la philosophie. Tom VI (XIX siècle)*, Ed. Cérès, Tunisie, 1994, P. 87

2 - Ibid, P. 87

3 - Ibid, P. 284

4 - Franz Hellens, *Le fantastique réel*, Ed. SODI, Bruxelles, 1967, P. 12

لم يعيروا الواقع أية أهمية، ولذلك كان تركيزهم منصبا على الخيال في كليته، وعلى عالم اللامعقول والسحر والشعوذة وعودة الموتى والخراب والرعب، ولا يمكن الظفر بأي مرجعيات واقعية داخل قصصهم ورواياتهم، وهو الأمر نفسه لدى الأدباء الألمان الذين كتبوا الرواية الرومنظقية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، باعتبارهم قدّموا عوالم مشاهمة، إلى حدّ ما، لعوالم الرواية القوطية، وأضافوا إليها الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية ذات الجذور الألمانية.

ويبدو أنّ ذلك قد جعل الأدباء الفرنسيين، لحظة تلقّهم العجائبيّ البريطانيّ والألمانيّ، يفكّرون في ضرورة منح العجائبيّ الفرنسيّ صبغته الخاصة المتعلقة بالبيئة الاجتماعية والخيال الجمعي الفرنسيّ، أي أنّهم بحثوا أولا عن ضرورة تبيّنّيته. ولذلك، اعتبروا أنّ "العجائبيّ يجب أن لا يكتب اعتمادا على الحكمة التقليدية للقصص الأسطورية ولقصص الجنّيات، بل إنّه لا بدّ أن يعتمد على إقحام السرّ الخفيّ في الحياة الواقعية"¹، ومن هنا، فإنهم يعتبرون أنّ القصة أو الرواية لا بدّ أن تنطلق من مرجعيات واقعية مهما كانت درجة عجائبيّتها، وهو ما لم يكن معمولا به في التيارات القوطي والرومنظقي.

وفي هذا السياق، يمكن اعتبار شارل نودبي Charles Nodier (1780-1844) أوّل الكتاب الفرنسيين الذين ألفوا القصص والروايات ذات المنزع اللامعقول. ولم يكن نودبي يسعى إلى ترسيخ العجائبي في الأدب الفرنسي لأنه كان منشغلا بإعادة إحياء التراث الأدبي الشعبي الفرنسي وتوظيفه في الكتابة القصصية². ولقد شرع شارل نودبي في نشر قصصه بداية من 1806 في شكل محاولات إبداعية في مجال العجائبي، ثمّ كان نجاحه حين نشر سنة 1821 قصّته "سمارًا" Smarra. ولقد كان نودبي يبحث من خلال مثل هذه الكتابات القصصية عن تقديم رؤية جديدة للعالم، وعن معان أخرى للوجود الإنسانيّ مختلفة عن المعاني التي رسّختها فلسفة الأنوار التي تفهم الوجود بواسطة العقل دون غيره.

ورغم أنّ نودبي سعى إلى توظيف التراث الشعبي المحليّ الفرنسي في قصصه، فإنّه لم يكن مخلصا لذلك تماما، لأنّ العجائبي الذي انبنت عليه قصصه كان يضمّر بعدا رومنظقيًا. وهو ما يعني تأثره بالرومنظقية الألمانية التي ما تزال، آنذاك، نوعا أدبيًا ناشئا وغير معروف خارج ألمانيا. وفي هذا السياق، يعتبر الناقد لويس فاكس أنّ العجائبي عند شارل نودبي ينقصه النضج الفنيّ، وهو متأرجح بين أنواع شتى من الأدب الشعبي، وكذلك، يعتبره عجائبيا ممزوجا بقصص الجنّيات، وفاقدا للصلاية التي ميّزت العجائبي الذي ترسّخ بعده بسنوات³.

ولقد كان شارل نودبي مطالعا خصوصا على الأدب الألماني، حيث أظهر إعجابه بهذا الأدب الذي يبنّي على الخيال ويصوّر عوالم مفارقة للطبيعة، ومن خلال تقديمه لمجموعة من قصصه يصف نودبي العجائبي في الأدب الألماني بأنه عجائبي شعبيّ ومستمدّ من عمق المجتمع الألماني⁴. غير أنّ هذا الحكم يبدو بحاجة إلى تمحيصه وتجاوزه، في نظرنا، لأنّ العجائبي الذي انبنت عليه الرواية الرومنظقية الألمانية في نهاية القرن الثامن عشر لا يستمدّ جذوره من الموروث الشعبي الألماني فحسب، بل أيضا يستلهم موروثات الشعوب الأخرى. وهو إلى جانب ذلك لا يرتبط كثيرا بالواقع الاجتماعيّ بقدر ما يقدم عوالم مفارقة لا مكان فيها للمألوف والحدث العاديّ والطبيعيّ.

1 - Pierre - Georges Castex, **Le conte fantastique en France de Nodier à Maupassant**, Ed. Librairie José Corti, Paris, 1957, P. 8

2 - Ibid, P. 121

3 - Louis Vax, **L'art et la littérature fantastiques**, Ed. Que sais je, PUF, N° 907, P. 108

4 - Charles Nodier, **Contes fantastiques**, bibliothèque Charpentier, Paris, 1904, P. 25-28

وقد يكون ما دفع شارل نودبي إلى إطلاق ذلك الحكم هو، في نظرنا، تصوّره الخاص وتمثّله لما يجب أن يكون عليه العجائبي، حيث إنّ نودبي يرى أنّ العجائبي لا بدّ له أن يرتبط بالواقع، وأن يكون مبنيا على إعادة إحياء الحكاية الشعبية والخرافة والأليغورية وتوظيفها في القصة العجائبية. ولعلّ ذلك، فعلا، ما سعى إلى القيام به في جلّ مؤلفاته القصصية والروائية.

ولم يكن العجائبي ذا أهمية في فرنسا إلى حدود نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر، حيث اقتصر كتابته على ما ألفه شارل نودبي. ويمكن القول إنّ ترجمة كتابات هوفمان إلى الفرنسية سنة 1822 كان لها أثر كبير في ترسخ العجائبي في الأدب الفرنسي بدءا من هذا التاريخ، ذلك أنّ اطلاع الفرنسيين على أدب هوفمان بلغته الألمانية الأصلية لم يكن كافيا رغم أنّ له الشهرة اللازمة في الوسط الأدبي بباريس. ولقد كانت ترجمة مؤلفاته إلى الفرنسية حدثا أدبيا وثقافيا بارزا في العاصمة الفرنسية، وقد لعبت مجلة (Le Globe) دورا بارزا في التعريف بهوفمان قبل ترجمته، حيث كانت تكتب عن قصصه وتشر أجزاء منها بصفة مستمرة¹. وهو ما يعني أنّ الأدب الفرنسي اتّجه إلى العجائبي تقليدا لاتجاه سائد في بريطانيا وألمانيا وهو اتجاه اللامعقول، ولعلّه من الطريف، هنا، أنّ الأدب الفرنسي لم يتأثر كثيرا بالأصول الأولى والمراجع الأساسية للامعقول وهي أساسا التراث الأسطوري الإغريقي وكذلك "كتاب ألف ليلة وليلة" و"الكوميديا اللإلهية" لدانتى.

إذن، لقد تأثر الأدب الفرنسي في بدايات القرن التاسع عشر، أساسا، بالألماني هوفمان وبالرواية القوطية البريطانية. والحقّ أنّه لا غرابة في ذلك إذا اعتبرنا أنّ ما كان يشغل أغلب أدباء فرنسا في بداية القرن التاسع عشر هو الخروج عن وصاية الفلسفة التنويرية، والتخلّي عن الأسلوب التعليمي والتربوي الأخلاقي في الكتابة القصصية خاصة أنّ هؤلاء لاحظوا أهمية الاعتماد على الخيال في الأدب لتحقيق النجاح والشهرة الأدبية، وهو ما وجدوه عند معاصريهم من أدباء بريطانيا وألمانيا تحديدا.

وفي هذا السياق، قد يبدو أنّه من المفيد القول إنّنا لم نجد في مختلف المراجع النقدية التي اطّلعنا عليها أية إشارة إلى تأثر العجائبي الفرنسي بكتاب "ألف ليلة وليلة" - على سبيل المثال - وذلك رغم أهميته في كتابة العجائبي والتدرّب عليه، وهو عكس ما لاحظناه سواء في الأدب البريطاني من خلال التيار القوطيّ أو الأدب الألمانيّ من خلال التيار الرومنطقي حيث كان التأثر بكتاب الليالي واضحا في كلا التيارين.

ولكن ممّا لا شكّ فيه أنّه حتى لو قام الأدباء الفرنسيون في القرن التاسع عشر بالاطلاع على كتاب "ألف ليلة وليلة"، وحاولوا كتابة بعض قصصهم عبر استلهام حكاياته والنسج على منوالها، فإنّ ذلك لم يكن تأثيرا مباشرا بكتاب الليالي، بل إنّ تأثر بالنجاح الذي لاقته القصص الرومنطيقية الألمانية التي استلهمت بعض حكايات "ألف ليلة وليلة". وهنا، تعدّ قصة الكاتب الفرنسي تيوفيل قوتي (Théophile Gautier) (ت. 1872) "الليلة الثانية بعد الألف" أبرز القصص العجائبية الفرنسية التي حاولت نصوص "الليالي" واستلهمت بعض عوالمها، وهو ما جعلها تُعدّ "عيّنة من عيّنات التفاعل الأدبي والثقافي"²، وشكلا من أشكال التفاعل بين الأدب العربي القديم والأدب الفرنسي الحديث.

¹ - P.G. Castex, *Le conte fantastique en France*, Ed. Librairie José Corti, Paris, 1957, p. 7

² - محمد رشيد ثابت، حكايات ألف ليلة وليلة بين الاستئناف وتجديد الإنشاء في قصة تيوفيل قوتي "الليلة الثانية بعد الألف"، حوليات الجامعة التونسية، عدد 50، 2006، ص. ص. 289/265

ولقد انطلق هذا التفاعل، على قَلْتِه، مباشرة بعد ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية في بداية القرن الثامن عشر، ويظهر ذلك من خلال روايات الحبِّ والمغامرات والفروسية التي كتبها الفرنسيون في النصف الأول منه¹، وهي روايات تختلف عن الروايات العجائبية، ولا تحمل سمة الأدب العجائبي رغم أنَّها تحمل سمِّي التشويق والغموض على مستوى أحداثها وأطرها الزمانية والمكانية.

2-2- خصائص العجائبي في القرن التاسع عشر:

يتأثر العجائبي، عادة، بالبيئة التي يولد فيها. وهو ما يمكن ملاحظته في كل من العجائبي البريطاني والعجائبي الألماني، حيث إنَّ البيئة الاجتماعية والثقافية والفكرية في فرنسا مختلفة في الكثير من جوانبها عن نظيرتها في بريطانيا وألمانيا، وذلك طوال القرن الثامن عشر وحتى في فترة كبيرة من القرن التاسع عشر. وتختلف خصائص العجائبي الفرنسي عن خصائصه في بريطانيا وألمانيا لأنَّ العجائبي، عموماً، يعكس الثقافة الأدبية والفكرية للبيئة التي يظهر فيها.

ولمَّا كانت البيئة الفكرية في فرنسا محكومة خاصة بفلسفة الأنوار ثمَّ بالفلسفات الدينية التي ظهرت في بداية القرن التاسع عشر، فإنَّ العجائبي قد حمل خصائص هذه الفلسفات. ولذلك كان انتشاره في فرنسا ضعيفاً في البدايات، حيث لا يكاد يكتسب سمات محلية خاصة به، وهو، في هذه المرحلة المبكرة، يشبه كثيراً العجائبي الرومنطقي الألماني الذي ظهر مثلما أشرنا إلى ذلك في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. ولعلَّ ذلك ما نلاحظه في قصص شارل نودبي التي تعدُّ الحلقة الأولى للعجائبي الفرنسي، حيث إنَّها جاءت تقليداً لقصص هوفمان وللأدب الألماني في تلك الفترة.

ولم يكتسب العجائبي الفرنسي طابعاً خاصاً به من خلال قصص شارل نودبي التي غلب عليها الطابع الرومانسي الحالم، وهو طابع يعتمد عناصر الغرابة والدهشة والحلم. ولكن بعد ترجمة مؤلفات هوفمان إلى الفرنسية عام 1822 تبدل واقع الأدب العجائبي بفرنسا، فتواتر إنتاج النصوص العجائبيَّة الفرنسيَّة، وأضحت ذات خصائص محدَّدة تنهل من تجربة الألماني هوفمان، وتستعير من الأدب القوطيِّ بعض مميَّزاته. ثمَّ ظهرت، لاحقاً، التجارب القصصية الفرنسية المتأثرة نسبياً بكتاب "ألف ليلة وليلة" وبأدب الرحلة العربي.

وفي هذا السياق، يعدُّ هونري دي بلزك Honoré de Balzac (ت. 1850) أبرز رواد العجائبي الفرنسي بعد شارل نودبي رغم أنَّ تجربته الأدبيَّة كانت متنوِّعة، ولم تلتزم باتجاه واحد باعتباره قد كتب في الواقعيَّة مثلما كتب في العجائبيِّ. ومن أبرز مؤلفات بلزك ذات المنحى العجائبي روايته "الجلد المسحور" (La peau de Chagrin)، وهي رواية فلسفية تستعير بعض سمات الفلسفة الإشرافيَّة التي ظهرت آنذاك بفرنسا ومثلت ردَّ فعل ضدَّ فلسفة التنوير. وتقوم رواية "الجلد المسحور" على فكرة العَقْد، وهي فكرة موجودة في بعض ديانات الشرق القديم والحديث، وتعتبر هذه الرواية "أحد أجمل استعراضات اللون الأسود في تاريخ الأدب"²، وهي فانتازيا خيالية أبدع بلزك تصوَّرها.

ومن روايات بلزك الأخرى ذات الأهمية القصوى في مجال العجائبي "ملموث المتصالح" (Melmoth réconcilié)، وهي جملة من التأمّلات الفلسفية القائمة على السرد القصصيِّ. وقد اقتبس فكرتها من رواية "ملموث أو الإنسان التائه" للكاتب البريطاني

¹ - عبد الواحد شريفي، أثر ألف ليلة وليلة في روايات الحب والمغامرات الفرنسية في القرن الثامن عشر، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 105، شتاء 2001، ص. 26

² - من تقديم أندريه بيار دومانديارغ لرواية:

هونوري دي بلزك، *الجلد المسحور*، ترجمة: فريد أنطونوس، ينظر الطبعة العربية الصادرة عن دار عويدات، لبنان، ط1، 2008، ص. 12

شارل روبرت ماثورون (1782-1824). وقد قام بلزك بتطوير الفكرة لتتخذ عنده بعدا فلسفيا وإشراقيا. ويعني ذلك أنّ العجائبي الفرنسي سعى، منذ بداياته، إلى اتّخاذ طابع خاصّ به يجعله مختلفا عن العجائبي الذي ظهر قبله في بريطانيا وألمانيا.

وإلى جانب بلزك، ظهر تيوفيل قوتي وهو من أبرز كتّاب القصة العجائبية بفرنسا، وقد أثر تأثيرا عميقا في الجيل الذي عاصره باعتباره يعدّ أكثر الأدباء الفرنسيين غزارة على مستوى الإنتاج الإبداعي، وقد جعل من العجائبي اهتمامه المطلق في كلّ قصصه، وأهمها "أونوفريوس"، "أومفال"، "ساق المومياء"، "ممثلان لدور واحد"، "أريا مارسيليا"، "أفاتار" و"جتاتورا". ولعلّه من الميزات الأساسية لقصص قوتي أنّها تدور كلها في زمن الليل، وهو ما يضيف على بعدها العجائبيّ سوداويةً وغموضا¹.

وقد تأثر تيوفيل قوتي كثيرا بهوفمان، وهو ما جعل قصصه شبيهة بعوالم هذا الكاتب الألماني، فاستعارت منها أبرز خصائصها. وكذلك، تأثر قوتي بكتّاب "ألف ليلة وليلة"، حيث كانت إحدى أهمّ قصصه، وهي "الليلة الثانية بعد الألف"، محاكاة لحكايات "الليالي" واستعارة لعوالمها العجائبية التي تبرز حياة الشرق وسحره في أجواء خيالية. وترتكز قصص قوتي في جانب مهمّ منها على تقنيات سردية مولّدة للأجواء العجائبية مثل توظيف الحلم والغرابة، وكذلك توظيف عالم المخدرات والكحول والموت والسحر والجريمة والأسرار واختلاق الأشباح في الحكاية.

وفضلا عن هؤلاء الكتّاب الذين كانوا رواد العجائبي الفرنسي، نجد أيضا كتّابا آخرين رسّخوا ذلك الأسلوب وطوّروه لاحقا، ومن أبرز هؤلاء في دي موباسان (1850-1893) Guy De Maupassant الذي يعتبر أده الحلقة الأبرز في تاريخ العجائبي الفرنسي، حيث وجدت كتاباته صدى كبيرا في فرنسا وخارجها.

ولقد فهم موباسان العجائبي، وتمثّله جيّدا، ونهل من الكتابات التي سبقتة، وتأثر بها، وحاول تقليد بعضها مثلما حاول التأسيس إلى نمط خاص به في كتابة العجائبي. والملاحظ أنّ موباسان لم يكتف بكتابة الرواية العجائبية باعتباره كتب الرواية الواقعية، وكذلك، حاول المزج بين المدرستين وفق أسلوب مخصوص قلّمَا نجح فيه كتّاب العجائبي. وهو ما جعل من كلّ أعماله الروائية والقصصية ذات أهمية سواء في التجربة الواقعية أو التجربة العجائبية².

ومن أهمّ أعمال موباسان الروائية ذات المنحى العجائبي رواية "هورلا" Le Horla المنشورة للمرّة الأولى سنة 1887، وهي رواية يقدّم من خلالها الكاتب الفرنسي تمثّله للواقع والخيال معا، فأحداثها تنطلق ممّا هو واقعيّ لتبلغ ما هو خياليّ، وهي تقوم على فكرة القرين حيث تتحوّل الشخصية الرئيسيّة إلى شخصين مزدوجين من خلال تقنيات الانقسام واختلال الشعور بالواقع وبوحدة الشخصية. وفي هذه الرواية يتولّد لدى الراوي، وهو الشخصية المحوريّة في الحكاية، شعور بالخوف والرعب من المجهول، وتراوده أفكار بأنّ هناك شخصا آخر موجودا معه، ويتنقّل معه حيثما يتنقّل. ويشعر الراوي أنّ ذلك الشخص المتخيّل هو صورة منه. وهو يأتي الأفعال نفسها التي يأتيها، ويستيق ما يفكر فيه ليقوم به قبل أن يقوم به هو نفسه مثل شرب الماء وغلق الباب أو فتحه.

والحق أنّ هذه التقنية القائمة على فكرة القرين هي إحدى أهمّ تقنيات العجائبي وأكثرها كثيفا للدلالات، غير أنّ موباسان لم يكن سبّاقا إلى ابتداء هذه الفكرة باعتبارها قد ظهرت مع الرواية الرومنطيقية في نهاية القرن الثامن عشر حيث استعملها هوفمان في قصّته "رجل الرمال" مثلما أشرنا إلى ذلك. ولقد أغوت فكرة القرين عددا آخر من كتّاب العجائبي من معاصري في دي

¹ - Théophile Gautier, *Récits fantastiques*, Ed. Flammarion. Paris, 1981

(راجع المقدّمة التي كتبها مارك إجلدنجان لهذه المجموعة القصصية بلغتها الفرنسية الأصلية، ص. 39 / 38)

² - Vax, *L'art et la littérature fantastiques*, P. 112

موباسان مثل روبرت لويس ستيفنسون (1850-1894) Robert Louis Stevenson، وماري شيلي Mary Shelley (ت. 1851) في روايتها "فرانكنشتاين"، وفيودور دوستويفسكي Fiodor Dostoïevski (1821-1881) في عدد من رواياته مثل "القرين".

ويمكن القول إنَّ هذا التقارب في الأفكار والتوجهات والرؤية للعالم بين كتّاب الأدب العجائبي من بلدان مختلفة، يثبت أنَّ العجائبي، أثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر على وجه التحديد، أضحى أكثر جماهيرية، حيث اجتذب إليه عددا كبيرا من القراء، وبات تيارا مهيمنا في الأوساط الأدبية العالمية حتى أنَّ مواضعه وتقنياته أضحّت معلومة ومشاعة. والملاحظ، إذن، أنَّ السّمات التي التصقت بالعجائبي في القرن الثامن عشر تغيّرت كثيرا انطلاقا من النصف الثاني للقرن التاسع عشر حين بلغ العجائبي أوج ازدهاره في كل الآداب العالمية وأبرزها الأدب الفرنسي الذي قدّم في تلك الفترة أهمّ كتّاب العجائبي مثل موباسان، دي ليزل آدم، موريس رينارد، جاك يونيت، ليون بول فورقي ومارسال جاهندو فضلا عمّن سبقوهم بفترة قصيرة مثل بروسبار ميرمي، جون لويس بوكي وتيوفيل قوتي.

وضمّن هذا الجيل الأدبيّ الفرنسيّ الذي بلغ بالرواية العجائبية أوج مجدها في منتصف القرن التاسع عشر، برز، أيضا، الكاتب الفرنسي جيرار دي نيرفال Gérard de Nerval (ت. 1855) الذي اتخذ العجائبيّ، لديه، طابعا خاصا باعتباره كان ممتزجا بفلسفة الاستشراق (Orientalisme). ولقد عُرف هذا الكاتب خاصة برحلاته إلى الشرق، وبتوظيف تلك الرحلات في قصصه ورواياته وأشعاره ليخلق بذلك عالما غرائبيّا غير مألوف خاصة لدى القارئ الفرنسي الذي لا يعرف الكثير عن حياة الشرق. ولقد كان الشرق من منظور نيرفال هو "عالم أحلام قلقة سيّالة إلى ما نهاية"¹.

وقد جاء نيرفال إلى الشرق بأفكار جاهزة عنه، وكان يبحث فيه عن كل غريب وعجيب. وقد قام بتوظيف كل ذلك في كتابيه "رحلة إلى الشرق" و"الأوهام الخرافية" وغيرهما من كتبه. ولذلك فإنّ العجائبي لدى جيرار نيرفال لم يكن عجائبيا خالصا بل كان منطلقا ممّا هو واقعيّ ومألوف ومعقول.

وفي هذا السياق، يرى فرانز هيلينز أنّ نيرفال هو أوّل الكتّاب الفرنسيين الذين كتبوا في ما إصطلح عليه بـ "العجائبيّ الواقعي"² (Le fantastique réel)، وهو صنف من العجائبيّ المعتمد على الخطاب الاستشراقيّ، وهو لا يقطع صلته مع الواقع باعتباره يحيا في صلبه. ويبدو الواقع الذي يقدّمه نيرفال في أغلب قصصه، وهو واقع الشرق، زاخرا بكلّ ما هو غريب وعجيب من وجهة نظر القراء الفرنسيين في ذلك الوقت، وهو يتعارض في الكثير من وجوهه مع العالم المألوف لديهم.

خاتمة:

عرف العجائبيّ فترات ازدهار ونكوص حيث إنّ توظيفه الأدبي ارتبط في كلّ مرة بالنظريّات الفلسفيّة، وهو ما يتجلّى بوضوح في الرواية العجائبية الفرنسية التي يعود ظهورها الفعلي إلى القرن التاسع عشر الذي عرفت فيه أوج انتشارها وتأثيرها في الأدب العالمي. ولقد ظهر العجائبي الفرنسي متأخرا مقارنة بالعجائبي البريطاني أو الألماني مثلا، بسبب ما مارسته فلسفة الأنوار التي ظهرت بفرنسا في القرن الثامن عشر من وصاية على الأدب والفنّ، حيث إنّها دعت إلى تخليص الإبداع الأدبي من كلّ مظاهر الابتعاد عن الواقع وتجاوز العقل والمنطق. واعتبرت فلسفة الأنوار أنّ القصّ العجائبي هو قرين للتصوّر الأسطوري والغبي

¹ - إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، 2006

² - Franz Hellenz : *Le fantastique réel*, P. 16

للكون والعالم، وهو يعيق العقل الإنساني على التطور والدخول الفعلي في عصر الأنوار كما يعيقه على القطع مع مظاهر الانشداد إلى التفكير الغيبي والأسطوري واللاهوتي.

ولكن ذلك لم يدم طويلاً في الإبداع الأدبي الفرنسي، حيث إنّه بحلول القرن التاسع عشر ظهرت فلسفات جديدة منتقدة لفلسفة الأنوار ومتجاوزة لعدد من أطروحاتها، وقد نتج عن ذلك، في فرنسا، نشأة اتجاه الكتابة الروائيّة العجائبيّة ثمّ انتشارها بشكل غير مسبوق في أوروبا خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

والملاحظ أنّ العجائبيّ قد عرف فهما آخر جديداً، وتمثّلاً يكاد يكون مغايراً لما كان عليه، وذلك إثر ظهور تيارات اللامعقول في القرن العشرين، وإثر نشأة تيارات أخرى وظفته وفق أشكال جديدة وتمثّلات مختلفة أبرزها تيار الواقعيّة السحرية في أمريكا اللاتينيّة، والتيار القوطي ما بعد الحدائي الذي ما تزال ملامحه غير مكتملة في الأدب المعاصر.

المصادر والمراجع:

- مصادر ومراجع باللغة العربية:

1- بلزاك (هونوري دي): الجلد المسحور، ترجمة: فريد أنطونيوس، انظر الطبعة العربية الصادرة عن دار عويدات، لبنان، ط1، 2008

2- ثابت (محمد رشيد): حكايات ألف ليلة وليلة بين الاستئناف وتجديد الإنشاء في قصة تيوفيل قوتي "الليلة الثانية بعد الألف"، حوليات الجامعة التونسية، عدد 50، 2006

3- شريفي (عبد الواحد): أثر ألف ليلة وليلة في روايات الحب والمغامرات الفرنسية في القرن الثامن عشر، مجلة الآداب الأجنبية، العدد 105، شتاء 2001

4- عبد الحميد (شاكر): الغرابة: المفهوم وتجلياته في الأدب، عالم المعرفة، الكويت، العدد 384، يناير 2012

5- غنيبي (محمد هلال): الأدب المقارن، دار الثقافة، بيروت لبنان، د ت

- مصادر ومراجع مترجمة للغة العربيّة:

1- روتمان (كورت): تاريخ الأدب الألماني، ترجمة: سليمان عواد، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1989

2- سعيد (إدوارد): الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، 2006

3- مؤلف جماعي: تاريخ الآداب الأوروبية، ترجمة: صيّاح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط 1، 2002

4- هوفمان (إرنست تيودور): رجل الرمال، ترجمة: شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، الكويت، العدد 384، يناير 2012

5- ولسن (كولن): المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار الآداب، لبنان، ط6، 2001

- مصادر ومراجع باللغة الفرنسيّة:

1- Brébier (Emile) : Histoire de la philosophie. Tom VI (XIX siècle), Ed. Cérès, Tunisie, 1994

- 2- Castex (Pierre-Georges) : Le conte fantastique en France de Nodier à Maupassant, Ed. Librairie José Corti, Paris, 1957
- 3- Freud (Sigmund) : L'inquiétante étrangeté et autres essais, Ed. Gallimard, Paris, 1985
- 4- Gautier (Théophile) : Récits fantastiques, Ed. Flammarion. Paris, 1981
- 5- Hellenz (Franz): Le fantastique réel, Ed. SODI, Bruxelles, 1967
- Nodier (Charles): Contes fantastiques, bibliothèque Charpentier, Paris, 1904
- 6- Ouvrage collectif : Patrimoine littéraire européen, Tom 10, Anthologie en langue française sous la direction de Jean-Claude Polet, Ed. De Boeck université, Paris, Bruxelles, 1998
- 7- Ponnau (Gwenhoél) : La folie dans la littérature fantastique, Ed. C N R S, Paris, 1990
- 8- Tiengham (Paul Van) : Le romantisme dans la littérature européenne, Ed. Albin Michel, Paris, 1948
- 9- Vax (Louis) : L'art et la littérature fantastiques, Ed. Que sais je, PUF, N° 907
- 10- Viegnes (Michel) : Le fantastique, Ed, Flammarion, Paris 2006



المبدع الإسباني ماكس أوب، شاهد على العصر

The Spanish creator Max Aub, witness of his epoch

د. الشعبي إدريس. جامعة القاضي عياض. المغرب

Dr. ECH-CHOAYEBY Driss / Université Cadi Ayyad. Marrakech

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز قيمة ومكانة أحد أشهر، وأهم مبدعي القرن العشرين. يتعلق الأمر بالمبدع ماكس أوب الذي تناول في إنتاجاته مختلف الأجناس الأدبية وأبدع فيها أيما إبداع. كما أنه يعتبر نموذجا للمثقف الملتزم بقضايا عصره، حيث واكب جل الأحداث التاريخية المفصلية التي شهدها القرن العشرون. لذلك، يتمحور هذا البحث حول إظهار بعض الجوانب المهمة من إبداعاته التي تجمع بين القدرة الفنية الفائقة، والالتزام الأخلاقي والسياسي مع القضايا العادلة للإنسان المقهور بغض النظر عن جنسيته وعرقه ومذهبه. وفي هذا الإطار، سنحاول التطرق لكل هذه الجوانب انطلاقا من بعض رواياته من قبيل "شارع بال بيردي" (1961) و"النوايا الحسنة" (1954)، بالإضافة إلى "لويس ألباريت بترينيا" (1934).

المبتغى الأساس من وراء إنجاز هذا المقال، يكمن في تعريف القارئ العربي بمثقف عضوي من هذا الطراز الرفيع بتعبير غرامشي، الذي ما أحوجنا إلى أمثاله في هذا الظرف العصيب الذي يجتازه العالم العربي.

الكلمات المفتاحية: ماكس أوب، الإبداع، المعاناة، المجتمع، قضايا، الرواية.

Abstract:

This article aims to highlight the value and prestige of one of the most famous, and most important, creators of the twentieth century. It is the illustrious and prolific creator Max Aub, who cultivated almost all literary genres with a huge mastery. It is also regarded as the paradigm of the true intellectual whose greatest interest lies in ethical commitment and, above all, the defense of noble humanitarian causes.

This research is centered on demonstrating some important aspects of his creations that combine great artistic ability, moral and political commitment to just causes of the oppressed human, regardless of nationality, race and creed. In this context, we will try to address all these aspects from some of his novels, such as "Valverde Street" (1961) and "Good Intentions" (1954), as well as "Luis Àlbarez Petreña" (1934).

The principal purpose of this essay is to present to the Arab reader an important intellectual with a specific style, who we need in this difficult situation in which lives the Arab world.

Key words: Max Aub, creation, suffering, society, matters, novel.

1. تقديم:

يعتبر القرن العشرون مرحلة تاريخية تخللتها العديد من الأحداث والوقائع المفصلية التي أرخت بضلالها على تاريخ الإنسانية¹. ولعل المقاربة المتعددة الأبعاد لهذه الأحداث الجسام التي شهدها العالم، وإسبانيا على الخصوص، قد تطرق إليها العديد من الباحثين والمبدعين والمفكرين، على سبيل المثال لا الحصر المبدع الأمريكي إيرنست هيمنغواي (Putnam, 2006) والروائي الفرنسي الشهير أندري مالرو (Vinals, 2006) والشاعر الشيلي الحاصل على جائزة نوبل بابلو نيرودا (Ossa Martínez, 2015) والشاعر البيروفي الكبير سيزار بايخو (Vallejo 1987)، والمفكر الفرنسي الملتزم الشهير جون بول سارتر (Aragüés, 2020)، إلخ. ويعتبر الروائي الإسباني ماكس أوب أحد المبدعين الذين سطع نجمهم وتركوا بصمتهم في المقاربة الإبداعية لتلك الأحداث، بالإضافة إلى التزامه الأخلاقي والإنساني مع القضايا العادلة بغض النظر عن الدين والعرق والمذهب (Malgat, 2011). إذ أن رغم حداثة سنه مع مطلع القرن العشرين، فإن هذا الكاتب الإسباني كان قد انخرط فكريا وممارسة في أهم الأحداث الفارقة التي شهدها العالم وإسبانيا آنذاك. بدءا بهزيمة إسبانيا في معركة أنوال، وأثرها العميق على المستوى السياسي، وما خلفته من ندوب في الذاكرة الجمعية للمجتمع الإسباني، ومرورا بالانقلاب العسكري الذي قام به الديكتاتور خوسي أنطونيو دي ريبيرا. فكانت هذه الأحداث مؤشرا على تكريس اندحار إسبانيا التي أصبحت دولة متهارة بعد أن كانت قوة عظمى يحسب لها ألف حساب (Fernández-Alfaro, 1997). استطاع المبدع ماكس أوب التقاط هذا الوضع المتردي بنفس إبداعي لا يضاهي. وفي هذا النطاق، تعتبر روايته الرائعة "سارع بالبيردي" (1961) وثيقة تاريخية بامتياز لحقبة المستبد بيرمو دي ريبيرا، علاوة على جمالية السرد وروعة التقنيات الروائية التي أحسن توظيفها ماكس أوب. فهي بنية سردية متناسقة تؤشر نابعة من رحم التجربة والمعاناة، لذلك امتلك القدرة على استحضار الذاكرة في قلبه فني منقطع النظير (Sánchez Zapatero, 2010, p. 69).

ومع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، تزامن انخراط ماكس أوب في الحزب العمال الاشتراكي مع هبة جماهيرية وضعت نهاية لحكم الديكتاتور السالف الذكر. إثر ذلك تم تنظيم انتخابات تشريعية نزيهة وشفافة لأول مرة في إسبانيا أسفرت عن فوز تحالف أحزاب اليسار وقيام الجمهورية الثانية الإسبانية. مما جعل الثلاثي المكون من "الجيش، الإقطاع والكنيسة" يتحسس خطرا داهما يهدد مصالحه المتراكمة، وهو الذي ظل يتحكم في مقدرات الدولة لقرون عديدة. فكانت نتيجة تحالفهم قيام القادة الفاشيين، يتزعمهم الجنرال فرانكو، للجيش الإسباني والذي كان متمركزا بالمنطقة الشمالية بالمغرب التي كانت تقبع تحت نير الحماية الإسبانية، بانقلاب مما أدى إلى حرب أهلية طاحنة دامت ثلاث سنوات دمرت إسبانيا وانتهت بانتصار الطغمة الفاشية الفرنكوية.

تجدر الإشارة إلى أنه رغم انخراط ماكس أوب في صفوف الحزب العمالي الاشتراكي الإسباني، فإنه ظل متشبثا بنقد الدائم للحزب وعدم تماهيه مع توجهات قادته (Malgat, 2007, p. 86). هذا الموقف يعبر بجلاء عن التزام ماكس أوب الأخلاقي والنضالي، كمتقف عضوي ذي فكر حر، (Miroslav Kotsev 2014, p. 40). وبذلك، فإن إبداعاته الأدبية شاهدة عن دفاعه المستميت عن

بدأ بالحرب العالمية الأولى، مرورا بحداث الانقلاب العسكري الذي قاده الديكتاتور خوسي أنطونيو بيرمو دي ريبيرا والحرب الأهلية الإسبانية الطاحنة التي دامت 1 ثلاث سنوات وخلفت مئات الآلاف من القتلى، وصولا إلى الحرب العالمية الثانية التي كان من ضحاياها حيث اعتقل من طرف عملاء النازية بفرنسا وعانى الأمرين، بعد ترحيله إلى معسكر الاحتجاز بجلقة بالجزائر. بالإضافة إلى النكبة العربية، حرب ستة أيام الموافقة ل5 يونيو 1967، حيث احتلت إسرائيل القدس الشرقية والضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء. لذلك خصص لهذا الحدث، كتابه "يوميات سيناء"، حيث عالج فيه معاناة وآمال الجنود الشباب المصريين قبل وبعد النكسة.

المستضعفين والمضطهدين، بغض النظر عن دينهم وعرقهم ومرجعياتهم الإيديولوجية. وخير مثال على ذلك هو انخراطه إلى جانب العديد من المثقفين الإسبان وأدباء كبار ذائعي الصيت من العالم، هبوا إلى إسبانيا لمساندة مقاومة الجمهورية الثانية لجحافل الانقلابيين عبر تكوينهم ما يسمى كتائب عالمية أو "Brigadas internacionales" (Claret, 2016, p. 72).

وفي هذا الإطار، تعتبر سداسيته تحت العنوان العام "المتاهة السحرية" أهم وأروع وأصدق ما كتب عن الحرب الأهلية الإسبانية. وهي بذلك مقارنة إبداعية فائقة الدقة لهذا الحدث الجلل. لكن انتصار الفاشيين في الحرب، اضطره رفقة الأغلبية العظمى من المثقفين الإسبان إلى مغادرة إسبانيا إلى أراضي اللجوء. وباعتباره يهوديا، تم اعتقاله خلال الحرب العالمية الثانية من طرف عميل النازية المارشال فيشي وإرساله إلى معسكر احتجاز جماعي في منطقة جلفة بالجزائر. حيث عانى الأمرين في ظروف شديدة القساوة مدة عامين (Eloías Aldás, 2001, p. 94). وقد خلد هذه المعاناة في رائعته "يوميات جلفة" (1944).

بناء على ما سبق، وجب التساؤل حول إرهابات تفتق العبقرية الإبداعية للكاتب ماكس أوب، من خلال كشفه لتجاوزات قادة الانقلاب إبان الحرب الأهلية الإسبانية، وما تلمها من مضايقات على الحريات الجماعية والفردية بإسبانيا. كما نتساءل ونقول إلى أي حد استطاع المبدع الإسباني مقارنة كل هذا في قالب أدبي إبداعي رائع. سنحاول أيضا إلقاء الضوء على تأثير نفي الكاتب إلى أرض المكسيك في تكريس ونضج الوعي والحس الثقافي لديه. لنختم في الأخير بإلقاء نظرة خاطفة على كيفية تصويره المقطعي لكل معاناته والتزامه من خلال تقديم نماذج من أعماله التي تناولت معظمها مختلف أوجه الظلم الذي لحق الكاتب من قبيل تنقيله من طرف قوات النازية من مارسيليا الفرنسية إلى مركز الاحتجاز بجلفة بالأراضي الجزائرية، ثم انتقاله إلى المنفى الأخير بالمكسيك عبر المغرب.

2. الروائي ماكس أوب في قلب الأحداث المصيرية في القرن العشرين

إن فكرة الروائي الفرنسي المرموق ألبير كامو والتي مفادها أنه إذا خلت الحياة من المعاناة، فلن يكون للإبداع موطأ قدم (Camus A., 1967, p. 70). هذه الفكرة أو التصور ينطبق إلى حد كبير على حالة الكاتب المتعدد الجنسيات ماكس أوب. حيث عايش معظم الأحداث المصيرية التي عرفها القرن العشرون، أثر فيها وتأثر بها وعبر عنها بطريقة مؤثرة وعميقة في العديد من أعماله الأدبية التي شملت معظم الأجناس الأدبية. في هذا السياق، تعتبر المآسي الذي مر بها الكاتب بحق الحافز للإنتاج العملية الإبداعية لديه، التي انصهرت فيها قضايا مجتمعه وما لحقه من ظلم وقهر.

1.2. إرهابات بزوغ نجم ماكس أوب كمبدع ومثقف ملتزم

من موالد فرنسا سنة 1903، من أم فرنسية وأب ألماني، يهودي العقيدة. اضطرت العائلة للهجرة إلى إسبانيا وماكس أوب طفل صبي، حيث استقرت بمدينة بلبينية، هناك تعلم اللغة الإسبانية التي أصبحت أداة إبداعه. ومنذ بلوغه سن الرابعة عشرة بدأت بوادر اهتمامه بالأدب والالتزام السياسي. وفي هذا الإطار، يقر ماكس أوب في رسالته إلى صديقه مانويل تونيون دي لارا ما يلي:

"El medio en que me formé va claramente de 1917 a 1931. En 1917 tenía catorce años. Alguna vez he contado que una carga de la Guardia Civil a caballo - ¿o no lo he contado? – en la plaza Emilio Castelar, de Valencia, fue determinante. El atravesar – al día siguiente, creo

– la calle de las Barcas, desierta bajo el signo de las terceloras, acabó de hacer de mi un partidario decidido de los humildes”¹ (Max Aub, 1970, p.13).

ويتبين من خلال هذه الشهادة الوعي المبكر للروائي ماكس أوب، وهذا ما يفسر انخراطه طوال حياته في النضال من أجل القضايا العادلة والقيم الإنسانية النبيلة. وفي العشرينيات من عمره، شرع هذا الكاتب الكبير في كتابة ونشر إبداعاته التي شملت مختلف الأجناس الأدبية. وهكذا؛ بين سنة 1924 وسنة 1927 أصدر ماكس أوب مسرحيات تدخل في إطار ما يسمى بالمسرح التجريبي (Max Aub, 1970, p.14) مثل (1971) “El desconfiado prodigioso” أو “المرتاب العجيب”، (1960) “celsoso y su enamorada” أو “الغيور وحبيبته”، و (1973) “Deseada. Espejo de avaricia” أو “المرغوب فيها. مرآة البخل”.

وكان دائم التردد على المقاهي الأدبية التي كانت تعج بها مدريد خلال عشرينيات القرن الماضي، مما مكنه من الاحتكاك بعابرة الثقافة مثل لويس بونيبيل والشاعر العالمي فيديريكو غارسيا لوركا وزميله الشاعر الكبير رفاييل ألبيرتي (Max Aub, 1970, p.14) ومع فجر 1930، أبدع ماكس أوب رائعته “Fabula verde” (1933) أو “حكاية خرافية خضراء”. وخلال هذه العشرية اكتمل نضجه الذي يتبلور في إبداعات غاية في الروعة والإتقان، من قبيل “Luis Álvarez Petreña”، التي تم نشرها ببرشلونة سنة 1934، “Yo vivo” أو “أنا أحياء”، التي كتبها بين 1935 و 1936. وفي فترة حكم الجمهورية الثانية والحرب الأهلية الإسبانية، تولى ماكس أوب منصب الملحق الثقافي بسفارة إسبانيا في باريس، كما تبوأ منصب الكاتب العام للهيئة الوطنية للمسرح. وخلال نفس الفترة، ساهم مع صديقه الروائي الفرنسي الشهير أندري مالرو André Malraux في إنتاج الفيلم السينمائي المعنون ب “Sierra de Teruel” (1945) أو “السلسلة الجبلية لترويل” المستوحى من الرواية الرائعة “L’Espoir” (1937) أو “الأمل”. وانطلاقاً من سنة 1939، كل المصائب اجتمعت حول عنق ماكس أوب، وهكذا بعد هزيمة الفرنسيين أمام النازية سنة 1940 وبما أنه يهودي الديانة، تم النج به في سجون مدينة مارسيليا و نيس وترحيله إلى مركز احتجاز جهنمي ببلدة جلفة الصحراوية بالجزائر، حيث قضى هناك ما يربو عن سنتين، تجرع فيها كل ألوان العذاب. وفي هذا الإطار، يثير صديقه مانويل تونيول دي لارا النفس الإبداعي لماكس أوب وهو يعاني أسوأ أنواع العذاب في أشنع المعتقلات:

“Dos años vive – sobrevive – allí Max Aub. En trozos de papel, a escondidas de los guardianes, escribe sus poemas Diario de Djelfa, toma notas, traza esquemas... Y, como siempre habla con todos, penetra en las vidas y en las conciencias de grandes y pequeños”² (Max Aub, 1970, p.17).

2.2. مرحلة النضج الإبداعي عند ماكس أوب: المنفى طويل الأمد بالمكسيك

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وبعد أن تجرع كل أنواع العذاب في معسكر جلفة بالجزائر، تمكن ماكس، بحلول شهر شتنبر من سنة 1942، من الفرار من معسكر الاحتجاز بجلفة نحو مدينة الدار البيضاء بالمغرب ومنها إلى مرفأ بيراكروس بالمكسيك. حيث مكث هناك حتى وفاته سنة 1973. ويعتبر هذا المقام الطويل أغنى وأزهى مرحلة في نبوغه وإبداعاته. الشيء الذي جعله

¹ "يعود تكويني إلى الفترة الممتدة من 1917 إلى 1931. في سنة 1917 كان عمري أربعة عشرة سنة. في إحدى المرات تعرضت للضرب من طرف الحرس المدني الذين كانوا يمتطون صهوة الخيول. في ساحة إميليو كاسطيلار بمدينة بلنسية، وكان لهذا الحدث أثر كبير على حياتي وجعلتني منذئذ مناصراً للمستضعفين". "هناك بجلفة ولمدة سنتين عانى الأمرين من أجل البقاء على قيد الحياة. ورغم معاناته هذه، كان يتناول خفية قطعاً من الورق يسجل فيها ملاحظاته وارتساماته ² . وكما هي عادته يتجاذب أطراف الحديث مع الجميع حيث يتسلل إلى أفئدة وضامائر الصغار كما الكبار". (يوميات جلفة) والتي أنثرت ديوانه .

يتبوأ أعلى المراتب بين كبار وأشهر مبدي القرن العشرين. وهكذا، مع بداية تواجده بالمكسيك، شرع في نشر أروع ما كتب عن الحرب الأهلية الإسبانية في سلسلة روايات تحمل عنوان "المتاهة السحرية". وهكذا؛ نشر في المكسيك، سنة 1943، أولى روايات هذه السلسلة المعنونة بـ "Campo cerrado" أو "حقل مغلق". ومباشرة بعد ذلك، قام بنشر ثاني روايات السلسلة، "Campo de sangre" أو "حقل الدم"، تلاها نشر رواية "Campo francés" أو "الحقل الفرنسي"، التي كانت موضوع سيناريو سينمائي. وأثناء هذه الفترة التي تميزت بالإبداع الروائي الغزير والثري والعالي الجودة، نشر كذلك مجموعات قصصية مثل "Historia de Jacob" أو "تاريخ يعقوب". وانطلاقاً من هذه اللحظة التاريخية من حياة ماكس أوب، أصبح ذائع الصيت واسمه يقترن بوفرة وروعة الإنتاجات الفكرية والأدبية، حيث شملت إبداعاته الرواية والمسرح والقصة القصيرة والنقد الأدبي والمقالة الأدبية. وفي هذا السياق، يصرح ماكس أوب بما يلي:

"No hice sino escribir, porque es lo único que me divierte" (Max Aub, 1966, p. 7).

حيث اعتبر أن كل ما يقوم به هو الكتابة، لأنها هي الشيء الوحيد الذي يروح به عن نفسه. وبالفعل، كل كتابته كانت تعبيراً صادقاً عما يختلج في قرارة نفسه، بما أنها نابعة من رحم المعاناة وحسه المرهف تجاه المستضعفين.

علاوة على ذلك، انصب اهتمامه على النقد الأدبي، وهكذا قام بنشر سنة 1966 مؤلف يهتم بتاريخ الأدب الإسباني "Historia de la literatura española". وكذلك كتابه "Discurso sobre la novela española contemporánea" أو "خطاب حول الرواية الإسبانية المعاصرة"، بالإضافة إلى "La poesía española contemporánea" أو "الشعر الإسباني المعاصر". تجدر الإشارة إلى أن إبداعاته ترجمت إلى العديد من اللغات مثل الفرنسية الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية، العربية، إلخ.

3. تقديم لبعض الأعمال الإبداعية المهمة للروائي ماكس أوب

كما سبقت الإشارة، يتميز المبدع ماكس أوب بغزارة ووفرة إنتاجه في أجناس عدة. ولهذا لا يمكن الإحاطة بكل إنتاجه في مقالة واحدة كهذه. لذلك ارتأينا أن نتطرق لنماذج من إبداعاته الروائية والتي تعطينا دليلاً واضحاً عن أن ماكس أوب هو نموذج المثقف الملتزم والمبدع الكبير الذي عايش جل الأحداث المفصلية خلال القرن العشرين. وفي هذا السياق، الروايات التي سنتطرق إليها تندرج فيما يسمى بالرواية التاريخية، حيث نجد فيها توليفة غاية في الروعة لأحداث تاريخية عايشها الكاتب وشخصيات واقعية مع أخرى من نسج خياله. ولهذا تعتبر هذه الأعمال الروائية بمثابة وثائق تاريخية في قالب إبداعي مميز. يتعلق الأمر، إذن، برواية "زقاق بال بيردي" التي نشرها سنة 1961 ورواية "النوايا الحسنة" التي نشرها سنة 1954، بالإضافة إلى رواية "لويس ألبارس بترينيا" التي نشرت سنة 1971.

1.3. رواية زقاق بال بيردي أو "La calle de Valverde"

ففي روايته "La calle de Valverde" أو "شارع بالبيردي"، وهي رواية معبرة عن مدينة مدريد في الحقبة الممتدة من 1925 إلى 1928. أبطالها متعددو المشارب ويجسدون مختلف أطياف المجتمع المديدي آنذاك. وهكذا، فأبطالها يتشكلون من مثقفين وصحفيين وطلبة وأفراد من عامة الشعب ومن الطبقة البرجوازية الصغيرة (Max Aub, 1970, p. 40). كما تتناول الرواية وقائع تاريخية بليغة الأثر في إسبانيا عشرينيات القرن الماضي، مثل نكسة أنوال بالنسبة للإسبان والانقلاب العسكري الذي مكن الديكتاتور خوسي أنطونيو دي ريبيرا من الاستيلاء على مقاليد الأمور. ويعتبر موجز أحداث الرواية بمثابة دليل واضح على أهميتها التاريخية والإبداعية. أحداثها تنطلق من منزل يحمل رقم اثنين وثلاثين بشارع فال بيردي المطل على واجهتين. الباب الأول يفضي إلى ساكنة مكونة من الطبقة الوسطى، بينما الباب الثاني يؤدي مباشرة إلى الساحة الشهيرة المسماة الطريق الكبير أو

(Gran Vía)، التي تعتبر رمزا للتحديث في العاصمة الإسبانية بعماراتها وناطحات السحاب، ومقرات لشركات كبرى مثل تليفونيكاً. تتناول الرواية بشكل إبداعي رائع علاقات مختلف أطراف المجتمع التي تستوطن هذا الفضاء. وفي ذلك يكون المبدع ماكس أوب قد استحضر توجيه الكاتب الإسباني الكبير، الذي يمثل تيار الواقعية بإسبانيا القرن التاسع عشر، بينيتو بيرز غالديس. حيث كان يقر دائما أن الروائي دائما ما يأخذ عن الفضاء الذي يستوطنه المادة الأولية لينتج نفس المكون في قالب إبداعي يتسم بالتماهي مع الواقع المعاش (Max Aub, 1967, p.173).

تتميز رواية بال بيردي بأبعادها المتعددة، وكثرة المواضيع والشخص، وكل ذلك مصاغ بصنعة روائية غاية في الإتقان والروعة. وهكذا، نجد أن بنية الرواية تحتوي على عدة مستويات متداخلة:

يتمحور المستوى الأول حول شارع فال بيردي والمزمل والبوابة وثلاثة أشخاص أساسية: مارغا (Marga) وأبوها السيد فيديل (Fidel) وعمتها فيلي (Feli). إذ دون الخروج من المنزل رقم 32، يجد القارئ نفسه في المستوى الثاني الذي يحكي قصة الرسام الذي يطلق عليه ميراليس (Miralles) بمعية زوجته وبنتيه باكيثا (Paquita) وإيزابيل (Isabel). في هذا السياق، يتعرف القارئ عن عالم الصحافة بمدينة مدريد وعلى رواد المقاهي الأدبية وعلى دور الضيافة، وذلك عن طريق الأشبيلي مانويل كانتويسو (Manuel Cantueso)، خطيب باكيثا. وبقدرة عالية، يستطيع الكاتب ماكس أوب، في هذا المستوى، المزج بين الواقع التاريخي والواقع المتخيل من طرفه.

أما المستوى الثالث، فيختلف كثيرا ويمكننا تسميته "باكتشاف مدريد من طرف فيكتوريانو تيريزا (Victoriano Terraza)، أحد الشخصيات المتميزة في الرواية. هذا الشاب الذي ينتسب إلى مدينة بلنسية، الطموح أتى إلى مدريد وبحوزته رسائل توصية إلى مدير جريدة، عنوانها على الأرجح إل ليبرال (El Liberal).

ويمتاز المستوى الرابع بإعطاء الأولوية لما هو تاريخي مثل المحاولة الانقلابية الفاشلة ضد الجنرال خوسي بيريمو دي ريبيرا والمعروفة تاريخيا بسانجوانادا¹ أو (Sanjuanada). ومن خلال تناوله هذه الأحداث التاريخية، يقدم الكاتب تحليلا سيكولوجيا لشخصيات تاريخية معروفة، مثل فيرمين غالان (Fermín Galán) وأنطونيو ماريا سبيرت (Antonio María Sbert). وبواسطة أحد شخصيات الرواية مولينا (Molina) ذات الأصل الجبلي، نلج لمستوى هامشي من الرواية، ولكن له أهمية كبرى لأنه يمكن القارئ من التعرف على أوساط بورجوازية شمال إسبانيا، التي لعبت دورا غاية في الأهمية في إسبانيا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر. يأتي أخيرا المستوى الخامس من الحكى الذي يعالج العلاقات الاجتماعية بين عدة أشخاص في فضاء شارع فال بيردي، مثل العلاقات المتأزمة بين الزوجين خواكين (Joaquín) ومارغا والخيانة الزوجية لغابرييلا (Gabriela) ومولينا (Molina)، بالإضافة إلى فشل العلاقة الغرامية بين كانتويسو وباكيثا (Max Aub, 1970, p. 46).

جدير بالذكر أن هذا المستوى الخامس والأخير من الحكى يكتسي أهمية بالغة، من حيث التطرق إلى العلاقات الاجتماعية المتردية كما سبق الذكر، إضافة إلى التطرق إلى أحداث تاريخية وقعت في العاصمة الإسبانية آنذاك، من قبيل المنفى الاختياري للسياسي المعروف سانثيز غيرا (Sánchez Guerra)، والتنام المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي العمالي الإسباني الذي تمخض عن رفض أي تشارك مع حكومة يرأسها الديكتاتور خوسي أنطونيو بيريمو دي ريبيرا. من أبرز التقنيات التي استعملها ماكس أوب في روايته هذه، لجوؤه إلى تقنية الرسائل المتبادلة بين العديد من الشخص. يتعلق الأمر بتقنية معروفة يستعملها كبار الروائيين

¹ يعرف انقلاب سنة 1926 في إسبانيا أيضًا باسم سانجوانادا لأنه كان من المقرر إجراؤه ليلة 24 يونيو، ليلة سان خوان، انقلابًا فشل في محاولته لإنهاء دكتاتورية برمو دي ريبيرا، التي تأسست في إسبانيا عن طريق انقلاب آخر في سبتمبر 1923. هذه كانت أول محاولة انقلابية ضد الديكتاتورية.

بغرض إيصال مجموعة من المضامين ذات أهمية قصوى، مثل التقنية التي اعتمدها الروائي الإسباني خوسي كادالسو (José Cadalso) في عمله الرائع "رسائل مغربية" أو (Cartas Marruecas) الذي تم إصداره في القرن الثامن عشر سنة 1774. وهكذا، فإن رسائل الملم باللغة والثقافة الإسبانية، الشاب أندري باريون (André Barillon)، المتواجد في مدريد آنذاك وأحد شخوص الرواية، تعتبر من أروع مقاطع هذه الرواية. ففي إحدى الرسائل، يقوم بتمجيد دور الضيافة، وفي أخرى نجده يصف بدقة وإتقان متناهيين النقاشات المستفيضة التي كانت تستضيفها المقاهي الأدبية. ورسائله هذه كانت تحمل تواريخ إرسالها، ومكان كتابتها، مدريد 1926 و1927.

تعود أهمية الرواية إلى نجاح ماكس أوب في رصد التفاعل بين الفضاء الاجتماعي والظرفية التاريخية، وخير دليل على ذلك تميز الرواية بإظهار الدقة في توقيت حدوث المعطى التاريخي مع الخوض في تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع المديدي في تلك الحقبة. أما من ناحية التعبير اللغوي، فنجد الكاتب يعتمد عدة مستويات لغوية. ولعل لجوؤه في بعض فصول الرواية إلى اللهجة العامية التي كانت تتكلم بها ساكنة مدريد في عشرينيات القرن الماضي ليعتبر من أهم الخصائص التي تميز الشكل التعبيري للكاتب. استعماله لهذا النمط التعبيري لم يكن وليد الصدفة، بل كان الهدف منه تبيان نوعية اللغة المستعملة من طرف مختلف أطراف المجتمع الإسباني بحاضرة مدريد آنذاك. ففي نقاشات الأدباء والمثقفين في المقاهي الأدبية، نجد أن اللغة المستعملة لغة أكاديمية عامة. أما الشخوص المنتمون لعامة الشعب فيستعملون في الرواية مختلف اللهجات العامية المتداولة، وفي هذا الإطار يجب التنويه إلى حضور مستويات عدة من اللهجة العامية الإسبانية. السبب هو بما أن مدريد هي العاصمة، أي القطب الاقتصادي والثقافي للدولة، فإن عددا كبيرا من سكان مختلف مناطق إسبانيا يؤمن للعيش فيها. لذلك نجد في الرواية تواجد مختلف لهجات التي يستعملها شخوص الرواية المنتمون إلى مختلف جهات هذا البلد (Max Aub, 1970, p.49).

2.3. رواية النوايا الحسنة أو "Las buenas intenciones"

تعتبر رواية "النوايا الحسنة" للكاتب ماكس أوب امتدادا لإرث أشهر وأكبر روائي إسبانيا في القرن التاسع عشر بينتو بيرز غالدوس. وهذا ما يفسر إهداء الرواية إلى ممثل الواقعية بإسبانيا القرن التاسع عشر من طرف ماكس أوب. قام بكتابة هذه الرواية في ربيع سنة 1953، ونشرها سنة بعد ذلك. إنها رواية شخص كان يعتبر النية الحسنة هي الوسيلة للنجاح في الحياة. بطل الرواية هو أغوستين ألفارو (Agustín Alfaro) الابن الوحيد في عائلته. كان هذا البطل ضحية لقناعته بأن النية الحسنة هي قدره وسبيل سعادته، إلى أن تسبب له ذلك في الفاجعة. وكما يقول المثل فلطالما كان طريق جهنم معبدا بالنية الحسنة (Max Aub, 1970, p.52).

ليس من قبيل المبالغة التأكيد على أن رواية "النوايا الحسنة"، بما تحمله من سخرية مريرة، تعتبر عبرة وتحذير لكل أولئك الذي يعتقدون بأن عدم الالتزام هو الحل الصائب في الحياة. وهذا كان السبب الرئيسي لمأساة أغوستين ألفارو، بحيث أنه تخلى بذلك عن حريته الشخصية وجعل الآخرين يلتزمون عوضه، وبالتالي يقرن مصيره. ومن تم قام بربط مصيره بأبيه وعائلة أنخليتا (Angelita) الذين أجبروه على الذهاب إلى مدينة (Alicante)، بينما هو كان يفضل السفر إلى إيبيزا (Ibiza) بجزر البليار. كانت حياته كما مقتله مشروطتين بنوعية طبعه المتميز بغياب القدرة على اتخاذ القرارات. كان (Agustín) شخصا خجولا جدا وضحية لتربية قوامها نسق فكري يعتبر أن الطفل النموذجي هو الذي يتميز بالنوايا الحسنة ولا يقوم بأي شيء. وبسبب تلك التربية كانت حياته عبارة عن سلسلة من الانكسارات والإحباطات، مثل فقدان عشيقتة التي كانت الوحيدة القادرة على إنقاذه.

من جهة أخرى، فإن هذه الرواية الرائعة تعبر عن عدة فئات اجتماعية، حيث نجد البقالة والتجار عديهي الضمير، بالإضافة إلى حثالة ورعاع المجتمع. علاوة على مستوى الرداءة والانحطاط الذي يميز أصناف مهمشة من المجتمع.

تمتاز رواية "النوايا الحسنة" ببنية درامية متقنة التي لا بد من الإشارة إليها. ففي الفصلين الأولين يتم طرح الإشكالية التي تقودنا مباشرة إلى عقدة القضية، التي تتألف من الجزء الأول الذي يمتد جغرافيا بين حاضرة مدريد وزاركوزا. بعد ذلك، يأتي الجزء الثاني الذي يتصادف مع تواجد (Remedios) بمدينة برشلونة، يتم التطرق فيه إلى قصة شخصية تولا أو (Tula) ولقاء الذي جرى بين المرأتين. أما الجزء الثالث فيختصر في معادلة (Agustín – Angelita) و الجزء الرابع يتعلق بالحرب وبمدينة مدريد التي لازالت ترزح تحت وطأة المأساة. الخاتمة والتي هي عبارة عن حل لعقدة القضية بطريقة غاية في الإتقان والروعة من طرف المبدع ماكس أوب. ويتجلى حل هذه العقدة في مقتل أغوستين بدون سبب، اللهم أنه لم يكن على وعي بما يجري. وفي الواقع، مأساة هذا الشاب ترجع أولا وأخيرا إلى تشبته بالنوايا الحسنة كسبيل وحيد للعيش. وعلى خلاف ذلك، فإن أباه السيد ألفارو مريا خوسي (Alfaro María José)، كما يتبين في آخر الرواية، يوجد على طرف نقيض من ابنه، نظرا لنفاقه وميولته الشريرة (Max Aub, 1970, p.56).

3.3. رواية لويس ألبارث بترينيا أو " Luis Álvarez Petreña "

تعتبر رواية لويس ألبارث بترينيا أول الأعمال التي كتبها ماكس أوب، حيث قام بنشرها سنة 1934. تتميز هذه الرواية بكونها رسائية وتتضمن تحليلا عميقا لنفسية البطل لويس ألبارث بترينيا (Max Aub, 1970, p.62).

وهكذا؛ فإن لويس ألبارث بترينيا كان همه أن يكتب ويحب. لكنه لم يجد نفسه في أي منهما. إنه الشخص الذي يعاني وسط أزمة خانقة في ظروف تاريخية صعبة للغاية أدت به إلى وضع حد لحياته. هذا المآل المأساوي يتعارض مع رباطة الجأش، والقدرة على مجابهة الصعاب لكاتب الرواية ماكس أوب. يتعلق الأمر بنهاية تراجيدية لبطل الرواية التي تجعل القارئ يقارن بين الهشاشة النفسية للشخص المحوري في الرواية والصبر على المعاناة لكاتبها. وكأن ماكس أوب يريد أن يوحى لقرائه بأن الصبر والثبات على المواقف في أحلك الظروف كما عاشها هو، هي أرقى وأنبى سمات النضال، على خلاف بطل الرواية الذي انهار ولم يستطع مواجهة ظروف صعبة كما الحال بالنسبة للكاتب. ولإيضاح هذه الفكرة الأساسية في هذه الرواية، وجبت الإشارة إلى عزلة لويس ألبارث بترينيا وسببها، ليس راجعا كما يتبادر للذهن إلى الإحباط، ولكن إلى انعدام أي أفق للكتابة في إسبانيا، كما يتبين من خلال كلامه هذا:

"El ser escritor hoy en España es una continua desesperanza" (Max Aub, 1970, p.63).

أي أن فعل الكتابة في إسبانيا الراهنة يعتبر بمثابة خيبة أمل مستمرة.

إن انتحاره لا يرجع إلى مشاكل غرامية مع حبيبته لورا أو (Laura)، حيث إن علاقتهما لم تكن تعترها مشاكل، وإنما إلى الإحباط الذي أصابه نظرا لقناعته أن الإبداع الأدبي لا قيمة له في إسبانيا.

فاجعة لويس ألبارث بترينيا لا يجب أن تدفع القارئ إلى الاستنتاج بأنها رواية رومانسية وعاطفية. يجب فهمها على النقيض من ذلك تماما. ذلك أن توالي الصفحات تجعل القارئ يتابع أول بأول وقائع الأزمة النفسية وهول المأساة التي أصابت بطل الرواية، عندما اختار وضع حد لحياته بلجوئه إلى الانتحار. والغرض من ذلك هو أن الكاتب يريد إيصال فكرة مفادها أن اختيار لويس ألبارث بترينيا لهذا المصير المحتوم كان خطأ فظيحا.

قراءة هذا العمل الإبداعي الأول لماكس أوب ضرورية جدا لفهم واستيعاب الكم الهائل والرائع لإبداعاته على امتداد كل مراحل حياته. ورغم أن رواية لويس ألبارث بترينيا تعتبر أولى باكورات أعماله الأدبية، فإن مستواها الفني يضاهي الأعمال الإبداعية الأدبية ذات الشهرة الواسعة حينئذ.

لقد أبدع ماكس أوب هذه الرواية سنة 1934، أي خلال حكم الجمهورية الثانية بإسبانيا الذي كان من أبرز داعميها. خلال سنة 1934، قام التحالف اليساري الذي كان يشكل هذه الحكومة التقدمية بإصدار قانون الإصلاح الزراعي. حيث شكل هذا القانون ثورة اجتماعية وسياسية كبيرة جدا، لأنه كان يتوخى القطيعة مع أبشع استغلال تعرض له العالم القروي في إسبانيا على مدى قرون. إذ كان تحالف الإقطاع والكنيسة بالإضافة إلى الطغمة العسكرية يستولي على كل مقدرات البلاد الفلاحية. شكل هذا الحدث التاريخي الشرارة التي جعلت هذا التحالف يشرع في التهيئة للانقضاض على الحكم بواسطة انقلاب عسكري ضد الحكومة الشرعية للجمهورية الثانية. وهذا ما وقع خلال الحرب الأهلية.

في رواية لويس ألبارث بترينيا التي يصادف نشرها إعلان قانون الإصلاح الزراعي يستشرف الكاتب ماكس أوب مخططات الحلف المناوئ للجمهورية الثانية، عبر رفضه للخنوع والإحباط لشرائح من المجتمع الإسباني والتي يرمز إليها بطل الرواية ألبارث بترينيا.

ولعل التضاد بين القدرة الفائقة على التحمل التي يتميز بها الكاتب والانهيار السريع لأحد شخصيات روايته، وفي هذه الحالة لويس ألبارث بترينيا، يبين بما لا يدع مجالا للشك أن طريق الالتزام باللحظة التاريخية يتطلب مقاومة الصعاب وعدم الاستسلام. إن هذه الخلاصة تبرز بجلاء أهم ثابت بنيوي في كل إبداعات ماكس أوب، وكذلك في التزامه بالقضايا العادلة. ولهذا، بما أن رواية لويس ألبارث بترينيا هي أولى إنتاجاته الإبداعية الغزيرة، فهي خير شاهد على نضج الكاتب ووعيه بقضايا عصره منذ حداثة سنه. وهكذا فماكس أوب بقي طوال حياته وفيها لمبادئه والتزامه، علاوة على علو كعبه في التطرق إلى جل الأجناس الأدبية من رواية ومسرح وقصة قصيرة وشعر وكتابة السيناريوهات السينمائية والفنون التشكيلية.

لكل ذلك يعتبر ماكس أوب بحق من أهم المبدعين والمثقفين الذين أثروا وتأثروا بكل حدث جليل وقع في القرن العشرين. من الحرب العالمية الأولى التي أثرت أحداثها في تكوينه وهو يافع صغير السن، إلى المخاض العسير الذي عاشته إسبانيا في عشرينيات القرن الماضي. وكانت قمة عطائه في مجال الفكر والممارسة السياسية لخدمة القضايا العادلة إبان الحرب الأهلية الإسبانية ومقاومته الطغمة الفاشية بزعامة فرنسيسكو فرانكو.

4. خاتمة

ختاما، وأخذا بعين الاعتبار الثقل والمكانة المتميزة التي استطاع ماكس أوب أن يتبوأها بين كتاب ومبدعي القرن العشرين، فإننا نؤكد أن الساحة الثقافية العربية هي بحاجة للتعرف على مبدع من طراز ماكس أوب، الذي يعتبر نموذجا للمثقف الملتزم بقضايا عصره. إن حياته الشخصية المليئة بالمعاناة والأحداث الجسام، والتي كان سببها الأساسي الانخراط في دفاعه المستميت عن القضايا العادلة التي تهم الإنسانية جمعاء، يجب أن تكون مصدر إلهام لكل كاتب يريد أن يكون صوتا معبرا يعكس الواقع الذي يعيشه. كما أن إبداعاته الغزيرة التي توائم بين المستوى الفني الرفيع والقناعات المبدئية التي لم يحد عنها يوما، تجعل منه مثالا يحتذى به، خاصة في عالمنا العربي الراهن الذي تواجهه تحديات مصيرية. ولهذا نؤكد مرة أخرى أن نموذج ماكس أوب، كـمثقف عضوي وملتزم، يجب أن يحذو حذوه المثقفون العرب في هذا الظرف العصيب الذي يمر به العالم العربي.

وفي نظرنا من أهم الخلاصات التي يمكن استنباطها من هذه المقالة هي أن المثقف لا يجب أن ينعزل في برجه العاجي أو يتوارى إلى الخلف، بل عليه واجب الالتزام بهذه اللحظة التاريخية المساوية. إن الأهمية القصوى لماكس أوب كنموذج تكمن أيضا في تجاوزه ومعالجته للمعضلات العرقية والمذهبية التي يعاني منها عالمنا اليوم عموما، والبلاد العربية خصوصا. وفي هذا الإطار، فإن ماكس أوب، اليهودي الديانة والمتعدد الجنسيات، كان الإنسان هو همه الأول بغض النظر عن ديانته أو منشئه أو عرقه.

من جهة أخرى، فإن قدرته الاستشرافية التي لا تضاهي تعتبر منارة، لأي مثقف همه الالتزام بالقضايا الإنسانية. فعلى سبيل المثال، خلال حكم الجمهورية الثانية، كان ماكس أوب يدافع بشراسة عن قيم اليسار التي كان يشاركها مع تحالف اليسار الجمهوري، ولكنه كان ينتقد منطق الحزب والولاء للزعيم. بحيث أن المثقف بالنسبة إليه يجب أن يكون حرا في فكره وعصيا عن الانصياع للتوجيهات المفروضة من قادة الأحزاب اليسارية. وكان ماكس أوب، وهو أحد رواد هذا الموقف الصائب، ممن تنبؤا بتجاوزات وأخطاء هذه الأحزاب التي يتقاسم معها القيم اليسارية، ولكنه كان دائم الرفض لتدجين مناضليها، وخاصة المثقفين منهم.

وصفوة القول، يمكن الجزم بأن ماكس أوب يعتبر نموذج المثقف الشاهد والفاعل في عصره، أي القرن العشرين، الملمء بالأحداث الجسام. ولعل الأعمال الإبداعية التي سبق وأن أشرنا إليها في هذه المقالة لتعتبر جزء من كم هائل من إنتاجاته التي كرس وأبرزت مواقفه ونضالاته.

5. المراجع:

- Aldás Nos, Eloías (2001). *El testimonio literario de Max Aub sobre los campos de concentración en Francia (1940 – 1942)*. Castellón: Universidad Jaume I.
- Aragüés Estragués, Juan Manuel (2020). *Sartre y la guerra civil española*. Recuperado de: <https://www.elsaltodiario.com/el-rumor-de-las-multitudes/sartre-y-la-guerra-civil-espanola>.
- Camus, Albert (1967). *El mito de Sísifo*. Buenos Aires: Losada
- Claret, Jaume (2016). *Breve historia de las Brigadas Internacionales*. Madrid: Catarata.
- Fernández-Alfaro, Pablo La Porte (1997). *El desastre de Annual y la crisis de la Restauración en España (1921-1923)*. Madrid: Universidad complutense de Madrid
- Malgat, Gérard (2007). *Max Aub y Francia o la esperanza traicionada*. Segorbe: Editorial Renacimiento.
- Malgat, Gérard (2011). Las obras testimoniales de Max Aub sobre la guerra de España: las difíciles memorias de la derrota y del exilio. *AMNIS*. Doi: <https://doi.org/10.4000/amnis.1514>.
- Malraux, André (1937). *L'espoir*. Paris: Gallimard.
- Max, Aub (1944). *Diario de Djelfa*. Valencia: Denes.
- Max, Aub (1966). *Mis páginas mejores*. Madrid: Gredos
- Max, Aub (1967). *Pruebas*. Madrid: Ciencia Nueva.
- Max, Aub (1970). *Buenas intenciones*. México: Aguilar.
- Max, Aub (1970). *Fabula verde*. México: Aguilar.
- Max, Aub (1970). *La calle de Valverde*. México: Aguilar.

- Max, Aub (1970). *Luis Álvarez Petreña*. México: Aguilar.
- Max, Aub (1970). *Novelas escondidas*. México: Aguilar.
- Max, Aub (1970). *Yo vivo*. México: Aguilar.
- Ossa Martínez, Marco Antonio (2015). Pablo Neruda y la guerra civil española: vivencias, relaciones, exilio y esperanza. *ArtsEduca*, (10), (72 – 95).
- Putnam, Thomas (2006). Hemingway sobre la guerra y sus secuelas. *Nacional Archives*, 28 (1). Recibido de: <https://www.archives.gov/espanol/prologue/hemingway>.
- Sánchez Zapatero, Javier (2010). *Escribir el horror, literatura y campos de concentración*. Madrid: Editorial Montesinos.
- Traychov Kotsev, Miroslav (2014). *Aproximaciones a la literatura concentracionaria de Max Aub: Vernet, 1940; El limpiabotas del Padre Eterno y El cementerio de Djelfa*. Valencia: Universidad de Valencia.
- Vallejo, César (1987). *Poemas Humanos: España, aparta de mí este cáliz*. Madrid: Editorial Castalia.
- Vinals, Carole (2006). André Malraux y Max Aub: dos visiones de la guerra civil española. En Bruña Cuevas, Manuel y alt. *La cultura del otro: español en Francia, francés en España* (745 – 754), Universidad de Sevilla.



التكامل المعرفي في المعجم العربي بين القديم والحديث

Ancient and modern knowledge integration in the Arabic lexicon

أ.م.برز. إدريس شرفي علوي، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين مراكش أسفي، المغرب

P. AG. Driss Chrifi Alaoui, Regional center for education and training professions, Morocco

Abstract

Knowledge integration of linguistic sciences is an inherent feature of ancient Arabic linguistic thought. Older classifications tend to be general in dealing with their language issues. Take for instance the most famous ancient Arabic works such as "ALKITAB" of Sībawayh, "ALKHASSAIS" of Abu Al-Fath, "ALKAMIL" of "AL-Mubarrid", and other works to observe this integration, in such a way that these works make each other a reference for the modernists in their different disciplines and fields of study.

These sciences appear to be in a necessary complementary relationship when it comes to the lexicon; the latter could not be established in isolation of the other sciences. However, the compiled lexical works vary in integration. This is mainly due to their differences in terms of methodology, method of arranging materials, and objectives of authorship.

Not only does this integration stop at the old perceptions of the dictionary, it also finds itself incorporated in modern perceptions of linguistic theories that never ceases to focus on this integration, basing its perception on the relationships between linguistic sciences, and sometimes links the fallback of Arabic dictionaries to its complete failure to scientifically link the different linguistic levels.

It appears that this research will attempt to answer the problem of integration between sciences in the Arabic lexicon, ancient and modern. It will also seek to clarify the existing differences in the forms of this integration, and the nature of the sciences that each lexical achievement called for. Not to mention the corrections made by the modern lexicon to the old lexicon in the matter of integration between sciences.

Key words : Knowledge integration - lexicon - ancient perceptions- linguistic theories.

ملخص:

إن منهج التكامل المعرفي بين العلوم اللغوية سمة أصيلة في الفكر اللغوي العربي القديم. كما أن التصنيفات القديمة مالت إلى هذا النهج في التأليف مبتعدة عن التخصص في تناول قضاياها اللغوية. ولناخذ أشهر المصنفات العربية القديمة ككتاب سيبويه، وخصائص أبي الفتح، وكامل المبرد وغيرها لنلاحظ هذا التكامل بقدر يجعل كل مصنف مرجعا للمحدثين باختلاف تخصصاتهم، ومجالات اشتغالهم.

وتبدو هاته العلوم في علاقات تكاملية لا تنفك حينما يتعلق الأمر بالمعجم؛ فلا يبدو قيامه ممكنا بمعزل عن العلوم الأخرى. لكن المصنفات المعجمية تفاوتت فيما بينها في هذا التكامل. وذلك راجع بالأساس إلى الاختلاف الحاصل بينها فيما يتعلق بمنهج الاشتغال، وطريقة ترتيب المواد، والغايات المنشودة من التأليف.

كما أن هذا التكامل لا يقف عند التصورات القديمة للمعجم، بل نجد حضورا له في التصورات الحديثة للنظريات اللسانية التي ما فتئت تركز على هذا التكامل، وتبني تصورها على العلاقات القائمة بين العلوم اللغوية، وترهن أحيانا تعثر المعاجم العربية بفشلها الذريع في الربط العلمي بين المستويات اللغوية المختلفة.

ويظهر مما تقدم أن هذا البحث سيحاول الإجابة عن إشكالية التكامل بين العلوم في المعجم العربي قديما وحديثا. كما أنه سيعتمد إلى استجلاء الفروق القائمة في أشكال هذا التكامل، وطبيعة العلوم التي استدعاها كل منجز معجمي. ناهيك عن الاستدراكات التي سجلها المعجم الحديث على المعجم القديم في مسألة التكامل بين العلوم.

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي- المعجم- التصورات القديمة- النظريات اللسانية

مقدمة

إن المتأمل في المعاجم العربية القديمة يلاحظ ذلك الحضور اللافت لمختلف العلوم اللغوية في ثناياها. وهذا الأمر يؤكد الصفة التركيبية للعقلية العربية آنذاك. وهو ما يجد تبريرا له من خلال مختلف العلوم والمعارف التي خاض فيها السلف؛ فتجد الرجل منهم نحويا وبلاغيا وفقهيا ومحدثا وفلكيا وطبيبا في الآن نفسه. عكس ما بات عليه الحال اليوم حيث بدأ يطغى التخصص الدقيق لدى الأفراد بشكل يجعل معرفتهم بباقي الحقول منعدمة أحيانا.

وحتى لا نبتعد عن الموضوع الذي نود الخوض فيه، نقول إن هذا التكامل بين العلوم يتبدى في أوضح صورته حينما يتعلق الأمر بالمعاجم العربية وبمؤلفيها. فنجد المعجمي يستدعي قدراته ومعارفه النحوية والبلاغية والصرفية والفقهية خلال عرضه للمادة المعجمية الواحدة. وعليه، تغدو المعرفة المعجمية معرفة موسوعية لا تعترف بالحدود الفاصلة بين العلوم، بل ولا تقوم لها قائمة إلا من خلال العلاقات التي تقيمها بين تلك العلوم المختلفة.

ويجب ألا يفهم من ذلك أن درجة التكامل بين العلوم متساو بين جميع المعاجم. بل على العكس من ذلك نجد التفاوت قائما بينها في إدراك واستثمار هذا التكامل بناء على الاختلاف القائم بينها في نوع المعجم، ومرجعياته، وزمنه، ومنهجه في ترتيب المادة المعجمية.

وقد حاولت المعاجم الحديثة، على الطرف الآخر، أن تنهج منهج التكامل هذا آخذة بعين الاعتبار التغيرات الحاصلة في الحياة العامة، والتطور الذي عرفته مجموعة من العلوم، وظهور علوم جديدة لم تكن من قبل. وهو ما فرض على التأليف

المعجمي الحديث انفتاحا على علوم لم تؤسس المشهد المعجمي التراثي. لكن مع اختلافات وفروقات ستظهر في عرضنا لهااته القضية في السطور القادمة من البحث. وسيسمح إبراز ذلك الاختلاف بقياس مدى نجاعة المعاجم الحديثة في تجاوز اختلافات التكامل في المعجم العربي القديم، وفي مساندة الحياة العامة وما تعرفه من تطورات بدل البحث في لغة الأموات وما تركوه من ألفاظ.

1- التكامل المعرفي في المعجم العربي القديم

لا يخفى أن البناء المعجمي العربي القديم تأسس على مجموعة من القواعد الزمنية والمكانية التي حكمت مادته، وحددت عينته. فتميز المعجم العربي بالأخذ عن قبائل دون غيرها وفي أزمنة دون سواها.¹ ولا شك أن هذا النهج رغم ما سجله من نتائج إلا أنه فوت على المعجم مادة علمية كبيرة كانت ستسعه في التعبير عن مستحدثات الحياة العامة في المجتمع الإسلامي. كما أن هذا الخيار المنهجي لوضعي المعاجم العربية الأولى قيد كل اجتهاد بعده؛ فرأينا واضعي المعاجم اللاحقة يدورون في فلك المعاجم المؤسسة دون انتباه لمتغيرات الحياة العامة، وما استحدثت في الدولة الإسلامية من تغيرات حضارية وبشرية أثرت بشكل جلي على مفرداتها وتراكيبها وطرق كلامها، وأغفلت المتكلم الذي هو أصل الوصف المعجمي؛ فصارت تبحث في مادة معجمية لمتكلم ميت، وأغفلت المتكلم الحي الذي يتحرك أمام ناظرها.

ومن جملة ما تميزت به هذه المعاجم العربية القديمة التكامل بين العلوم والمستويات. ونسجل تباينا وتفاوتا في ذلك بين معاجم الألفاظ ومعاجم الموضوعات²، وسنمثل لذلك بمعجمين اثنين هما الصحاح للجوهري (ت 393 هـ)، ومبادئ اللغة للإسكافي (ت 421 هـ).

1-1-1 معجم الصحاح³ للجوهري (ت 393 هـ)

لقي معجم الصحاح شهرة كبيرة، وأوقع في خلافا كثيرة، وأسهم في بناء تصور ومنهج المعاجم التي جاءت بعده. واختارنا في هذه الورقة البحثية لكونه كتابا تأسيسيا يعكس التصور المعجمي للجوهري ولعاصريه من جهة، وباعتباره صورة مميزة لذلك التكامل الحاصل بين العلوم المختلفة من جهة ثانية. وسنحاول فيما يلي أن نرسم ملامح العلوم التي تداخلت في تأسيس هذا المعجم.

1-1-1-1 علم النحو

ينحو الجوهري في معجمه نحو اعتماد هذا العلم في إقامة لبنات كتابه. فنجده يجنح نحو بيان الوظائف النحوية، ويفرد لها مكانا إلى جانب المادة المعجمية. وهو بهذا الخيار المنهجي يبرز الدور الجلي الذي يضطلع به النحو في الإبانة عن المعاني، ويحصى السياقات المختلفة التي ترد فيها المفردة المعجمية؛ ذلك أن هذه المفردة تبقى مجرد أصوات لا تحمل أية فائدة بلاغية ولا خبرية ما لم تدخل التركيب. كما أن هذا الجنوح من الشيخ أبي نصر يمكن أن يفسر بالرغبة الجامعة لديه لتأكيد صحة اللغة من خلال إيراد الشواهد النحوية الكثيرة التي تطغى على معنى المادة المعجمية في كثير من المواضع. ويوضح تلك العلاقة التكاملية بين

¹ البستاني، عبد الله، البستان، ص 34

² تعرف معاجم الألفاظ كذلك بالمعاجم العامة، في مقابل المعاجم الخاصة التي تتصف بما معاجم المعاني.

³ اشتهر بالصحاح وعنوانه الكامل تاج اللغة وصحاح العربية

المعجم والنحو محمد أحمد أبو الفرج في قوله: "وكثير من اللغويين يعقدون صلة بين دراسة النحو وبين المعنى، ويجعلون دراسة اللغة في النحو، وتبين كيفية تأدية اللغة وظيفتها، موضحا للمعنى، لا غنى لنا عنه"¹.

ونوضح هذا التكامل بين علمي النحو والمعجم في كتاب الصحاح ببعض النماذج الممثلة. ففي مادة شَهْل يقول الجوهري: "شَهْل: الشُّهْلَةُ في العين: أن يشوب سوادها زرقة. وعين شَهْلَاء، ورجل أَشْهَلُ العين بين الشَّهْل. وأنشد الفراء: ولا عيب فيها غير شهلة عينها /// كذاك عتاقُ الطير شُهْلاً عيونُها. قال: وبعض بني أسد وقضاعة ينصبون غيرا إذا كان في معنى إلا، تم الكلام قبلها أو لم يتم"².

1-1-2- علم الصرف

يختص هذا العلم بالأفعال المتصرفة والأسماء المعربة، ويبحث في الأوجه المختلفة للبنية المعجمية الناتجة عن قواعد التصريف. ولا نكاد نجد مادة معجمية داخل الصحاح إلا ويقدم لها الشيخ الجوهري مختلف القضايا التصريفية التي تهتمها. بل إن عنايته بالبنية الصرفية للكلمات تتجاوز عنايته بالتركيب. فبينما يكتفي بإيراد الكلمات في السياقات المختلفة من الناحية التركيبية لبناء الدلالة المعجمية لها، نجده يعنى بجانب الصرف في معظم مواد الكتاب كما أسلفنا. ونمثل على ذلك بما أورده الشيخ في مادة أرط حيث يقول: "أرط: الأُرطى: شجر من شجر الرمل، وهو فعلى لأنك تقول: أديم مأروط: إذا دُبغ بذلك، وألفه للإلحاق لا للتأنيث لأن واحده أرطأة... وفيه قول آخر أنه أفعل؛ لأنه يقال: أديم مرطى، وهذا يذكر في المعتل، فإن جعلت ألفه أصليا نونته في المعرفة والنكرة جميعا، وإن جعلته للإلحاق نونته في النكرة دون المعرفة"³. فالشيخ أبو نصر اعتمد كثيرا من الأبواب الصرفية في تناوله لهاته المادة المعجمية وهي: الميزان الصرفي، والصحيح والمعتل، والمعرفة والنكرة، وعلامات التأنيث. وغايته في ذلك الإحاطة بالكلمة من جميع نواحيها. بل إن الملاحظ أن ما قدمه الشيخ من تحليل صرفي للكلمة يفوق ما أورده عنها في الجانب الدلالي.

ويورد الشيخ في موضع آخر من الصحاح: "شفه: الشَّفَّة أصلها شَفَهة؛ لأن تصغيرها شَفَهة. والجمع: شَفَاه بالهاء. وإذا نسبت إليها فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وقلت شَفِي، مثال: دمي، ويدي، وعدي، وإن شئت شفهي. وزعم قوم أن الناقص من الشفه واو؛ لأنه يقال في الجمع: شفوات"⁴. وتبرز في هذه المادة أيضا غزارة المباحث الصرفية ابتداء بباب التصغير، ومرورا بباب الجموع، وانتهاء بباب الإعلال.

ويمكن القول إن الاعتماد الكبير على المباحث الصرفية عند الجوهري علته هي إيمانه العميق بدور البنية الصرفية في الكشف عن المعنى. فليس الصرف عنده معرفة بأحوال الكلمة فقط، بل إن العلم عنده يلقي بسهمه في إمطة الغموض عن الكلمة، وإبراز المعاني المختلفة التي تأخذها بتغير الصور الصرفية التي تظهر عليها.

1-1-3- فقه اللغة

تعددت التعريفات التي قدمت لفقه اللغة بتعدد النظر إلى مجالات اشتغاله. وسنقتصر على تعريف واحد لصحبي الصالح حيث عرفه قائلا: "هو منهج للبحث استقرائي وصفي يُعرف به موطن اللغة الأول وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو

1 أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص 13

2 الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر، ص 620

3 المصدر نفسه، ص 36

4 المصدر السابق، ص 605

البعيدة الشقيقة أو الأجنبية، وخصائص أصواتها، وأبنية مفرداتها وتراكيبها، وعناصر لهجاتها، وتطور دلالتها، ومدى نموها قراءة وكتابة¹. ويظهر من خلال هذا التعريف أن العلوم التي يخوض فيها فقه اللغة تتعلق بعلم الأصوات، وعلم الدلالة، والتاريخ.

وتظهر العناية الكبيرة بمباحث فقه اللغة في تضاعيف معجم الصحاح في كثير من المواد. ففي مادة لبي مثلاً نجده يقول: "لبي: لبيت بالحج تلبية، وربما قالوا لَبَّأْتُ بالهمز وأصله غير الهمز. وَلَبَّيْتُ الرجل إذا قلت له لَبَّيْكَ. قال يونس بن حبيب النحوي: لبيك ليس بمثنى، وإنما هو مثل عليك وإليك. يقال أَلْبَبْتُ بالمكان وَلَبَّيْتُ لغتان: إذا أقمته به"². وفي شرحه لمادة "لبي" يشير الجوهري إلى أصل الكلمة حيث يذهب إلى أن عين الكلمة أصله ياء وليس همزة، كما يقف عند اختلاف اللغات/ اللهجات دون مفاضلة بينها. ويعرج على قضية الأضداد كمبحث من مباحث فقه اللغة في غير ما مادة. ومن أمثلة ذلك قوله في مادة "شَعَبَ": "شعبت الشيء: فرقته. وشعبت الشيء: جمعته. وهو من الأضداد. تقول: التأم شعبيهم إذا اجتمعوا بعد التفرق؛ وتفرق شعبيهم: إذا تفرقوا بعد الاجتماع"³. كما يميز بين اللغة المتروكة واللغة المستعملة كما يظهر في مادة "قرح" حيث يقول في كلمة "قُرْحَان": "والاسم: القرحة، وفي الحديث: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدموا المدينة وهم قرحان، أي لم يكن قد أصابهم قبل ذلك داء. وأما الذي في حديث عمر رضي الله عنه حين أراد أن يدخل الشام وهي تستعربا، إن من معك من أصحاب النبي قرحانون فلا تدخلها، فهي لغة متروكة"⁴. ويظهر هذا النص جانبيين اثنين من جوانب فقه اللغة التي تحدثنا عنها آنفاً. فنجد الجوهري توصل بالتاريخ تارة وهو يتحدث عن الطاعون الذي عرفته بلاد الشام. كما يفرق بين اللغتين "قرحان" و"قرحانون" باعتبار الأولى مستعملة حية، والثانية متروكة مهجورة.

4-1-1- علم المصطلح

يتخذ علم المصطلح من المفاهيم نقطة بدايته، ويعتمد على مجموع العلوم التي تضبط العلاقات بين المفاهيم وبين الأشياء. والاصطلاح كما يعرفه الشريف الجرجاني هو: "عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ اللغوي من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"⁵. ونستنتج من هذا التعريف أن هذا العلم ينهض على مجموعة من الشروط يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- المصطلح خاص بطائفة من الناس.

2- المصطلح انتقال من موضع أول إلى موضع ثان.

3- المصطلح انتقال من معنى لغوي إلى معنى غير لغوي لوجود علة هي المناسبة.

وانطلاقاً من هذه الخصائص، وبعودتنا إلى معجم الصحاح نجد أن الجهاز المصطلحي للعديد من العلوم والمجالات مبثوث بين ثنايا الكتاب. غير أن أبا نصر لم يفصل في المصطلحات الخاصة بكل حقل. فنجده يقدم تعريفات مقتضبة للمصطلحات

¹ الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص 21-22

² الجوهري، المصدر المذكور، ص 1021

³ المصدر نفسه، ص 599

⁴ المصدر السابق، ص 927

⁵ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ص 27

النحوية كقوله عن النعت: "هو الصفة، وقوله عن العامل: هو الذي يعمل"¹، وقوله عن الفعل بالكسر: "هو الاسم"². وقد يبدو هذا الأمر غريباً من الشيخ أبي نصر الذي رأيناه يفصل القول في أثناء حديثه عن القضايا الصرفية للكلمة المعجمية، وينحو النحو نفسه وهو يبحث في أصول الكلمة والاختلاف اللهجي فيها. لكن قد نجد لهذا الإحجام من الشيخ تفسيراً له في الشهرة الكبيرة التي عرفتها معاجم المعاني في تلك الفترة الزمنية؛ ذلك أن هذا النوع من التأليف قد عني بمصطلحات الحقول المختلفة، وألف رسالات في صنوف العلوم. ولما كان هذا هو مجال اختصاص هذا النوع من المعاجم فقد انماز عن معاجم الألفاظ التي كانت تتغيا تحقيق أهداف أخرى تتساقق والنهج المعتمد في تأليفها، وفي المعطيات المقدمة حول موادها. وستبرز فيما يلي الحضور المتميز لعلم المصطلح في بناء أحد معاجم المعاني وهو معجم "مبادئ اللغة" للإسكافي (ت 421 هـ).

2-1- مبادئ اللغة³ للخطيب الإسكافي (ت 421 هـ)

يتميز معجم مبادئ اللغة للخطيب الإسكافي بضمه لمفردات اللغة التي قد لا تجد حضوراً لها لا في معاجم الألفاظ ولا في معاجم المعاني.⁴ كما أنه يخوض في علوم مختلفة، ويصنع لها أبواباً هي بمثابة الجهاز المصطلحي الخاص بها. فنجد جزءاً من الكتاب مخصصاً لمصطلحات علم الفلك وقد توزع بين بابين: الأول: باب في ذكر السماء والكواكب، والثاني: باب أسماء الأزمنة والبروج والأوقات. ونجد جزءاً آخر مخصصاً لمصطلحات الطب، وآخر لمصطلحات المياه وأوصافها وأماكنها، وجزءاً لمصطلحات السلاح، وآخر لمصطلحات الطبيعة، وغير ذلك من الأبواب والأجزاء التي ضمها الكتاب بين دفتيه.

ولما كانت غاية معاجم المعاني مختلفة عن غاية معاجم الألفاظ، فإن التكامل المعرفي الحاصل فيها يختلف كذلك. فنجد عناية كبيرة بعلم المصطلح الذي يعد من أهم الروافد التي استقى منها الإسكافي مادة معجمه "مبادئ اللغة" كما يمكن أن نعد "المبادئ" جانباً تطبيقياً لعلم المصطلح. أما الجوانب الأخرى المتعلقة بعلوم الصرف والنحو وفقه اللغة والتأصيل فهي تتوارى في هذا النوع من المعاجم، ونمثل على ذلك ببعض المواد حيث يقول الخطيب في باب "أسماء البروج والأزمنة والأوقات": "الحَقْبَةُ: السنة والجمع الحَقْبُ. والحَقْبُ واحد وهو اسم لثمانين سنة وجمعه أحقاب. والقرن: ثلاثون سنة. والأمة: ثلاث سنين. والملي: السنة والسننتان. والبضع: ما بين عَقْدَيْن. والدهر: قيل أقله ستة أشهر، وهو الدهر، والمسند، والبرهة، والعصر. والحين: مختلف فيه وقيل: الأشد ما بين العشرين إلى الأربعين سنة مجرّمة: تامة"⁵.

نلاحظ من الأمثلة أعلاه أن الإسكافي لم يميز في تقليب المفردة، والبحث في صورها الصرفية، كما أنه لم يبحث في المعاني المختلفة للكلمة داخل السياقات المتباينة. وهذا ملمح بارز يوضح الاختلاف الحاصل بين منهج معاجم الألفاظ التكاملية، ومنهج معاجم المعاني.

إن العناية عند الإسكافي كانت بالمصطلح أكثر من باقي العلوم، ويقتصر الشاهد عنده على الشواهد الشعرية دون سواها. كما أن مقابلة الإسكافي لكثير من الكلمات بنظيرتها الفارسية تدعو إلى التساؤل حول الغاية من التأليف، والجمهور المقصود.

¹ الجوهري، المصدر المذكور، ص 1149

² المصدر نفسه، ص 893

³ يمتاز هذا المعجم عن غيره من المعاجم التي وضعت في نفس المجال، في أنه أفرد لكل موضوع باباً فحسب جمع فيه كل مفرداته، ولم يجعل للموضوع الواحد كتاباً مستقلاً، وهناك من عده شبه معجم وليس معجماً.

⁴ الإسكافي، عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، مبادئ اللغة، تحقيق عبد المجيد دياب، ص 7

⁵ الإسكافي، المصدر المذكور، ص 60-61

نخلص مما سبق إلى أن التكامل المعرفي في المعاجم العربية سمة مشتركة وحتمية تاريخية وعلمية لا محيد عنها. فعلى الرغم من التمايز الحاصل في صور التكامل هاته، والتفاوت المسجل في حجمه بين معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني. فإنه يبقى ملمحا مشتركا وسممة مميزة للتأليف المعجمي العربي القديم. ولما اختلفت الغاية من التأليف في هذه المعاجم، وتباينت المناهج المعتمدة من كل معجمي، وتفاوتت المادة المعجمية المقصودة، كان طبيعيا أن تتفاوت صور التكامل المعرفي فيها.

2- التكامل المعرفي في المعجم العربي الحديث

لقد راكمت المعجم العربي ثروة كبيرة تأسست على المنجز الهائل الذي أنتجته سيورة التأليف المعجمي العربي منذ النماذج الأولى إلى أيامنا هاته. ولما كانت العلوم، كما يقول غاستون بشلار، هي تاريخ أخطائها، فقد كان لزاما على التأليف المعجمي العربي الحديث أن يتجاوز أخطاء الماضي، ويؤسس لمعرفة علمية جديدة مواكبة للعصر. فنتج عن كل ذلك معاجم ألفاظ تجاوزت الصعوبات التي طرحها معاجم الألفاظ القديمة، ومعاجم متخصصة تقابل في بعض صورها معاجم المعاني القديمة. وغيرها من الأصناف المعجمية التي تباينت الغاية من تأليفها. وسنحاول في هذا المبحث رصد صور التكامل المعرفي الحاصلة في هذه المعاجم الحديثة من خلال الاشتغال بنموذجين اثنين هما: المعجم الوسيط ومعجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون لمجمع اللغة العربية.

2-1- المعجم الوسيط

تفطن مجمع اللغة العربية إلى الصعوبات والوعورة والمشقة التي يصادفها الباحث في المعاجم العربية التقليدية. فعقد العزم، واستنفر العقول العلمية، وضافر الجهود كي يخرج معجما علميا ميسرا يعين الدارس، ويستجيب لروح العصر، ويتجاوز الصعوبات التي تطرحها المعاجم التقليدية. وكانت ثمرة ذلك تأليفه للمعجم الوسيط سنة 1960 في طبعته الأولى¹. وتلت ذلك طبعات تنقيحية وتصويبية قدمت خدمة جليلة للغة العربية ولمنتسبها، بل ولغير منتسبها كذلك ممن عشقوا هذا اللسان، وتاقوا إلى تعلمه. وسنبرز فيما يلي مختلف العلوم التي تفاعلت فيما بينها كي تقدم للدارس معجما عربيا عصريا يفيد من الماضي، ويعايش الحاضر، ويستشرف المستقبل.

2-1-1- العلوم اللغوية العربية

عكس ما كان عليه الحال في معاجم الألفاظ القديمة التي تحتفي أيما احتفاء بعلوم اللغة، وتكاد تضاهي كتب النحو والصرف والبلاغة في المعلومات التي تقدمها حول موادها، فإن الأمر قصر في المعجم الوسيط. ويرجع ذلك إلى الغاية الثابتة وراء تأليفه حيث جاء في مقدمة الطبعة الثانية: "والحق أن المجمع أراد لهذا المعجم أن يفي بالحاجة إلى معرفة ألفاظ العربية ودلالاتها المختلفة، فكان من هم لجان الإعداد والتحرير، للوفاء بذلك، أن تحشد ما يمكن أن يتسع له مثل هذا المعجم من الألفاظ، لتحقيق غرضين، أحدهما: أن يرجع إليه القارئ المثقف ليسعفه بما يسد الحاجة إلى تحرير الدلالة للفظ شائع أو مصطلح متعارف عليه. والغرض الآخر: أن يرجع إليه الباحث والدارس بما تمس الحاجة إليه من فهم نص قديم من المنثور أو المنظوم"².

ويظهر من خلال هذا النص أن الغاية العظمى من وراء تأليف المعجم تتعلق بالدلالة أساسا؛ أي أن علم الدلالة (sémantique) بما هو بحث في جوهر كلمات المعجم ومضامينها، ووقوف على الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا

¹ تشكلت اللجنة التي عهد إليها بوضع الطبعة الأولى من هذا المعجم من: إبراهيم مصطفى - أحمد حسن الزيات - حامد عبد القادر - محمد علي النجار.

² المعجم الوسيط، ص 7

على حمل المعنى.¹ وهذا لا يعني غياب العلوم الأخرى السالفة الذكر إذ يبقى حضورها أمراً حتمياً لكنه أصبح حضوراً مقنناً لا إسهاب فيه. فظهر النحو من خلال السياقات المختلفة التي ترد فيها الكلمة، وظهر الصرف بتقديم بعض مشتقات الجذر المعجمي، وكذا من خلال الشكل الذي غدا دافعاً لأي التباس ممكن في الدلالة الصرفية للكلمات. كما أن الشواهد تراجعت كثيراً مقارنة بما كان عليه الحال في معاجم الألفاظ القديمة. ولتأخذ مثلاً مادة بَهَقَ: "بَهَقَ بَهَقًا: أَصَابَهُ الْبَهَقُ. فَهُوَ أَبْهَقٌ وَهِيَ بَهَقَاءٌ. ج بُهُقٌ"². فالملاحظ من خلال هذا المثال أن المعلومات المتوفرة حول هذا المدخل في المعجم الوسيط تتعلق بالصرف من خلال إيراد صفة الفعل المذكورة والمؤنثة، والجمع (بُهُقٌ)، والمصدر (بَهَقٌ)، والتركييب من خلال ورود الكلمة في سياق الجملة "أصابه البهق"، والأصوات المتحركة التي تشكل في مجموعها دلالة المفردة. لكن كل ذلك يتصافر لبناء الدلالة وإيضاحها وهي غاية المعجم كما جاء في النص أعلاه.

2-1-2- اللسانيات الحديثة

تأثر المعجم العربي بمختلف النظريات اللسانية الحديثة، وكان لها الأثر البالغ في توجيه النظر والمنهج لدى العديد من صانعي المعاجم الحديثة. فنجد البنيويين مثلاً نظروا إلى المعجم باعتباره لائحة من الكلمات وبالتالي فهو لا يحمل سمات النسق اللغوي.³ عكس ما نجده عند التوليديين الذين يرفضون هذا الطرح، ويقيّمون علاقات بين النحو والمعجم حيث يعدون هذا الأخير مكوناً من مكونات النحو، ويرون أن الارتباط وثيق بين القواعد المركبية والقواعد المعجمية، وهو ما حدا بعبد القادر الفاسي الفهري إلى اعتبار المعجم نسقاً علائق دلالية وتركيبية وصوتية وصرفية متكاملة.⁴ وسنبين فيما يلي بعض النظريات اللسانية التي اعتمدها مجمع اللغة العربية في بناء المعجم الوسيط.

أ- اللسانيات التوليديّة

يثني عبد القادر الفاسي الفهري رائد اللسانيات التوليديّة في العالم العربي على المعجم الوسيط لأنه حاول أن يتجاوز ذلك المنهج الإقصائي القائم على ثنائية الزمان والمكان في قبول الوحدات المعجمية؛ إذ إن البحث المعجمي في نظره يجب أن يتركز على الملكة المعجمية للمتكلم لا أن يقف عند لغة الأسلاف.⁵ وهذا الأمر نجده مصرحاً به في مقدمة المعجم الوسيط حيث يقول عنه مؤلفوه: "وقصرهمه على اللغة قديمها وحديثها، وتوسع في المصطلحات العلمية الشائعة، ودعا إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة، وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة، ففتح باب الوضع للمحدثين، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء، وعمم القياس فيما لم يقس من قبل، وأقر كثيراً من الألفاظ المولدة والمعربة الحديثة، وشدد في هجر الحوشي والغريب".⁶

ب- اللسانيات الاجتماعية

¹ عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 11

² المعجم الوسيط، 94

³ حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، ص 314

⁴ الفاسي الفهري، المعجم العربي نماذج تحليلية، ص 24

⁵ المرجع نفسه، ص 19

⁶ المعجم الوسيط، ص 13 14

يظهر استثمار المعجم الوسيط لهذا المدخل اللساني من خلال الشرح بالسياق (النظرية السياقية). فالكلمة لا ترد منفردة بل في سياق لغوي، ولا يمكن الفهم إلا في السياق؛ أي أن التعريف في المعجم الوسيط اعتمد على سياق مجموع العناصر اللغوية التي ترد قبل اللفظ وبعده في إطار الوظيفة الاجتماعية للغة. ومن أمثلة ذلك ما جاء في شرح مدخل "تلتل": "تلتل: سار شديداً. -و- ساق سوقاً عنيفاً. -و- الشيء: حركه بعنف. -و- فلانا وغيره: أقلقه وأزعجه"¹. حيث قدم المعجم معاني عدة للمدخل "تلتل" تباينت بتباين السياقات الاجتماعية والتركيبية؛ فكان الفعل في حالة اللزوم دالاً على حالة الشدة لدى صاحبه، أما في حالة تعدي الفعل فتباين الدلالة كذلك بتباين حالة المفعول به أعاقلاً كان أم غير عاقل.

وهذه بعض النماذج التمثيلية فقط والتي نرmi من خلال إيرادها إلى إبراز استفادة المعجم الوسيط من النظريات اللسانية، وانفتاحه على هذا المنجز في إطار علاقة التكامل التي تسمه، والتي تجعله منفتحاً على كل العلوم التي تمكنه من تنمية الكفائتين الوصفية والتفسيرية.

2-1-3- الطبيعيات والكيمياء²

معلوم أن مصطلحات العلوم أصبحت اليوم تجد مكاناً لها في العديد من المعاجم المتخصصة التي تأخذ بمصطلحات العلم شرحاً وإيضاحاً وتخصيصاً وترجمة. لكن الخطة التي رسمها واضعو المعجم الوسيط دفعتهم إلى الانفتاح على تلك الحقول ومصطلحاتها. ومن أمثلة ذلك مصطلح أثير حيث قدم كما يلي: "الأثير: بريق السيف والمقدم على غيره. يقال هو أثيري وأثره وأفضله. وعند (الطبيين) سيال يملأ الفراغ يفترضون تخلله الأجسام وعند (الكيميائيين) سائل غير ذي لون طيار يذوب المواد الدهنية ويستخدم في الطب"³. فالمنهج المعتمد في تناول، كما يظهر من خلال هذا المثال هو الوقوف عند المعنى اللغوي للكلمة، قبل عرض استعمالاتها في الحقول المعرفية الأخرى. وهذا التصور في بناء المعجم الوسيط يبرز بجلاء التكامل الذي ينشده المعجم الوسيط في بناء مواده.

2-1-4- سيميائيات الصورة الأيقونية⁴

حظيت الصورة في العقود الأخيرة باهتمام واسع لدى العديد من الدارسين، واستطاعت أن تنسخ التصور التقليدي للعلامة باعتبارها دالاً ومدلولاً إلى اعتبارها دالاً ومدلولاً ومرجعاً. ونلاحظ استثماراً كبيراً من المعجم الوسيط لهذا الوسيط الإيضاحي الذي ييسر تعلم الألفاظ التي قد يغيب تصورها الذهني باعتماد العلامة الثنائية. ومن أمثلة ذلك في المعجم الوسيط "الخزامى: جنس نبات من الفصيلة الشفوية أنواعه عطرة من أطيب الأفاويه وأحدثه خزامة"⁵. و"الخُرْشوف: نبات من الفصيلة المركبة الأنبوبية الزهر. في طرفه ثمرة مغلقة بأوراق: يطهى ويؤكل"⁶. إذ لم يكتف واضعو المعاجم في هذين المثالين وفي غيرهما بالتعريف، لأنهما يبيان تعريفين ملتبسين ومحتملين لعدد كبير من النباتات العطرة والأنبوبية الزهر؛ لذلك أرفقوا

1 المرجع نفسه، ص 106

2 معجم الكيمياء والصيدلة، في جزئين عن مجمع اللغة العربية صدر سنة 1983

3 المعجم الوسيط، ص ص 25 26

4 تعد الصورة الأيقونية إحدى أنماط العلامة الثلاثية عند بيرس، وتقوم على علاقة المشاهدة مع موضوعها الخارجي سواء أكانت تلك المشاهدة عن طريق الرسم أو المحاكاة.

5 المعجم الوسيط، ص ص 255-256

6 المرجع نفسه، ص 250

التعريف بصورتين أيقونيتين حتى يتعرف عليهما متصفح المعجم. لكن ما يؤخذ على هذا التكامل بين المعجم وسميائيات الصورة هو غياب الألوان عنها مما يوقع في لبس في المعنى، ويكاد المتصفح لا يدرك معنى المفردة رغم جهود الشرح التكاملي بين اللفظ والصورة من لجنة المجمع. كما أن الفهم قد يلتبس عند المجموعة البشرية عندما ترى الصورة تهدم التصور القائم عندها حول هاته الكلمة أو تلك. فعند سماعنا، نحن المغاربة، الخُزْشُوف، فإن فكرنا يتجه نحو نوع من الخضروات التي تطهى وتؤكل. بينما المقصود به في المعجم الوسيط، من خلال الصورة الأيقونية، هو ما يعرف عند المغاربة بـ"القوق".

2-2- معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون¹

اخترنا الاشتغال بمظاهر التكامل في أحد أهم المعاجم الخاصة الصادرة عن مجمع اللغة العربية وهو "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون". ويأتي هذا المعجم كحلقة من حلقات السياسة العامة للمجمع التي تهدف إلى تزويد المكتبة العربية بالمعجمات الخاصة. ويتأسس اختيارنا لهذا المعجم المخمعي على إيماننا العميق بجدوى الاشتغال في فرق كما دأب مجمع اللغة العربية على ذلك من جهة، ولقياس مدى نجاعة هذا المعجم في تحقيق التكامل المنشود بين المعارف المختلفة من جهة ثانية. خصوصا وأن ابراهيم مدكور يؤكد الصعوبات التي يطرحها وضع معجم خاص بألفاظ الحضارة والفنون. وهي مهمة، في نظره، أشد عسرا من وضع معجم خاص بالمصطلحات العلمية.²

ونسجل بداية الشبه الكبير بين معاجم المعاني العربية القديمة وهذا المعجم المتخصص، وقد سبق لنا إشارة في ذلك؛ فنلاحظ مثلا من خلال المنهج المتبع في تبويب هذا المعجم اعتماده تجميع المفردات في أبواب لسلمات دلالية مشتركة بينها. وهذا يحيلنا إلى أول العلوم التي تدخل في صناعة "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون" وهو علم الدلالة.

1-2-2- علم الدلالة ونظرية الحقول الدلالية

تعد نظرية الحقول الدلالية إحدى أهم نظريات علم الدلالة الحديث، ويسعى أصحابها إلى تحليل المعنى من خلال البحث في السمات الدلالية المشتركة بين المداخل المعجمية، ووضع هاته المداخل تحت اسم عام يجمعها.³ وذلك ما نلاحظه في معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم حيث جمعت المداخل المعجمية الدالة على الثياب في باب/ حقل دلالي سمي "الثياب وما يتعلق بها". وكذلك كان في أبواب "المأكولات"، و"المنزل والأدوات المنزلية"، و"المركبات وما يتعلق بها"، و"الحرف والصناعات"، "فن التصوير"، و"فن النحت"، وغيرها من الأبواب.

2-2-2- فقه اللغة

على الرغم من كون هذا الحقل يعد من المباحث اللغوية العربية القديمة، فإن مؤلفي معجم ألفاظ الحضارة والفنون لم يفوتوا الفرصة في استثمار بعض مباحثه في شرح العديد من المصطلحات. ونمثل لذلك بما قدم من معلومات حول أصول المفردات إن كانت عربية أو دخيلة، ولغاتها الأصلية كما يبرز في أول مادة من مواد هذا المعجم. فنجد ما يلي: "الإيزيم: أداة تتخذ

¹ لقي هذا المعجم نقدا كبيرا خصوصا في ألفاظ الحضارة التي وردت فيه والتي تنتمي إلى الحياة العامة. لذلك كانت هنالك دعوات لئلا تتسرب ألفاظ الحضارة إلى معاجم الألفاظ الجمعية.

² معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، ص 6

³ عمر، أحمد مختار، المرجع المذكور، ص 79

في الحزام لشده وربطه، وهي معربة من قديم، والمنقول أنها فارسية¹. ويفصح هذا التعريف عن بعض مباحث فقه اللغة إذ إنه يشير إلى كون كلمة إيزيم غير عربية، بل نقلت إلى العربية من لغتها الأصلية التي هي الفارسية.

3-2-2- الترجمة

إن للترجمة أهمية بالغة في البناء الحضاري للمجتمعات لما لها من دور محوري في إثراء الثقافات الإنسانية واستفادة بعضها من البعض الآخر. ومعلوم أن ثمة معاجم ثنائية اللغة جعلت الترجمة همها الأساس والوحيد، فمضت بحثاً ودراسة في وضع ما يقابل المصطلح المحلي في اللغات الأجنبية. ورغم أن معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون ليس من هذا النوع، فإنه هو الآخر استثمر تقنية الترجمة إلى جانب الشرح العربي لكل مصطلحات المعجم. وكانت الفرنسية والعربية هما اللغتان المترجمتان إليهما. ومن أمثلة تلك الترجمات في باب "المنزل والأدوات المنزلية": "الدقية": petite marmie (F) small pan (E) حلقة صغيرة يحلى فيها الطعام². ونورد مثالا ثانيا ورد في باب الثياب: "الحرملة": pèlerine (F) cape (E) رداء قصير واسع يوضع على الكتف ويغطي الظهر والصدر، وهو مشقوق المقدم، وكلمة "الحرملة" دخيلة استعملت في العصر الحديث³. وبعودتنا إلى أحد المعاجم الفرنسية وجدنا أن التعريف الذي يقدمه معجم المصطلحات لا يعدو أن يكون ترجمة لما جاء في المعاجم الأجنبية؛ أي أن الترجمة لا تقف عند حدود المصطلح بل تتعداه إلى التعريف؛ وحتى لا يبقى حكمنا عاما سنورد التعريف الذي قدمه "le petit robert" لكلمة "pèlerine"

"n.f. vêtement de femme en forme de grand collet rabattu sur les épaules et la poitrine."⁴

ونرى من جانبنا أن هذا التكامل الذي يقيمه "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون" مع الترجمة يخدم متكلمي العربية دون أن ينفع غير الناطقين بالعربية الراغبين في تعلم ألفاظ ومصطلحات هذه اللغة. ومرد هذا الحكم إلى غياب تشكيل الكلمات الذي يشكل صفة سلبية وسمت هذا المعجم. ففي المثاليين السابقين سيجد المتكلم الفرنسي صعوبة وعجزاً في معرفة المقابل العربي الصحيح النطق للكلمتين "pèlerine"، و"petite marmite". والصعوبة عينها يجدها المتكلم الإنجليزي.

خاتمة

وفي خاتمة الحديث عن التكامل المعرفي في المعجم العربي بين القديم والحديث، ننتهي إلى ما بدأنا به وهو تأكيد حتمية التكامل بين المستويات اللسانية وغير اللسانية في بناء المعاجم العربية القديمة والحديثة. وهذا التكامل بين تلك الحقول يساعد لا محالة في الانتقال بالبحث المعجمي من البحث في دلالة الكلمات ومعانيها، إلى بناء الدلالة الكلية النسقية المترابطة الأجزاء والمكونات. ويساعد هذا البناء النسقي في الإمساك بالروابط والعلاقات التي تنتظم الحقول العلمية سعياً منه لاستخلاص وحدة المعرفة كهدف أسمى وغاية فضلى منشودة. فلم يعد الطب مستقلاً عن علم الصرف، ولا الكيمياء بعيدة عن الاشتقاق اللغوي، ولا الأنتربولوجيا منفصلة عن فقه اللغة. كما لم يعد التفسير اللساني ليقوم بوظيفته دون تضافر لجميع مستوياته. ولنا المثال البارز فيما وسم نموذج شومسكي "البنى التركيبية" من تغييب للمكون الدلالي، ليعود بعد ذلك بسنوات، ويؤكد أهمية هذا المكون إلى جانب المكونات الأخرى في دراسة الملكة اللغوية.

¹ معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، ص 5

² المرجع نفسه، ص 20

³ المرجع نفسه، ص 6

⁴ Le Petit Robert, p 1844

وعلى الرغم مما تحقق على مستوى البناء المعجمي العربي الحديث، واستدعائه لعلوم مختلفة ظهرت في الحياة الحديثة، يبقى الذي تحقق، في نظرنا، على مستوى التكامل المعرفي قاصرا لا يشفي الغليل، ولا يواكب، بشكل مطلق، التطورات الهائلة التي تعرفها الحياة في مختلف مناحيها. ونحن بهذا القول لا ننكر، كما سلف ذكره، انفتاح المعجم الحديث على العلوم الحقة وعوالم الصورة، لكن تبقى التحديات التي تنتظر المعجم الحديث أكبر من ذلك خصوصا فيما يتعلق باستثمار التقنيات الرقمية من أجل بناء معاجم تفاعلية تكاملية حقيقية مواكبة لمختلف التطورات.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع العربية

- 1- الإسكافي، عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، مبادئ اللغة، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة.
- 2- البستاني، عبد الله، البستان، بيروت، المطبعة الأمريكية، ج 1
- 3- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر
- 4- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2009
- 5- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994
- 6- الصالح، صبيح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2009
- 7- الفاسي الفهري، عبد القادر، المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986
- 8- أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 1966
- 9- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، 1998
- 10- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 2، 1972
- 11- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، دار الكتب، القاهرة، 1980

المراجع الأجنبية:

- 1- Robert, Paul, le Petit Robert, SEJER, 2018, Paris

النظرية الدلالية في السياق المعرفي: مبادئ وقيود

Semantic theory in a cognitive context: principles and constraints

أحمد راسم خولي، مختبر اللسانيات العربية والإعداد اللغوي، جامعة ابن طفيل- القنيطرة- المغرب

Ahmed Khouli Ibn Tofail University- Kenitra- Morocco.

ملخص:

تحاول هذه الدراسة مناقشة مجموعة من المبادئ والقيود التي تهتم النظرية الدلالية في السياق المعرفي (الإدراكي)، وذلك انطلاقاً من افتراض قاعدي مفاده أنّ موضوع النظرية الدلالية مفتوح علمياً بما أنّه يستلزم التعامل مع معطيات غير متجانسة: لسانية، وإدراكية، ومعرفية، وعصبية، ومنطقية، واستدلالية، وثقافية، واجتماعية. وذلك ما تفرضه، ببساطة، طريقة اشتغال الذهن البشري، حيثُ على النظرية التي تتغيا البحث في اشتغاله، ودراسة سيرورات إنتاجه المعنى، أن تكون نظرية ذات استراتيجيات علمية مفتوحة. وعليه؛ تسعى هذه الدراسة إلى تنظيم النظرية الدلالية في إطار دراسة التصورات، وذلك من خلال الاعتناء بنظرية الدلالة التصورية لراي جاكندوف، فترصد، أولاً، طائفة من المبادئ والقيود للدلالة التصورية، ثمّ تحدد، ثانياً، مفهوم البنية التصورية، وعلاقته بالنظرية الدلالية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة التصورية، البنية التصورية، القيد المعرفي، الواجهات.

Abstract:

This study attempts to present a set of principles and constraints related to semantic theory in the cognitive context. This is based on a basic assumption that states that the subject of semantic theory is a scientifically open topic that deals with various data: linguistic, cognitive, perceptual, logical, social, and cultural. Based on the foregoing, this study seeks to organize the semantics within the framework of the study of concepts. By focusing on the conceptual semantics of Ray Jackendoff. The study first identifies a set of principles and constraints for conceptual semantics, then defines secondly the concept of conceptual structure and its relationship to semantic theory.

key words: conceptual semantics, conceptual structure, cognitive constraint, interfaces.

تمهيد:

كان للثورة المعرفية (cognitive revolution) التي شهدها العالم في بداية النصف الثاني من القرن العشرين الأثر الحاسم في الانهيار التدريجي للإمبراطورية السلوكية في علم النفس بين عامي (1950 - 1960)، تلك الإمبراطورية التي شيدت تفسيراتها للسلوك البشري بناءً على الملاحظة الخارجية عبر مقياري المثبر والاستجابة، وبنحو تستبعد فيه كل ما يحدث داخل الفرد، بحجة أنه لا يمكن مراقبته، أو بالأحرى، لا يمكن أن يصبح موضوعاً للمقارنة العلمية، ومن ثم؛ أسست السلوكية للتصور الآلي للسلوك القائم على حتمية الاستجابة للمؤثر، كما لو أن ردة فعل الإنسان لا تجري حسب فهمه الداخلي للمؤثر بشكل يجعل الاستجابات تختلف من شخص لآخر.

وعليه؛ شهدت الانتقادات التي وجهها علماء النفس المعرفيون للسلوكية على أفول الأخيرة ليحل محلها علم النفس المعرفي إمبراطورية جديدة تبني تفسيراتها للسلوك البشري بالاستناد إلى فهم العمليات المعرفية الداخلية عبر جعلها موضوعاً للمقارنة العلمية.

بيد أن الحديث، في المقابل، عن مقارنة علمية لعالم الذهن ليس بالأمر المتناول، خاصة وأن العمليات المتعلقة بذلك العالم عصبية - بالأساس - على الملاحظة المباشرة؛ الأمر الذي "جعل الثورة المعرفية تركز على فكرتين رئيسيتين: الأولى أن العلوم النفسية لا تستطيع دراسة عالم الذهن مباشرة، والثانية أنه ينبغي على العلوم النفسية دراسة عالم الذهن إن هي أرادت الذهاب إلى فهم السلوك"¹.

تأسيساً على ما تقدم؛ نجد من الضروري الحديث عن سمتين تهتمان، بالأساس، النظرية الدلالية في السياق المعرفي، قبل تخصيص الحديث عن بعض تلك النظريات وقبورها: تتعلق السمة الأولى بتصوّر موضوع النظرية اللسانية، فيما تخص السمة الثانية النسق الصوري، وبناء التماذج التفسيرية.

ليست اللغات الطبيعية - موضوع النظرية اللسانية - ظاهرة بسيطة، أو واضحة، بل إنها، على العكس تماماً، ظاهرة جد معقدة سواءً أتصورناها موضوعاً اجتماعياً (اللغة الخارجية) أم نفسياً (اللغة الداخلية)، على نحو بيئي أو أحيائي. وعلى كل حال، ما يهمنا في هذا السياق هو أن النظرية اللسانية قد تصوّرت موضوعها، في إطار العلوم المعرفية، بأنه الملكة اللغوية بما هي ملكة أحيائية، وقدره معرفية من قدرات الذهن/ الدماغ. ومن ثم؛ أصبحت اللسانيات علماً معرفياً يسعى إلى تحقيق فهم أفضل للسلوك البشري؛ مما يعني أن النظرية اللسانية مطالبة بتحقيق الكفاية المعرفية (cognitive adequacy)، "وهي كفاية من مقتضياتها الذهاب إلى أبعد من التخصيص الوصفي للبنيات الدلالية والخطابية وتأويلها، بوضعها في إطار أعم يحدد الأسس المعرفية للتصورات التي تشكل هذه البنيات، ويقوم عليها هذا التأويل، ومن ثم المساهمة في الإجابة عن سؤال الكفاية التفسيرية (explanatory adequacy) في النظرية اللسانية: لماذا التصورات المذكورة تحديداً، وليس تصورات أخرى"².

¹ Reisberg. Daniel, **Cognition: Exploring the Science of the Mind**, W. W. Norton and Company, (7th ed), 2018, P8.

² غاليم، محمد، بعض مقتضيات الكفاية المعرفية في لسانيات الخطاب وتأويله، ضمن كتاب: في الحاجة إلى التأويل، تطوان، منشورات مختبر التأويلات والدراسات النصية واللسانية، ط1، 2018، ص49.

هكذا؛ كان على اللسانيات أن تفترض أن علاقتها تكاملية مع باقي العلوم المعرفية كالدكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب المعرفي، وفلسفة الذهن، من جهة، وأن تستتبع، منهجياً، كل ما هو ضروري بالنسبة للنظرية المعرفية، من جهة أخرى. وذلك ما يقودنا للحديث عن السمة الثانية للنظرية اللسانية.

أن تصبح الملكة اللغوية موضوع النظرية اللسانية يعني أن اللسانيات علم يدرس اللغة التي هي، في معظمها، عمليات ذهنية/عصبية تجري داخل بيئة الذهن/الدماغ، ومن ثم لا يمكن أن تخضع تلك العمليات للمراقبة المباشرة؛ مما يؤيد، بالنسبة للنظرية اللسانية، إشكالاً متصلاً بكيفية تفسير تلك العمليات الذهنية داخل الملكة اللغوية – والمتفاعلة أساساً مع باقي الملكات المعرفية – وتمثيلها، كعملية بناء التصورات، والمقولة، والتأويل في سياقات التفاعل اللغوي المتمثلة معرفياً، الخ. هكذا؛ تظهر الحاجة إلى النسق الصوري لبناء النماذج بما هي قدرة تفسيرية يعطي تشغيلها نتائج مشابهة لتلك المعطيات اللغوية المشاهدة. وبنحو أوسع، "لا توجد علوم معرفية دون نماذج، إنها وسيلة ضرورية للتمكن من اختبار الفرضيات المتعلقة بنشاطات عصبية أصلاً على الملاحظة المباشرة"¹. وعليه؛ يكون كل نموذج محكوماً بمبدأ التفسير، تفسير السلوك البشري من جهة الظاهرة التي يقارنها.

وبالجُملة، يهدف النسق الصوري إلى أن يعزز التحليل اللساني المتبع بطائفة من القواعد المقترحة والحدود المضبوطة ليصبح واضحاً وضحاً تاماً، ومتحكماً بمفاهيمه، واستدلالاته، وبنحو يجعله، أي التحليل اللساني، تجريبياً يُفسر العناصر اللسانية بمغزٍ عن المستعمل، أو المادة المدروسة*.

تأسيساً على ما تقدم؛ نفهم أن ما جعله جاكندوف في تصدير كتابه "الدلالة والمعرفية" (Semantics and Cognition) 1983 استتبعات ضرورية تخلفها نظرية الدلالة التصورية إنما هو ترجمة، بطريقة من الطرق، لتينك السمتين: تصور اللغة ومستعملها موضوعاً معرفياً، والاستعانة بالنسق الصوري للتعبير عن علاقات المعنى. فنبه "أولاً، إلى أن مفهوم الفرد الذي غالباً ما عدّ أولية منطقية (logical primitive) هو مركب معقد معرفياً (cognitively complex)، بالإضافة إلى أن صنف الأفراد الذي يجب أن تنضمّنه النظرية الدلالية والمعرفية، لا يحتوي على أشياء فقط، بل على كيانات (entities) مثل الأماكين، والمسارات، والأحداث، والأعمال، والكميات. وثانياً، أنه يجب – كي نعبّر بطريقة ملائمة عن العلاقات بين تلك الكيانات - إقامة تركيب صوري للمفاهيم (formal syntax of concepts) يكون من بعض جوانبه أكثر ثراءً، ومن بعض جوانبه الأخرى أكثر إلزاماً من المنطق الكلاسيكي"².

تيرغيان، غي، وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، ترجمة: جمال شحيد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2013، ص285.

* إن اعتماد النظرية اللسانية على الصورة شرط ضروري لاكتسابها صفة العلمية، وإذا انطلقنا مما يدعوه شومسكي اللسانيات الديكارتية، نفهم أن النظرية اللسانية إنما تستمد جزءاً مهماً من أفكارها من تراث العقلانيين وخاصةً ديكارت الذي كان يقو – خلافاً للتجريبين – بوجود أفكار، أو بنيات ذهنية فطرية تسبق اللغة، وأن الذهن من ثم ليس صفحةً بيضاء. وعليه؛ إذا أردنا أن نفهم حقيقة السلوك اللغوي البشري لا بد من العودة إلى استكشاف تلك البنيات الذهنية الفطرية التي تسبق أي تجربة. وفي هذا السياق، يجري التمييز بين اللسانيات غير الصورية التي تعتمد بشدة على حدس مستعمل اللغة، وتهدف إلى أن تكون ملحقاً لذلك الحدس، وليس تفسيراً له؛ فهي لا تهدف إلى استكشاف ما يعرّفه، مسبقاً، كل متكلم للغة البشرية، ومن ثم؛ تفترض اللسانيات غير الصورية وجود متكلم على جانب كبير من المعرفة اللغوية الضمنية التي لا تحاول تفسيرها. أما اللسانيات الصورية، فهي لسانيات صورية تستعين بالمنطق الصوري لصياغة نماذج صورية صارمة للفردات الذهنية.

² Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, Cambridge, MIT Press, (8th ed), 1999, P X.

هكذا؛ تَنْشِغِلُ النَّظْرِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ فِي السِّيَاقِ المَعْرِفِيِّ فِي قَضِيَّةِ المَعْنَى بِوَصْفِهَا قَضِيَّةً نَفْسِيَّةً بِالأَسَاسِ، فَالمَعْنَى لا يوجَدُ فِي الوَاقِعِ، أو فِي عَلاَقَةِ اللُّغَةِ بِالوَاقِعِ، إِنَّهُ تَمَثِيلٌ ذِهْنِيٌّ، أو وَاقِعَةٌ نَفْسِيَّةٌ (psychological reality) يُمَكِّنُ التَّحَقُّقَ مِنْهَا عَن طَرِيقِ النَّظْرِيَّةِ. وَتَصَوُّرُ المَعْنَى مُوَضوعًا نَفْسِيًّا فَكْرَةً سَبَقَ وَأَنْ عَبَّرَ عَنْهَا فِتغَنشتاين فِي إِطَارِ الفَلَسَفَةِ، قَبْلَ أَنْ تُصَبِّحَ مَعَ المُنْعَطَفِ المَعْرِفِيِّ مُوَضوعًا لِلْمُقَارَبَةِ العِلْمِيَّةِ. يَقُولُ: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَفْهَمَ القَضِيَّةَ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ الدَّلَالَةَ النَفْسِيَّةَ، الحَالَاتِ النَفْسِيَّةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا"¹.

نَجِدُ أَنْفُسَنَا الآنَ مَدْفوعِينَ أَمَامَ مُنَاقَشَةِ السُّؤَالِ التَّالِي: مَا نَظْرِيَّةُ الدَّلَالَةِ الَّتِي تَلَزِمُنَا فِي مُقَارَبَةِ المَعْنَى؟

حَسَنًا، لَوْ افْتَرَضْنَا المَعْنَى مُوَضوعًا نَفْسِيًّا، أَلَا يَفْتَضِي ذَلِكَ أَنْ نُفَكِّرَ بِإِشْكَالَيْنِ مَعًا: أَحَدُهُما لُغَوِيٌّ، وَالأُخْرُ نَفْسِيٌّ؟. فَمَا دَامَتِ اللُّغَةُ تَمَكَّنُنَا مِنَ الحَدِيثِ عَمَّا نَفْعَلُهُ وَنُدْرِكُهُ، فَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ المَعْلُومَاتِ الَّتِي نَلْتَقِطُهَا عَن طَرِيقِ اللُّغَةِ تَتَفَاعَلُ، فِي الذَّهْنِ، وَالمَعْلُومَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا بَاقِي الأَنْسَاقِ الإِدْرَاقِيَّةِ وَالمَعْرِفِيَّةِ، مِمَّا يَفْتَضِي، مَنَهْجِيًّا، أَنْ لا نَفْصِلَ دِرَاسَةَ المَعْنَى اللُّغَوِيَّ عَنِ المَعْرِفَةِ البَشَرِيَّةِ عَامَّةً.

دَاخِلَ المَنْظُورِ السَّابِقِ فِي مُقَارَبَةِ المَعْنَى، يُمَكِّنُ أَنْ نُدرِجَ الدَّلَالَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ لِجَاكندوف، فِيهِ نَظْرِيَّةُ تَشْتِغَلُ بِإِشْكَالَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ يُعْتَبَرَانِ عَن مَنظُورَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ: مَنظُورُ اللِّسَانِيَّاتِ وَفَلَسَفَةِ اللُّغَةِ، وَالَّذِي يَطْرُحُ الإِشْكَالَ التَّالِي: "مَا طَبِيعَةُ المَعْنَى فِي لُغَةِ البَشَرِ حَيْثُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَمَّا نُدْرِكُهُ بِحَوَاسِنَا، وَعَمَّا نَفْعَلُهُ؟"². وَمَنظُورُ عِلْمِ النَّفْسِ، وَالَّذِي يَطْرُحُ الإِشْكَالَ التَّالِي: "مَاذَا تَكشِفُ البِنْيَةُ النَّحْوِيَّةُ لِلُّغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ طَبِيعَةِ الإِدْرَاقِ وَالمَعْرِفَةِ؟"³. وَمِنْ ثَمَّ؛ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَ قَوْلَ جَاكندوف: "أَنْ نُدْرُسَ دَلَالَةَ اللُّغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ يَعْنِي أَنْ نُدْرُسَ عِلْمَ النَّفْسِ المَعْرِفِيِّ to study semantics of natural language is to study cognitive psychology"⁴.

نَخْلُصُ مِمَّا تَقَدَّمَ إِلَى أَنَّ الدَّلَالَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ، بِالنِّسْبَةِ لِجَاكندوف، فَزَعُ مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ المَعْرِفِيِّ، وَبِتَوْصِيفِ أَدَقِّ، فِيهِ "نَظْرِيَّةُ لِلْمَعْرِفَةِ فِي صِيغَتِهَا البِنْيَوِيَّةِ (theory of cognition in the structure mode)"⁵.

وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّ النَّظْرِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ الَّتِي تَلَزِمُنَا فِي مُقَارَبَةِ المَعْنَى هِيَ نَظْرِيَّةُ فِي المُدْرَةِ تَسْمَحُ بِاسْتِثْرَاءِ ظُوْهِرِ الإِنجَازِ اللُّغَوِيِّ، وَبِتَوْصِيفِ أَدَقِّ، فَإِنَّ "المَعْنَى يُشْكَلُ، فِي الحَقِيقَةِ، هَدَفًا لِكُلِّ مَنْ يَهْتَمُّ بِالكَلِمَاتِ المُجَرَّدَةِ. وَهَذَا شَبِيهُ بِمَنْ يُرِيدُ تَفْسِيرَ تَجَلِيَّاتِ ظَاهِرَةِ الكَهْرَبَاءِ، فَتَجَلِيَّاتِ المَعْنَى لا يُمَكِّنُ أَنْ تُفَسَّرَ وَتُفْهَمَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ نَظْرِيَّةٍ مُضَبُوطَةٍ حَوْلَ المَعْنَى تُتَوَجَّحُ الإِسْتِثْرَاءَ الجَدِي لِلظُّوْهِرِ"⁶.

¹ فيغَنشتاين، لودفيك، تحقيقات فلسفية، ترجمة: عبد الرزاق بنور، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007، ص381.

² Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, P3.

³ Ibid, P3.

⁴ Ibid, P3.

⁵ Ibid, P6.

⁶ جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، الدار البيضاء، دار توبقال، ط2، 2014، ص47.

إنَّ تعريفَ الدِّلالةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، بِالْفَاظِ جَاكَنْدُوفَ، بِأَنَّهَا "نَظَرِيَّةٌ قَوِيَّةٌ لِبِنْيَةِ الْمَعْلُومَاتِ"¹، هُوَ فِي الْوَاقِعِ، إِجْرَازٌ يُحَسَّبُ لَهُ، إِنَّهُ يُعِيدُ لِلنَّظَرِيَّةِ اللَّسَانِيَّةِ مَكَانَهَا بَيْنَ كُلِّ الْعُلُومِ الْمَعْرِفِيَّةِ، فَبِالِئْسَبَةِ لَهُ، "فَإِنَّهُ مِنْ بَيْنِ الْعُلُومِ الْمَعْرِفِيَّةِ جَمِيعًا، قَامَتِ اللَّسَانِيَّاتُ وَخَدَهَا بِالتَّدْفِيقِ الْمُنْتَظَمِ، وَبِشَكْلِ صَرِيحٍ، فِي مُخْتَوَى الْبِنْيَاتِ الدِّهْنِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الْقُدْرَاتُ الْبَشَرِيَّةُ (human capacity)"².

وَعَلَيْهِ: تَكْتَسِبُ اللَّسَانِيَّاتُ، بِأَدْوَاتِهَا الْمُنْهَجِيَّةِ، وَضَعًا فَرِيدًا مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْعُلُومِ الْمَعْرِفِيَّةِ، بِبُيُوتِهَا دَوْرَ الْاِسْتِغَالِ بِدِرَاسَةِ مَا تَهْضُ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ الْبَشَرِيَّةُ، حَتَّى وَإِنْ أَحْجَمَ اللَّسَانِيُّونَ عَنْ ذَلِكَ. يَقُولُ (2002): "إِذَا أَحْجَمَ اللَّسَانِيُّونَ عَنْ دِرَاسَةِ الْمَعَارِفِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ ذَاتِ الْمَوْضُوعَاتِ الْعَامَّةِ، مَنْ يُفْتَرَضُ فِيهِ أَنْ يَدْرُسَهَا؟ لَا عِلْمٌ مِنَ الْعُلُومِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْآخَرَى يَمْلِكُ أَدْوَاتٍ أَفْضَلَ لِلْقِيَامِ بِالْعَمَلِ بِتَفَاصِيلِهِ التَّالِيفِيَّةِ الْكَامِلَةِ"³.

1.1. الدلالة التصورية: مبادئ وقبوض:

بَعْدَ أَنْ اسْتَعْرَضْنَا - فِي هَذَا التَّمْهِيدِ - الْمَلَامِحَ الْمُرَكِّبَةَ لِلنَّظَرِيَّةِ اللَّسَانِيَّةِ فِي السِّيَاقِ الْمَعْرِفِيِّ، بِشَكْلِ عَامٍّ، وَالنَّظَرِيَّةِ الدِّلَالِيَّةِ، بِشَكْلِ خَاصٍّ، وَنَظَرِيَّةِ الدِّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، بِشَكْلِ أَحْصَ، نُنْتَقِلُ إِلَى تَحْدِيدِ الْمَبَادِي الْعَامَّةِ لِأَخِيرَةِ، الْبَنْدِ (1.1.1)، وَالْقَبُوضِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهَا، الْبَنْدِ (1.1.2).

1.1.1. مبادئ لِنظريَّة الدِّلالة في السِّيَاقِ الْمَعْرِفِيِّ:

لَبَسَتْ نَظَرِيَّةُ الدِّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ بِالْمُقَارَنَةِ ذَاتِ الصَّبِيغَةِ الْوَاحِدَةِ، بَلْ إِنَّهَا إِطَارٌ عِلْمِيٌّ يَضُمُّ مَجْمُوعَةً مِنَ النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي تَخْتَلِفُ فِي نَمَازِجِهَا، لَكِنَّهَا تَتَّفِقُ، عُمُومًا، عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَبَادِي الْأَسَاسِيَّةِ، نُجْمِلُهَا فِي هَذَا الْبَنْدِ مُرَكِّزِينَ عَلَى نَظَرِيَّةِ الدِّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ. حَتَّى إِذَا فَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ؛ نَطْرُحُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْقَبُوضِ (constraints) الَّتِي تَضَعُهَا الْأَدَبِيَّاتُ اللَّسَانِيَّةُ، بِنَحْوِ عَامٍّ، وَالدِّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، بِنَحْوِ خَاصٍّ، عَلَى النَّظَرِيَّةِ الدِّلَالِيَّةِ. وَذَلِكَ لِإِقَامَةِ الْاِسْتِدْلَالِ الْعِلْمِيِّ عَلَى وُجُودِ مُسْتَوَى عَامٍّ لِلتَّمَثِيلِ الدِّهْنِيِّ، هُوَ مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقِي فِيهِ الْمَعْلُومَاتُ الَّتِي تَلْتَقِطُهَا اللَّغَةُ، وَالْمَعْلُومَاتُ الَّتِي تُقَدِّمُهَا بَاقِي الْأَنْسَاقِ الْإِدْرَاكِيَّةِ (perceptual systems) بِنَحْوِ يُفَسِّرُ كَيْفَ يَعْكِسُ الشَّكْلُ التَّرْكِيبِيُّ لِلغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ طَبِيعَةَ الْفِكْرِ الْبَشَرِيِّ، أَوْ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ: يَجْعَلُ "اللُّغَةَ نَافِذَةً عَلَى الْفِكْرِ"⁴.

شَيْدَ النَّحْوِ التَّوَلِيدِيِّ الْمُنْعَطَفِ النَّفْسِيِّ/ الدَّاخِلِيِّ فِي النَّظَرِيَّةِ اللَّسَانِيَّةِ، وَذَلِكَ بَدَأًا مِنْ إِعْلَانِ شومسكي فِي كِتَابِهِ مَظَاهِرُ مِنْ نَظَرِيَّةِ التَّرْكِيبِ (Aspects of the Theory of Syntax) (1965) بِأَنَّ النَّظَرِيَّةَ اللَّسَانِيَّةَ هِيَ نَظَرِيَّةٌ ذَهْنِيَّةٌ تَرْتَبِطُ بِدِرَاسَةِ الْقُدْرَةِ اللُّغَوِيَّةِ، بِمَا هِيَ إِحْدَى الْقُدْرَاتِ الدِّهْنِيَّةِ الَّتِي تَتَّبَعُ خَلْفَ السُّلُوكِ الْبَشَرِيِّ. لِيَتَوَالَى، مِنْ بَعْدِ، ظُهُورُ نَظَرِيَّاتِ الدِّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي سِيَاقِ مَا أَعْلَنَهُ الْمَشْرُوعُ التَّوَلِيدِيُّ نَفْسُهُ، فَاسْتَقَمَتْ مِنْهُ مَجْمُوعَةٌ مِنْ مَبَادِيهِ الْمُرَكِّبَةِ الَّتِي تَهْضُ عَلَيْهَا كَالْمَوْقِفِ الذَهْنِيِّ (Mentalism)، وَالتَّالِيفِيَّةِ (Combinatorality)، وَاخْتَلَفَتْ مَعَهُ فِي مَبَادِيٍّ أُخْرَى كَمُرَكِّبَةِ التَّرْكِيبِ (Syntactocentrism)⁵.

¹ Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, P7.

² Jackendoff. Ray, **Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure**, MIT Press, 2007, P4.

³ جاكندوف، راي، الدلالة مشروعاً ذهنياً، ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها، ص26.

⁴ Jackendoff. Ray, **Patterns in the mind: Language and Human Nature**, Basic Books, 1994, P184.

⁵ Jackendoff. Ray, **Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure**, P26-38.

وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّ هُنَاكَ قَطِيعَةً ابْتِمُولُوجِيَّةً كَلِيَّةً بَيْنَ نَظَرِيَّاتِ الدَّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالنَّحْوِ التَّوَلِيدِيِّ، بَلْ مِنَ الْآخَرَى أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّ هُنَاكَ نَمَادِجَ تَفْسِيرِيَّةً عِدَّةً تُؤَلَّفُ بَيْنَهَا - بِالرَّعْمِ مِنْ اخْتِلَافِهَا- طَائِفَةٌ مِنَ الْمَبَادِيِ الْأَسَاسِيَّةِ.

يَفْتَرِضُ الْمَوْقِفَ الذِّهْنِيَّ، فِي إِطَارِ الدَّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ، أَنَّ الْمَعْنَى مَوْضُوعٌ نَفْسِيٌّ، وَأَنَّ هَدَفَ نَظَرِيَّةِ الدَّلَالَةِ هُوَ أَنْ تُوَضِّحَ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي يُنْظَمُ بِهَا الذِّهْنُ الْبَشَرِيَّ التَّجْرِبِيَّ، أَيْ تَبْيَانُ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُمَثِّلُ بِهَا الذِّهْنُ اللُّغَةَ، وَالْعَالَمَ الْخَارِجِيَّ، ثُمَّ صُورَ رِبْطُهُ بَيْنَهُمَا. وَمِنْ ثَمَّ؛ جُعِلَتْ دِرَاسَةُ الْمَعْنَى- كَمَا سَبَقَ وَأَنَّ أَكْثَرَ جَاكَنْدُوف- فَرْعًا مِنَ النَّظَرِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ، وَعِلْمِ النَّفْسِ الْمَعْرِفِيِّ.

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الْمَوْقِفَ الذِّهْنِيَّ أَسْهَمَ فِي إِغْنَاءِ الْبَحْثِ فِي نَظَرِيَّةِ الدَّلَالَةِ بِنَحْوِ مَكَّتَمَا مِنَ الْاِشْتِغَالِ فِي اتِّجَاهَيْنِ مُتَلَاذِمَيْنِ¹:

● مِنَ الذِّهْنِ إِلَى اللُّغَةِ: أَيْ الْبَحْثُ فِي طَبِيعَةِ التَّمَثِيلِ الذِّهْنِيِّ الْبَشَرِيِّ. وَهَذَا التَّمَثِيلُ، إِذَا نَظَرْنَا إِلَيْهِ فِي اسْتِقْلَالٍ عَنِ اعْتِبَارَاتِ الْمَعْنَى، كَفَيْلٌ بِأَنْ يُقَيَّدَ النَّظَرِيَّةَ الدَّلَالِيَّةَ أَوْ يُغْنَمَا.

● مِنَ اللُّغَةِ إِلَى الذِّهْنِ: أَيْ الْبَحْثُ فِي النَّتَاجِ الَّتِي يَتِمُّ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا فِي إِطَارِ النَّظَرِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ، وَمُحَاوَلَةُ رِبْطِ ذَلِكَ بِمَسَائِلِ تَخَصُّصِ الْإِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ، وَالتَّقَاطُفِ التَّجْرِبِيَّ عِنْدَ الْإِنْسَانِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُجَمِّلَ الْمَوْقِفَ الذِّهْنِيَّ بِالنَّسَبَةِ لِنَظَرِيَّةِ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: "إِنَّ الْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ بَنِيَّةٌ مَعْلُومَاتٍ مُرْمَزَةٍ فِي الذِّهْنِ الْبَشَرِيِّ، أَوْ هُوَ تَمَثِيلٌ ذِهْنِيٌّ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تَحْمِلُهَا اللُّغَةُ مَصُوغَةٌ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يُنْظَمُ بِهَا الذِّهْنُ التَّجْرِبِيَّ، وَلَا يُمْكِنُ لِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْمُتَجَلِّيَّةِ فِي تَعَابِيرِ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ أَنْ تُحِيلَ عَلَى الْعَالَمِ الْوَاقِعِيِّ، كَمَا فِي نَظَرِيَّاتٍ أُخْرَى، وَإِنَّمَا عَلَى عَالَمٍ مُسْقِطٍ نَاتِجٍ عَنِ هَذِهِ الْبِنْيَةِ، وَوَلِيدِ التَّنْظِيمِ الذِّهْنِيِّ الْمَذْكُورِ"².

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِتَنْظِيمِ الذِّهْنِ الْبَشَرِيِّ لِلتَّجْرِبَةِ الْمَعِيشَةِ يَغْنَى أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تُعْزَى إِلَى عَوَامِلٍ وَرَثِيَّةٍ، وَإِدْرَاكِيَّةٍ، وَمَعْرِفِيَّةٍ، وَتَقَافِيَّةٍ تَجْعَلُ لَنَا طَرِيقَةً نُجْرَى بِهَا الْعَالَمَ، وَنُنْظَمُ تَجْرِبَتَنَا دَاخِلَهُ، بِحَيْثُ لَا نَسْتَطِيعُ الْخَدِيثَ عَنِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهَا تَمَثِيلٌ ذِهْنِيٌّ خِلَالَ عَمَلِيَّاتِ التَّنْظِيمِ تِلْكَ. وَمِنْ ثَمَّ؛ تَطْرُقُ الدَّلَالَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ مُشْكَلَاتِ الْإِحَالَةِ، وَالْوَاقِعِ، وَالْحَقِيقَةِ، وَالصِّدْقِ، وَكَيْفِيَّةِ التَّوَاصُلِ فِي سِيَاقِ نَظَرِيٍّ جَدِيدٍ يَخْتَلِفُ، كَلِيًّا، عَنِ نَظَرِيَّاتِ الدَّلَالَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

ظَهَرَ مَبْدَأُ التَّأَلِيفِيَّةِ مَعَ إِطَارِ الْعَمَلِ الذِّهْنِيِّ فِي النَّحْوِ التَّوَلِيدِيِّ (1965)، وَالَّذِي يُنْصُ عَلَى أَنَّ مُسْتَعْمِلِي اللُّغَةِ يَسْتَبْطِنُونَ طَائِفَةً مِنَ الْمَبَادِيِ أَوْ الْقَوَاعِدِ الْمَحْدُودَةِ الْأَوَاعِيَّةِ، وَالَّتِي تُمَكِّنُهُمْ مِنْ إِنتَاجِ عَدَدٍ لَا مَحْدُودٍ مِنَ الْجُمَلِ وَفَهْمِهَا³.

هَكَذَا؛ يُوَضِّحُ دَمُجُ مَبْدَأِ التَّأَلِيفِيَّةِ فِي إِطَارِ الْمَوْقِفِ الذِّهْنِيِّ مَظْهَرَ الْإِبْدَاعِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمَعْرِفَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالَّتِي يَتَطَلَّبُ رِصْدُهَا، بِطَائِعِهَا الْإِبْدَاعِيَّ، مُكَوَّنِينَ اثْنَيْنِ: "الْأَوَّلُ لِأَيْحَةَ مَحْدُودَةٍ مِنَ الْعُنَاصِرِ الْبِنْيَوِيَّةِ الصَّالِحَةِ لِلتَّأَلِيفِ، وَهِيَ الْمُسَمَّاءُ عَادَةً "مُعْجَمًا"، وَالثَّانِي مَجْمُوعَةٌ مَحْدُودَةٌ مِنَ الْمَبَادِيِ وَالْقَوَاعِدِ لِلتَّأَلِيفِ بَيْنَ الْعُنَاصِرِ الْمَذْكُورَةِ، أَوْ مَا يُسَمَّى "نَحْوًا"⁴.

¹ جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 123.

² غاليوم محمد (إعداد وتنسيق)، دراسات في الدلالة العربية المقارنة، الرباط، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، 1، 2015، ص 20.

³ Jackendoff. Ray, **Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure**, P29.

⁴ غاليوم محمد (إعداد وتنسيق)، دراسات في الدلالة العربية المقارنة، ص 21.

سَتَحْتَفِظُ نَظَرِيَّاتُ الدَّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ بِمَبَادِي النَّحْوِ التَّوَلِيدِيِّ السَّابِقَةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، فَإِنَّهَا سَتَتَخَلَّى عَنِ افْتِرَاضَاتِ أُخْرَى كَالْقَوَاعِدِ الْأَشْتِقَاقِيَّةِ وَمَرْكَزِيَّةِ التَّرْكِيبِ لِتُحَاجَّ بِوُجُودِ نَسَقٍ دَلَالِيٍّ مُسْتَقِلٍّ بِخَصَائِصِهِ التَّأْلِيفِيَّةِ¹، أَيْ أَنْ يُصْبِحَ النَّسَقُ الدَّلَالِيُّ، شَأْنَهُ شَأْنَ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ، نَسَقًا تَوَلِيدِيًّا مُسْتَقِلًّا، لَا نَسَقًا تَأْوِيلِيًّا كَمَا يَفْتَرِضُهُ النَّحْوُ التَّوَلِيدِيُّ*.

1.1.2. قيود على نظرية الدلالة في السياق المعرفي:

والآن؛ يُمكنُ الانتقالُ، مِنْهَجِيًّا، مِنْ وَضْعِ الْمَبَادِي الْأَسَاسِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ إِلَى وَضْعِ طَائِفَةٍ مِنَ الْقِيُودِ عِلْمِيًّا. وَفِي هَذَا السِّيَاقِ؛ تَقْتَرِحُ النَّظَرِيَّةُ اللَّسَانِيَّةُ، مِنَ الْمَنْظُورِ الْمُعْجَبِيِّ، مَجْمُوعَةً مِنَ الْقِيُودِ عَلَى النَّظَرِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ حَتَّى تَرُصِدَ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ. مِنْ تِلْكَ الْقِيُودِ، يَنْتَجِبُ جَاكَنْدُوفُ أَرْبَعَةً²:

- **التَّعْبِيرِيَّةُ (Expressiveness):** فَعَلَى نَظَرِيَّةٍ تَعْنَى بِالْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ أَنْ تَكُونَ كَافِيَةً مُلَاخِظِيًّا، وَأَنْ تَكُونَ قَادِرَةً عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ كَلِّ التَّبَايُنَاتِ الدَّلَالِيَّةِ (semantic distinction) الَّتِي تَنْتَهِجُهَا لُغَةٌ طَبِيعِيَّةٌ مَا. بَيِّنْ أَنَّهُ، لَا يُمكنُ، عَمَلِيًّا- بِطَبِيعَةِ الْحَالِ- لِأَيِّ نَظَرِيَّةٍ، أَنْ تَرُوزَ كَلَّ الْجُمَلِ الْمُمكنَةِ، وَلَكِنَّ كَلَّ النَّاسِ يَفْتَرِضُونَ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الظَّوَاهِرِ الدَّلَالِيَّةِ فِي اللُّغَةِ، هِيَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُؤَخَذَ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ.
- **الِكُلِّيَّةُ (Universality):** كَيْ نُبَيِّنَ أَنَّ اللُّغَاتِ قَابِلَةٌ لِلتَّرْجَمَةِ، بِنَحْوِ كَبِيرٍ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَخْزُونُ الْبِنْيَاتِ الدَّلَالِيَّةِ الْقَابِلِ لِلإِسْتِعْمَالِ مِنْ لَدُنِ اللُّغَاتِ الْخَاصَّةِ كُلِّيًّا. فَإِنَّمَا تَكُنُ التَّرْجَمَةُ الْحَرْفِيَّةُ لِجُمَلَةٍ مَا مِنْ لُغَةٍ إِلَى أُخْرَى مُمكنَةً تَكُنُ الْجُمَلَتَانِ مُشْتَرِكَتَيْنِ بِالْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ. غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، أَنَّ كَلَّ لُغَةٍ تَسْتَطِيعُ، بِالضَّرُورَةِ، التَّعْبِيرَ عَنِ أَيِّ مَعْنَى، لِأَنَّهُ مِنْ الْمُمكنِ لِلُغَةِ مَا أَنْ تَكُونَ مَحْدُودَةً فِي مُعْجَمِهَا، أَوْ بِبِنْيَتِهَا النَّحْوِيَّةِ، أَوْ قَوَاعِدِ التَّوَافُقِ (correspondence rules) [القَوَاعِدِ الَّتِي تُقَرِّنُ الْمَعْنَى بِالشَّكْلِ التَّرْكِيبِيِّ، أَوْ تُسْقِطُهُ فِيهِ].
- **التَّأْلِيفِيَّةُ (Compositionality):** عَلَى نَظَرِيَّةِ الدَّلَالَةِ أَنْ تُوفِّرَ طَرِيقًا مُقَعَّدًا بِالْمَبَادِي لِمَعَانِي أَجْزَاءِ الْجُمَلَةِ لِتُؤَلَّفَ مَعْنَى الْجُمَلَةِ الْعَامِّ، وَيُمْكِنُ تَبَيُّنَ هَذَا الشَّرْطِ بِصِغْتِهِ الْقَوِيَّةِ أَوْ الضَّعِيفَةِ حَسَبَ مَا إِذَا أُريدَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُكوِّنٍ (وكذلك كل كلمة) فِي الْجُمَلَةِ مُرَوِّدًا بِتَأْوِيلٍ مُسْتَقِلٍّ [مَعْنَى مُسْتَقِلٍّ] أَمْ لَا.

¹ Jackendoff. Ray, **Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure**, P48-53.

ففي إطار ما يدعوه هندسة التوازي (Parallel Architecture)، يجعلُ جاكندوفُ النَّسَقَ الدَّلَالِيَّ، والنَّسَقَ التَّرْكِيبِيَّ، والنَّسَقَ الصَّوْطِيَّ، كلَّها أنساقًا تَوَلِيدِيَّةً مُسْتَقِلَّةً بِقَوَاعِدِهَا، وَخَصَائِصِهَا التَّأْلِيفِيَّةِ، لِتَرْتَبِطَ فِيهَا بَيْنَهَا بِمَوْجِبِ طَائِفَةٍ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْوِجَاهِيَّةِ (Interfaces).

* إِنْ كَانَ طَرِيقُ اللُّغَةِ فِي إِطَارِ الْمَوْقِفِ الدِّهْنِيِّ وَالتَّأْلِيفِيَّةِ (وَهُمَا مَا يَسْتَنْدَانِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ إِلَى تَرَاثِ الْفَلَسَفَةِ الْعُقْلَانِيَّةِ) هُوَ مَا أَحَدَتْ أَنْفِلَابًا فِي النَّظَرِيَّةِ اللَّسَانِيَّةِ، فَمَا أَوْدُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ جَاكَنْدُوفَ، وَإِنْ تَمَسَّكَ بِمَبَادِي مُعَلِّمِهِ شومسكي الْعُقْلَانِيَّةِ، فَإِنَّهُ ظَلَّ مُنْصَبًا لِعَالَمِ التَّجْرِبَةِ الَّتِي أَنْفَتَحَ عَلَيْهِ فِي بِنَاءِ مَشْرُوعِ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، بِرَمْتِهِ، وَذَلِكَ مَا سَيَبْدَى فِي هَذِهِ الدَّرَاسَةِ.

² Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, P11.

● السِّمَاتِ الدَّلَالِيَّةِ (Semantic Properties): على نَظَرِيَّةِ الدَّلَالَةِ أَنْ تَكُونَ قَادِرَةً عَلَى تَعْلِيلِ مَا يُعْرَفُ بِـ "السِّمَاتِ الدَّلَالِيَّةِ" لِلْمَلْفُوظَاتِ، مِثْلَ التَّرَادُفِ¹، وَالانْحِرَافِ، وَالتَّحْلِيلِيَّةِ²، وَالْإفْتِرَاضِ الْمُسَبِّقِ³، وَعَلَيْهَا، خَاصَّةً، أَنْ تُفَسِّرَ مَفْهُومَ "الاسْتِدْلَالِ السَّلِيمِ"⁴ (valid inference).

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَهْمِيَّةِ الْفِيُودِ السَّابِقَةِ، إِلَّا أَنَّهَا تَنْظُلُ قَاصِرَةً عَنْ تَوْضِيحِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَعْكِسُ بِهَا الشَّكْلُ التَّرَكِيبِيُّ لِلْغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ طَبِيعَةَ الْفِكْرِ الْبَشَرِيِّ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهَا لَا تَوْصِلُنَا، مُبَاشَرَةً، إِلَى الْاسْتِدْلَالِ عَلَى مُسْتَوَى الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، وَهَذَا شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ مَا دُمْنَا نَتَّعِيًا نَظَرِيَّةً دَلَالِيَّةً لِبِنْيَةِ الْمَعْلُومَاتِ عَامَّةً، لَا الْغَوِيَّةِ مِنْهَا فَحَسْبُ. وَمِنْ نَمِّ، وَلِتَحْقِيقِ مَا تَقَدَّمَ؛ يُضَيَّفُ جَاكَندُوفُ قَيْدَيْنِ جَدِيدَيْنِ هُمَا: الْقَيْدُ النَّحْوِي، وَالْقَيْدُ الْمَعْرِفِيُّ.

يَقُولُ الْقَيْدُ النَّحْوِيُّ (The Grammatical Constraint) إِنَّهُ يَجِبُ تَفْضِيلُ نَظَرِيَّةِ دَلَالِيَّةِ تُفَسِّرُ، بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، التَّعْمِيمَاتِ الْاِعْتِبَاطِيَّةَ فِي التَّرَكِيبِ وَالْمَعْجَمِ، وَهُوَ قَيْدٌ يُمَكِّنُ تَبْرِيرَهُ لَوْ فَكَّرْنَا فِي مَهْمَةٍ مُتَعَلِّمِ اللُّغَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الرِّبْطَ (mapping) بَيْنَ الشَّكْلِ التَّرَكِيبِيِّ وَالْمَعْنَى، إِذْ يَبْدُو أَنَّ مُتَعَلِّمَ اللُّغَةِ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى اِكْتِسَابِ تَرْكِيبِ لُغَةٍ مَا مِنْ دُونِ اسْتِعْمَالِ قَوَاعِدِ التَّوَافِقِ.

¹ يُعْرَفُ التَّرَادُفُ (synonymy) بِأَنَّهُ عِلَاقَةٌ مَعْنَى تَصَوُّرِيٌّ يَكُونُ فِيهَا لِغُفْرَدَتَيْنِ مُعْجَمِيَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ الْمَعْنَى الْقُضُوبِيَّ أَوْ الْوُضُفِيَّ نَفْسُهُ، وَلِذَلِكَ؛ يُسَمَّى أَيْضًا التَّرَادُفُ الْقُضُوبِيَّ أَوْ الْوُضُفِيَّ (propositional or descriptive synonymy)، مِثْلَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ (مُخْفِي، يَخْفَى، يَجِبُ، يَسْتُرُ). وَيَجْرِي التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمُرَادِفَاتِ الْمَطْلُوقَةِ، وَهِيَ الْمُرَادِفَاتِ الَّتِي تَشْتَرِكُ الْمَعْنَى الْمُنَاطِقِيَّ فِي كُلِّ التَّوَاحِي وَالسِّيَاقَاتِ، وَالْمُرَادِفَاتِ الْجُزْئِيَّةِ، وَهِيَ مُرَادِفَاتِ، لَكِنْ لَيْسَ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةً. إِنَّ الْمُرَادِفَاتِ الْمَطْلُوقَةَ نَادِرَةٌ جَدًّا، بَلْ تَكَادُ تَكُونُ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ، وَلِذَلِكَ؛ فَإِنَّ أَغْلَبَ الْمُرَادِفَاتِ هِيَ مُرَادِفَاتِ جُزْئِيَّةِ.

يُنْظَرُ: هَوَانِجُ، يَانِ، مَعْجَمُ أَكْسَفُورْدِ لِلتَّوَالُفِيَّةِ، تَرْجَمَةُ: هِشَامِ إِبْرَاهِيمِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ، بِيْرُوتِ، دَارِ الْكِتَابِ الْجَدِيدِ الْمُتَّحِدَةِ، ط 1، 2020، ص 631.

² تُشِيرُ التَّحْلِيلِيَّةِ (analyticity) إِلَى الْقَضِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَفْهُومُ الْمَحْمُولِ أَوْ الْمُسْتَدِّ (predicate) مُتَّصِمًا فِي مَفْهُومِ الْمَوْضُوعِ أَوْ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ (subject). مَثَلًا: بِمَا أَنَّ فِكْرَةَ "الْأَحْمَرِ" مَوْجُودَةٌ فِي فِكْرَةِ "الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ"، فَإِنَّ جُمْلَةَ "كُلُّ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ هُوَ أَحْمَرٌ"، هِيَ تَحْلِيلِيَّةٌ أَوْ صَادِقَةٌ تَحْلِيلِيًّا. وَالْقَضِيَّةِ التَّحْلِيلِيَّةِ الَّتِي تَصَدِّقُ بِفَضْلِ صِعْبَتِهَا الْمُنطِقِيَّةِ تُسَمَّى "تَحْصِيلِ حَاصِلِ" (tautology).

يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص 105-106.

³ الْإفْتِرَاضُ الْمُسَبِّقُ (presupposition) هُوَ أَحَدُ الْمَظَاهِرِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تُعَالِجُهَا الدَّرِيْعِيَّاتِ (التَّوَالُفِيَّةِ)، وَهُوَ قَضِيَّةٌ يُسَلَّمُ بِصِدْقِهَا، كَتَحْصِيلِ حَاصِلِ، عِنْدَ التَّنَطُّقِ بِالْجُمْلَةِ. وَالْوِظْفَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلْإفْتِرَاضِ الْمُسَبِّقِ هِيَ أَنْ يَعْْمَلَ بِوُضُفِهِ شَرْطًا مُسَبِّقًا أَوْ افْتِرَاضًا مِنْ نَوْعٍ مَا لِلْاسْتِعْمَالِ الْمُنَاسِبِ لِلْجُمْلَةِ. مَثَلًا: الْجُمْلَةُ: "زَيْدٌ نَادِمٌ لِأَنَّهُ صَارَ حَادًا الطَّبَعِ"، تَفْتَرِضُ مُسَبِّقًا أَنَّ "زَيْدًا صَارَ حَادًا الطَّبَعِ". وَتَتَمَيَّزُ الْإفْتِرَاضَاتُ الْمُسَبِّقَةَ، بِالْعَمُومِ، بِسِمَتَيْنِ أُسَاسِيَّتَيْنِ هُمَا: الثَّبَاتِ عِنْدَ التَّفْهِيمِ، وَإِمْكَانِيَّةِ الْإِلْغَاءِ أَوْ الْإِبْطَالِ. بِالنَّسْبَةِ لِلْسِمَةِ الْأُولَى، فَإِنَّ نَفْيَ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ: "لَمْ يَنْدَمْ زَيْدٌ لِأَنَّهُ صَارَ حَادًا الطَّبَعِ" لَا يَنْفِي الْإفْتِرَاضَ الْمُسَبِّقَ: "صَارَ زَيْدٌ حَادًا الطَّبَعِ"، أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِلْسِمَةِ الثَّانِيَةِ (وَهِيَ سِمَةُ لِكُلِّ الظَّوَاهِرِ الدَّرِيْعِيَّةِ)، فَإِنَّ الْإفْتِرَاضَ الْمُسَبِّقَ يُمَكِّنُ الْإِلْغَاءَ، مَثَلًا، إِنَّ الْجُمْلَةَ: "لَمْ يُفْلِحْ زَيْدٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى وَظِيفَةٍ" تَفْتَرِضُ أَنَّ: "زَيْدًا حَاقِلَ الْحُصُولِ عَلَى وَظِيفَةٍ". لَكِنْ بِالْإِمْكَانِ الْإِلْغَاءُ الْإفْتِرَاضَ الْمَذْكُورَ يَقُولُنَا: "لَمْ يُفْلِحْ زَيْدٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى وَظِيفَةٍ، بَلْ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُجَاوِلْ".

يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص 523-524.

⁴ الْاسْتِدْلَالُ، عَمُومًا، هُوَ عَمَلِيَّةُ قَبُولِ الْخَبَرِ أَوْ الْقَضِيَّةِ (الَّتِي تُسَمَّى النَّتِيجَةَ) عَلَى أُسَاسِ الْقَبُولِ (الْمَوْقُوتِ رُبَّمَا) لِوَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الْأَخْبَارِ أَوْ الْقَضَايَا (الَّتِي تُسَمَّى الْمَقْدَمَاتِ). وَهُوَ يَشْمَلُ الْاسْتِنْبَاطَ (deduction)، وَالْاسْتِقْرَاءَ (induction)، وَقِيَاسَ الْخَطْفِ (abduction)، وَهُوَ يَشْمَلُ أَيْضًا الْزُّوْمَ الدَّلَالِيَّ (entailment)، وَالْإفْتِرَاضَ الْمُسَبِّقَ، وَالتَّلْوِيحَ الْحَوَارِيَّ (conversational implicature). بَعْضُ الْاسْتِدْلَالَاتِ مَنْطِقِيَّةِ بِطَبِيعَتِهَا (مِنْ دُونِ أَنْ تَكُونَ سَلِيمَةً بِالضَّرُورَةِ)، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ (يُمَكِّنُ الْإِلْغَاءَ). مَثَلًا، إِنَّ الْزُّوْمَ الدَّلَالِيَّ وَاحِدٌ مِنَ الْاسْتِدْلَالَاتِ الْمُنطِقِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ تَحْدِيدَهَا بِمَعَايِيرِ الصَّدَقِ: إِنَّ الْقَضِيَّةَ (أَوْ الْجُمْلَةَ الْمَعْرِوَةَ عَنِ الْقَضِيَّةِ) (ق) تَسْتَلْزِمُ الْقَضِيَّةَ (أَوْ الْجُمْلَةَ الْمَعْرِوَةَ عَنِ الْقَضِيَّةِ) (ك) إِذَا وَقَفَتْ إِذَا كَانَ صَدَقَ (ق) يَضْمَنُ صَدَقَ (ك)، عِنْدئذٍ؛ يَكُونُ الْاسْتِدْلَالُ (الزُّوْمُ الدَّلَالِيَّ) سَلِيمًا. مَثَلًا: "كُلُّ أَسَاتِذَةِ الْجَامِعَةِ مُجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ" تَسْتَلْزِمُ "بَعْضُ أَسَاتِذَةِ الْجَامِعَةِ مُجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ" بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ فِي الْجَامِعَةِ الْمَقْصُودَةِ أَسَاتِذَةً. وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا كَانَتْ (ق) كَاذِبَةً، فَلَا شَيْءَ يُقَالُ بِشَأْنِ (ك).

يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص 356.

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَهَّنَ، بِصُورَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ بِمَعَانِي الْمَفْهُومَاتِ انْطِلاقًا مِنَ السِّبَاقِ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي تَرْكِيبِ يُجَدِّدُ شَكْلَهَا... وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، يَهْمُ الْقَيْدُ النَّحْوِيُّ الْبَحْثَ عَنِ نَسَقِيَّةِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ التَّرْكِيبِ وَالذَّلَالَةِ، وَتَقْلِيلِ الْاِخْتِلَافَاتِ بَيْنَهُمَا، وَمِنْ ثَمَّ؛ يُعْطَى فَرَضُهُ عَلَى نَظَرِيَّةِ الذَّلَالَةِ الْإِمْكَانِيَّةِ فِي أَنْ تُصْبِحَ الذَّلَالَةُ مَشْرُوعًا تَجْرِبِيًّا مُهْمًا¹.

يَهْمُ الْقَيْدُ الْمَعْرِفِيُّ (The Cognitive Constraint) الرِّبْطَ بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ اللَّسَانِيَّةِ وَالنَّظَرِيَّةِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَيَرَى أَنَّهُ "لَا بُدَّ مِنْ مُسْتَوِيَاتٍ لِلتَّمْثِيلِ الذَّهْنِيِّ تَكُونُ فِيهَا الْمَعْلُومَةُ الَّتِي تُؤَدِّيهَا اللَّغَةُ مُنْسَجِمَةً وَالْمَعْلُومَاتِ الْآتِيَّةِ مِنْ بَاقِي الْأَنْسَاقِ الْمُحِيطَةِ (peripheral system)، مِثْلَ الرُّؤْيَةِ وَالسَّمَاعِ غَيْرِ اللَّغَوِيِّ، وَالسَّمِّ، وَالشُّعُورِ بِالْحَرَكَةِ، وَغَيْرِهَا، وَإِذَا لَمْ تَوْجَدْ مِثْلَ تِلْكَ الْمُسْتَوِيَاتِ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ اسْتِعْمَالُ اللَّغَةِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْمُدْخَلَاتِ الْجِسِّيَّةِ، وَلَا نَسْتَطِيعُ الْحَدِيثَ عَمَّا نَرَى وَنَسْمَعُ، وَيَنْبَغِي، عَلَى نَحْوِ مُمَائِلٍ، أَنْ يَوْجَدَ مُسْتَوَى تَكُونُ فِيهِ الْمَعْلُومَاتِ اللَّسَانِيَّةُ وَالْمَعْلُومَاتِ الَّتِي يُحْتَمَلُ أَنْ يَنْقُلَهَا النِّظَامُ الْحَرَكِيُّ مُنْسَجِمَتَيْنِ كَيْ نَتَمَكَّنَ مِنْ تَمْثِيلِ قُدْرَتِنَا عَلَى تَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ وَالتَّعْلِيمَاتِ"².

هَكَذَا؛ تُصْبِحُ الْقِيُودُ جَاهِزَةً لِأَفْتِرَاضِ مُسْتَوَى وَاحِدٍ مِنَ التَّمْثِيلِ الذَّهْنِيِّ، هُوَ الْبِنْيَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ، حَيْثُ تَكُونُ الْمَعْلُومَاتُ اللَّغَوِيَّةُ وَالْمَعْلُومَاتُ الْجِسِّيَّةُ وَالْحَرَكِيَّةُ مُتَنَاغِمَةً، إِنَّمَا، بِاخْتِصَارٍ، بِنْيَةُ مَعْلُومَاتِيَّةٍ عَامَّةٍ، وَفَرَضِيَّةٌ قَوِيَّةٌ جَامِعَةٌ تَهْمُ بِنْيَةَ الذَّهْنِ، بِحَيْثُ تَجْعَلُهَا الْوُضَائِفُ الَّتِي تَصْطَلِّحُ بِهَا عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ التَّرَاءِ وَالتَّعْقِيدِ.

1.2. في مفهوم البنية التصورية:

نُعَزِّزُ، فِي هَذَا الْفَرْعِ، مَفْهُومَ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ؛ وَذَلِكَ عَبْرَ الْوُقُوفِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ بَوَسَاطَتِهَا رِبْطَ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ بِالنَّظَرِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ، الْبِنْدِ (1.2.1)، حَتَّى إِذَا فَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ؛ نَتَحَوَّلُ إِلَى مَنَاقِشَةٍ طَائِفَةٍ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْوَجَاهِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ، وَالْإِدْرَاكِيَّةِ، وَالْمَعْرِفِيَّةِ، وَالَّتِي تُبَلِّغُهَا الذَّلَالَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ لِلرِّبْطِ بَيْنَ التَّصَوُّرَاتِ وَاللَّغَةِ، وَبَيْنَ التَّصَوُّرَاتِ وَبَاقِي الْأَنْسَاقِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَالْإِدْرَاكِيَّةِ، وَالْحَرَكِيَّةِ، الْبِنْدِ (1.2.2).

إِنَّ الْبِنْيَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ نَسَقٌ مُسْتَقِلٌّ بِخِصَائِصِهِ التَّأَلِيفِيَّةِ عَنِ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ، إِنَّمَا جُزْءٌ مِنَ الْفِكْرِ، وَلَيْسَتْ جُزْءًا مِنَ اللَّغَةِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا، بِذَا؛ فَهِيَ أَكْثَرُ تَرَاءٍ مِنَ النَّسَقِ التَّرْكِيبِيِّ، إِنَّمَا تَتَشَكَّلُ مِنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْمَقُولَاتِ الْأَنْطُولُوجِيَّةِ الْكُبْرَى، فِيمَا تَرْتَكِزُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمَقُولَاتِ الْفَطْرِيَّةِ، وَالتَّطَوُّرِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالْإِدْرَاكِيَّةِ. وَبِاخْتِصَارٍ، إِنَّمَا "الْمَحَلُّ الَّذِي يَتِمُّ فِيهِ فَهْمُ الْأَقْوَالِ اللَّغَوِيَّةِ سِيَاقَاتِهَا، بِمَا فِي ذَلِكَ الْاِعْتِبَارَاتُ الدَّرِيعِيَّةُ وَالْمَعْرِفَةُ الْمَوْسُوعِيَّةُ، إِنَّمَا الْبِنْيَةُ الْمَعْرِفِيَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي عَلِمُهَا التَّفَكُّيرُ وَالتَّخْطِيطُ، فَيُعْتَبَرُ هَذَا الْمُسْتَوَى الْمَفْتَرَضُ لِلْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ الْمُقَابِلِ النَّظَرِيِّ لِمَا يُسَمِّيهِ الْجِسُّ الْمَشْتَرِكُ (مَعْنَى)³."

1.2.1. البنية التصورية والنظرية الدلالية:

بَعْدَ اقْتِرَاحِ فَرَضِيَّةِ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، يَظَلُّ السُّؤَالُ مَعْرُوضًا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَوَّلَ فَرَضِيَّةُ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ فِي النَّظَرِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ؟، وَهُوَ مَا يُمَكِّنُ تَرْجَمَتَهُ بِصِبْغَةٍ أُخْرَى: كَيْفَ يُمَكِّنُ رِبْطَ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ بِالنِّظَامِ اللَّغَوِيِّ؟.

تَوْجَدُ طَرِيقَتَانِ لِرِبْطِ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ بِالنِّظَامِ اللَّغَوِيِّ: الْأُولَى أَنَّ الْبِنْيَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَوَى أَعْمَقَ مِنَ الْبِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ، تَرْتَبِطُ بِهَا بِوَسَاطَةِ مُكَوِّنٍ يُدْعَى، فِي الْغَالِبِ، الدَّرِيعِيَّاتِ (pragmatics) وَهَذَا الْمُسْتَوَى يُخَصِّصُ الْعِلَاقَةَ الْمَوْجُودَةَ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ وَالخَطَابِ، أَوْ الْخَلْفِيَّاتِ غَيْرِ اللَّغَوِيَّةِ (extralinguistic setting). تِلْكَ هِيَ وَجْهَةٌ نَظَرٌ كَاتَزُ وَفُودُورُ (1980)، وَوَجْهَةٌ

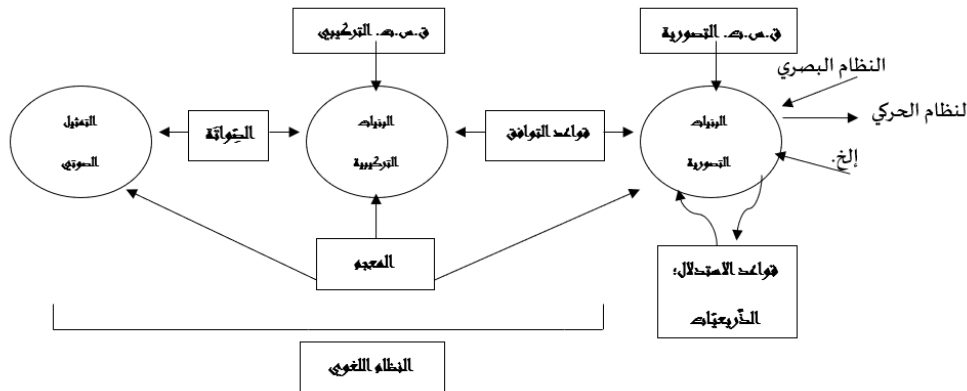
¹ Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, P13-15.

² **Ibid**, P16.

³ غَالِيمُ مُحَمَّدٌ (إِعْدَادُ وَتَنْسِيقُ)، دَرَاثَاتُ فِي الذَّلَالَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَقَارَنَةِ، ص 24.

النظر التي تبناها جاكندوف (1972) وهي ما سَيَخَلَى عَنْهَا لِصَالِحِ الطَّرِيقَةِ الثَّانِيَةِ، والتي تُفِيدُ بِأَنَّ تَكُونَ البِنْيَةَ الدَّلَالِيَّةَ مَجْمُوعَةً فَرَعِيَّةً مِنَ البِنْيَاتِ التَّصَوُّرِيَّةِ التي يَحْصُلُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا لَفْظِيًّا، وَتَذَهَبُ وَجْهَهُ النَّظَرِ هذه إلى أَنَّ قَوَاعِدَ التَّوَافُقِ تَرْتِطُ مَبَاشَرَةً بَيْنَ البِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، وَأَنَّ كِلَا المَجْمُوعَتَيْنِ مِنْ قَوَاعِدِ الاستِدلال (rules of inference)، والقَوَاعِدِ الدَّرِيعِيَّةِ (rules of pragmatics) تُؤَدِّيَانِ الرِّبْطَ انْطِلاقًا مِنَ البِنْيَاتِ التَّصَوُّرِيَّةِ، وَعَوْدَةً إِلَى البِنْيَاتِ التَّصَوُّرِيَّةِ. تلك هي وجهة النظر التي تَعْتَمِدُهَا أَغْلَبُ الأَعْمَالِ فِي الذِّكَاةِ الاَصْطِنَاعِيَّ عِنْدَمَا تَتَنَاوَلُ التَّرْكِيبَ مُسْتَقْلَلًا عَنِ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. وهي وجهة النظر التي دافع عنها فودور، وفودور وغاريت (1975)، وتبناها شومسكي (1975)¹.

لِنَتَدَكَّرَ افْتِرَاضَ القَيْدِ المَعْرِفِيِّ، وَمَا يُفِيدُهُ، فِي وَجْهِهِ مِنْ وَجُوهِهِ، بِأَنَّ يَكُونَ هُنَاكَ مُسْتَوَى وَاحِدًا لِلتَّمْثِيلِ الذِّهْنِيِّ تَكُونَ فِيهِ المَعْلُومَاتُ اللُّغَوِيَّةُ، والمَعْلُومَاتُ التي تُقَدِّمُهَا باقِي الأنْسَاقِ الإِدْرَاقِيَّةِ مُنْسَجِمَةً، أَوْ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ مُتَسَاقِفَةً، وَهَذَا مَا يُمَكِّنُنَا، بِالتَّحْدِيدِ، مِنَ الحَدِيثِ عَمَّا نَرَى وَنَسْمَعُ، وَمِنْ الحَرَكَةِ وَتَنْفِيذِ الأوامِرِ، إلخ. إِنَّ البِنْيَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ "تَقْتَرِحُ" وُجُودَ مُسْتَوَى وَاحِدٍ لِلتَّمْثِيلِ الذِّهْنِيِّ حَيْثُ يَجْرِي الرِّبْطُ مِنَ المَعْلُومَاتِ المُحِيطَةِ وَإِلَيْهَا. وَيَتَمَيَّزُ هَذَا المُسْتَوَى بِنِظَامٍ فَطْرِيٍّ لِقَوَاعِدِ سَلَامَةِ البِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ"².



الشكل 1: العلاقة بين البنية التصورية والنظام اللغوي

يُوضِّحُ (الشَّكْلُ 1)³ مَا نَعْتَنَاهُ، فِي السَّابِقِ، بِالطَّرِيقَةِ الثَّانِيَةِ لِلرِّبْطِ بَيْنَ البِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ وَالنِّظَامِ اللُّغَوِيِّ، وَهُوَ مَا يُتْرَجِمُ، أَيْضًا، بَعْضَ مَشْرُوعَاتِ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ: البَحْثُ فِي طَبِيعَةِ المَعْنَى مِنْ خِلالِ مَفْهُومِ قَوَاعِدِ سَلَامَةِ التَّكْوِينِ التَّصَوُّرِيَّةِ، وَالبَحْثُ فِي العِلَاقَةِ بَيْنَ المَعْنَى وَالمَعْنَى، أَوْ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ بَيْنَ البِنْيَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ مِنْ خِلالِ مَفْهُومِ قَوَاعِدِ التَّوَافُقِ، وَإِجْرَاءِ تَقَاطُعَاتِ بَيْنَ البِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ وَنَظَرِيَّاتِ الحَوَاسِّ، وَكَذَلِكَ نَظَرِيَّاتِ العَمَلِ، إلخ. وَبِعبارةٍ وَاحِدَةٍ، تَسْتَغِلُّ الدَّلَالَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ المَعْرِفِيَّةَ لِإثْرَاءِ النَّظَرِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ، كَمَا تَسْتَغِلُّ النَّظَرِيَّةُ اللِّسَانِيَّةَ لِإثْرَاءِ النَّظَرِيَّةِ المَعْرِفِيَّةِ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ مَا يَهْمُنَا فِي هَذَا السِّيقِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ جَاكَنْدُوفَ سَيَخَلَى لِاحِقًا (فِي الفَصْلِ السَّادِسِ مِنْ كِتَابِهِ الدَّلَالَةُ وَالمَعْرِفَةُ) عَنِ التَّمْيِيزِ القَائِمِ بَيْنَ البِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ وَالبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ بِمَا هُمَا مُسْتَوِيَانِ مِنَ التَّمْثِيلِ الذِّهْنِيِّ، وَأَنَّ البِنْيَةَ الدَّلَالِيَّةَ هِيَ

¹ Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, P19.

² **Ibid**, P19.

³ Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, P21.

فَرَعُ مِنَ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ يَجْرِي التَّعْبِيرُ عَنْهَا لُغَوِيًّا؛ حَيْثُ إِنَّ كُلَّ مَا لَهُ تَمَثُّلٌ ذَهْنِي يُعَبَّرُ عَنْهُ بِاللُّغَةِ، وَمِنْ ثَمَّ؛ تُعَدُّ الْبِنْيَةُ الدَّلَالِيَّةُ الْبِنْيَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ، أَوْ، بِالْأُخْرَى، تُعْنِي الْبِنْيَةُ الدَّلَالِيَّةُ وَالْبِنْيَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ مُسْتَوَى التَّمَثُّلِ الذَّهْنِيِّ نَفْسَهُ. وَفِي هَذَا الصَّدَدِ، يَقُولُ جَاكَنْدُوفُ: "إِنَّ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ هِيَ تَعْبِيرَاتٌ مِنَ الْبِنْيَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، مَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ شَكْلٌ لِلتَّمَثُّلِ الذَّهْنِيِّ مُخَصَّصٌ لِلْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ لِمَعَانِي الْكَلِمَاتِ وَحَدَهَا يَكُونُ مُتَمَيِّزًا مِنَ الْمُسْتَوَى الَّذِي تَتَنَاغَمُ فِيهِ الْمَعْلُومَةُ اللُّغَوِيَّةُ وَالْمَعْلُومَةُ غَيْرُ اللُّغَوِيَّةِ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ التَّمَيِّزُ قَائِمًا، كَمَا يُدْعَى فِي الْغَالِبِ، يُبْنَ الْقَامُوسِ وَالْمَعْلُومَاتِ الْمُوسَّوعِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ تَمَيِّزًا بَيْنَ الْمُسْتَوَاتِ، بَلْ إِنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ مُفْتَطَعٌ مِنَ الْقِمَاشِ نَفْسِهِ"¹.

1.2.2. البنية التصورية وبعض وجاهاتها:

نُخَصِّصُ هَذَا الْبَنْدَ لِمُنَاقَشَةِ أَحَدِ الْاِفْتِرَاضَاتِ الْمَرْكَزِيَّةِ فِي الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ، وَأَعْنِي الْقَوَاعِدَ الْوَجَاهِيَّةَ (rules interface) بِوَصْفِهَا طَائِفَةً مِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي تُسْقَطُ بِنِيَّاتِ النَّسَقِ التَّأْلِيفِيِّ لِلْفِكْرِ / الْمَعْنَى / التَّصَوُّرَاتِ عَلَى الْبِنْيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالصَّوَاتِيَّةِ، مِنْ جِهَةٍ، وَهِيَ مَا يُسَمَّى عَادَةً "دَلَالَةً لُغَوِيَّةً"، وَتَوْصِلُ الْعَمَلِيَّاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَالْأَنْسَاقَ الْإِدْرَاكِيَّةَ وَالْحَرَكَاتِيَّةَ إِلَى الْأَفْكَارِ / التَّصَوُّرَاتِ لِتَنَمَكَّنَ مِنَ التَّفْكِيرِ وَالتَّخْطِيطِ وَالِاسْتِنْتَاجِ وَالْحَدِيثِ عَمَّا نَرَاهُ وَنَسْمَعُهُ، إلخ، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَبِاخْتِصَارٍ، فَإِنَّ الْقَوَاعِدَ الْوَجَاهِيَّةَ فَرَضِيَّةٌ جَدُّ مُهِمَّةٌ لَوْضَعِ دِرَاسَةِ الْمَعْنَى دَاخِلَ مَشْرُوعِ مَا يَدْعُوهُ جَاكَنْدُوفُ (2002) دِرَاسَةَ الذَّهْنِ الْوَضَائِعِيَّةِ (functional mind).

بَيْنَمَا، سَابِقًا، كَيْفَ تَخَلَّتِ الدَّلَالَةُ التَّصَوُّرِيَّةُ عَنْ بَعْضِ الْاِفْتِرَاضَاتِ الْمُهَيْمَةِ فِي النَّحْوِ التَّوَلِيدِيِّ خَاصَّةً تِلْكَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِمَرْكَزِيَّةِ التَّرْكِيبِ، وَالْقَوَاعِدِ الْاِسْتِقَافِيَّةِ، لِنُحَاجِ بِأَنَّ الْمَعْنَى نَسَقٌ تَوَلِيدِيٌّ مُسْتَقِلٌّ بِخِصَائِصِهِ التَّأْلِيفِيَّةِ عَنِ التَّرْكِيبِ وَالصَّوَاتِ، وَأَنَّ دِرَاسَةَ ذَلِكَ النَّسَقِ التَّأْلِيفِيِّ لَا بُدَّ وَأَنَّ تَدْمِجَ فِي إِطَارِ نَظَرِيَّةٍ أَوْسَعٍ لِلذَّهْنِ. وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ، "فَالِقَاءُ نَظَرَةٍ عَلَى الْمَجَالَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ الَّتِي تَمَّتْ دِرَاسَتُهَا حَتَّى الْآنَ يَبْدُو أَنَّهُ يَكْشِفُ عَنْ نَتِيجَةٍ هَامَّةٍ مَفَادُهَا عَدَمُ وُجُودِ قُدْرَةِ مَعْرِفِيَّةٍ أُخْرَى تُقْبَلُ أَنْ تَوْصَفَ عَلَى أَسَاسِ اِسْتِقَافَاتٍ حَوَازِمِيَّةِ، بَلْ يَظْهَرُ أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ عَمُومًا بِأَنْسَاقِ مِنَ الْفِيُودِ الْمُتَفَاعِلَةِ. وَهَذَا مَا تُبْلُوهُ نَظَرِيَّةُ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ الْقَائِمَةُ عَلَى تَقَانَةِ الْفِيُودِ عَوْضَ الْقَوَاعِدِ الْاِسْتِقَافِيَّةِ"².

هكذا؛ تُعَدُّ الْوَجَاهَاتُ أَدَاءً صَوْرِيَّةً يَتَفَاعَلُ بِمُوجِبِهَا نَسَقَانِ مُسْتَقِلَّانِ فِي بِنْيَةِ الذَّهْنِ / الدِّمَاغِ، لِتُصَيِّحَ مِنْ ثَمَّ أَدَاءً وَاصِلَةً بَيْنَ الْمَلَكَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَبَاقِي الْمَلَكَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالِإِدْرَاكِيَّةِ، وَهِيَ مَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ مِنْ خِلَالِ الْفَرَضِ التَّالِي: إِنَّ هُنَاكَ وَجَاهًا ذَا بِنْيَةٍ هِيَ ج، يَتَفَاعَلُ بِوَسْطَتِهِ نَسَقَانِ مُسْتَقِلَّانِ هُمَا أ و ب، بِنَاءً عَلَى مَا يَلِي:

- هُنَاكَ اِخْتِلَافَاتٌ بِنَوِيَّةٍ وَارِدَةٌ بَيْنَ أ و ب.
- يَشْتَرِكُ أ و ب فِي النَّسَقِ ج الَّذِي يُمَثَّلُ تَشَاكُلًا مُفِيدًا بَيْنَ بِنْيَاتٍ وَعَمَلِيَّاتٍ جُزْئِيَّةٍ تَنْتَمِي إِلَى أ و ب.
- تَتَفَاعَلُ أ و ب مِنْ خِلَالِ ج، أَي أَنَّ أ تُؤَثِّرُ نَسَقِيًّا فِي ب (وَبِالْعَكْسِ) عَبْرَ تَوْسُطِ ج³.

تَأْسِيسًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ؛ تَبْدُو الْقَوَاعِدُ الْوَجَاهِيَّةُ فَرَضِيَّةٌ صَالِحَةٌ لِلْفَهْمِ؛ فَإِنَّ نَفَازَ الْمَعْنَى نَسَقًا مُسْتَقِلًّا بِخِصَائِصِهِ التَّأْلِيفِيَّةِ، يَعْنِي، أَنْ نَسْأَلَ:

¹ Ibid, P110.

² غاليم، محمد، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، الدار البيضاء، مجلة فكر ونقد، العدد: 96، 2008، ص 68.

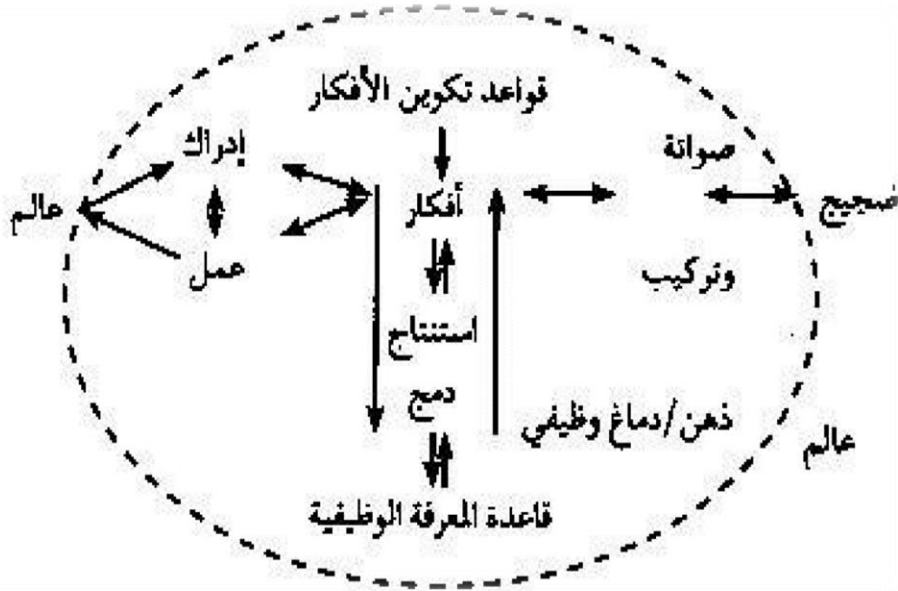
³ غاليم، محمد، النظرية الذرية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق، مجلة أبحاث لسانية، الرباط، العدد: 32، 2016، ص 38.

(1) "كَيْفَ يُمَكِّنُ تَخْصِيصُ الْإِزْسَالِيَّاتِ/ الْأَفْكَارِ/ التَّصَوُّرَاتِ الَّتِي يُعَبِّرُ عَنْهَا/ يَنْقُلُهَا الْمُتَكَلِّمُونَ عَنْ طَرِيقِ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ؟"¹.

وَأَنْ نَفْتَرِضَ، فِي الْمُقَابِلِ، بِأَنَّ اللُّغَةَ يُمَكِّنُهَا التَّعْبِيرُ عَنْ ذَلِكَ النَّسَقِ التَّأْلِيفِيِّ، يَعْنِي أَنْ نَسْأَلَ:

(2) "كَيْفَ نُعَبِّرُ اللُّغَةَ عَنْ/ تَنْقُلُ هَذِهِ الْإِزْسَالِيَّاتِ؟"².

هكذا؛ يُعَبِّرُ كِلَا السَّوَالَيْنِ عَنْ مَشْرُوعَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ يَهْمَانِ الدَّلَالَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ بِوَصْفِهَا نَظْرِيَّةً فِي دِرَاسَةِ الْمَعْنَى تَتَمَوَّقِعُ فِي دِرَاسَةِ الذَّهْنِ الْوِظَيفِيِّ: حَيْثُ يَشْتَغَلُ السَّوَالُ الْأَوَّلُ بِتَخْصِيصِ النَّسَقِ التَّأْلِيفِيِّ لِلْمَعْنَى، وَهُوَ مَا سَمَّيْتُهُ فِي (الشَّكْلِ 2)³ قَوَاعِدُ تَكْوِينِ الْأَفْكَارِ، فِي حِينٍ يَتَّجِهُ السَّوَالُ الثَّانِي إِلَى الْبَحْثِ عَنْ طَائِفَةِ الْقَوَاعِدِ الْوِجَاهِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالتَّعْبِيرِ اللُّغَوِيِّ عَنِ الْمَعْنَى، وَهِيَ مَا دَعَوْتُهَا فِي (الشَّكْلِ 1) قَوَاعِدُ التَّوَافُقِ الَّتِي تَرْبِطُ الْبِنْيَةَ التَّصَوُّرِيَّةَ بِالنِّظَامِ اللُّغَوِيِّ وَبِنْيَاتِهِ التَّرْكَيبِيَّةَ وَالصَّوَاتِيَّةَ، وَهِيَ مَا يُمَثِّلُهَا الْجُزْءُ الْأَيْمَنُ مِنْ (الشَّكْلِ 2)، حَيْثُ يَجْعَلُ الصَّوَاتَةَ وَالتَّرْكَيبَ فِي وَجْهِ وَاحِدٍ يَرْبِطُ الْأَفْكَارَ فِي الذَّهْنِ الْوِظَيفِيِّ بِصُجُبِ الْعَالَمِ، وَذَلِكَ لِنَقْلِهِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ إِلَى آخَرَ.



الشكل 2: موقع الدلالة التصورية في الذهن الوظيفي

غَيْرَ أَنَّ الْقَوَاعِدَ الْوِجَاهِيَّةَ الْمُرْتَبِطَةَ بِالتَّعْبِيرِ اللُّغَوِيِّ - وَالَّتِي يُسَمَّى الْبَحْثُ فِيهَا عَادَةً "دَلَالَةً لُغَوِيَّةً" - لَا تَكْفِي وَحْدَهَا لِجَعْلِ الدَّلَالَةِ التَّصَوُّرِيَّةَ مَشْرُوعًا فِي دِرَاسَةِ الذَّهْنِ الْوِظَيفِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ نَحْتَاجُ إِلَى وَجَاهَاتٍ أُخْرَى تَوْصِلُ الْعَمَلِيَّاتِ الْمَعْرِفِيَّةَ وَالْأَنْسَاقَ الْإِدْرَاكِيَّةَ، وَالْحَرَكَاتِيَّةَ إِلَى الْأَفْكَارِ/ التَّصَوُّرَاتِ، وَذَلِكَ مَا يُمَثِّلُهُ الْجُزْءُ الْوَاقِعُ عَلَى يَسَارِ الصَّوَاتَةِ وَالتَّرْكَيبِ فِي الشَّكْلِ السَّابِقِ.

هكذا؛ يُمَكِّنُ الْحَدِيثُ عَنِ الْوِجَاهَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْإِدْرَاكِيَّةِ إِلَى جَانِبِ الْوِجَاهَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، حَيْثُ تُغَطِّي الْوِجَاهَاتُ الْمَعْرِفِيَّةُ اسْتِعْمَالَ الْأَفْكَارِ/ التَّصَوُّرَاتِ لِإِنْتِاجِ تَصَوُّرَاتٍ إِضَافِيَّةٍ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى عَادَةً "الاستنتاج" [الاستدلال] أو "التفكير"، وَبِمَا أَنَّ الدَّلَالَةَ

¹ جاكندوف، راي، الدلالة مشروعاً ذهنياً، ترجمة: محمد غاليم، ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1، 2007، ص15.

² جاكندوف، راي، الدلالة مشروعاً ذهنياً، ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها، ص15.

³ المرجع نفسه، ص16. حيثُ يَرَسُمُ الحَظُّ المُنقَطِعُ الحُدُودَ بَيْنَ الذَّهْنِ الْوِظَيفِيِّ وَالْعَالَمِ.

التَّصَوُّرِيَّةُ مَعْنِيَّةٌ بِدِرَاسَةِ "أُنَاسٍ وَاقِعِيَّينَ" وَلَيْسَ مِثَالِيَّينَ فَحَسْبَ، فَيَتَضَمَّنُ هَذَا الْوَجَاهُ - بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّفَكُّرِ الْمُنْطَقِيِّ - رَسْمَ الْخُطِّ وَتَكْوِينَ الْمَقَاصِدِ لِغَايَةِ الْفِعْلِ. وَهُوَ مَا يُسَمَّى "تَفَكُّرًا عَمَلِيًّا"، أَوْ "تَفَكُّرًا اجْتِمَاعِيًّا". كَمَا تُعْنَى الْوِجَاهَاتُ الْمَعْرِفِيَّةُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِإِذْوَاجِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تَنْقُلُهَا اللَّغَةُ فِي الْمَعْرِفَةِ الْوِظِيْفِيَّةِ كِإِحْسَاسِنَا بِالسِّيَاقِ التَّوَاصُلِيِّ، وَإِحْسَاسِنَا بِمَقَاصِدِ الْمُخَاطَبِ، أَوْ الْمُعْتَقَدَاتِ الْوِظِيْفِيَّةِ السَّابِقَةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَعَمَلُ هَذَا الْوَجَاهِ ذُو صِلَةٍ وَثِيْقَةٍ بِمَا يُدْرَسُ فِي أَبْوَابِ الدَّرِيْعِيَّاتِ (pragmatics)¹.

أَمَّا الْوِجَاهَاتُ الْإِذْرَاقِيَّةُ، فَهِيَ مَا تَسْمَحُ لَنَا بِتَكْوِينِ الْفِكْرِ الْمَوْسَسِ عَلَى مِلَاحَظَةِ الْعَالَمِ (بِمَا فِي ذَلِكَ إِحْسَاسِنَا الدَّخِلِيَّ بِأَجْسَادِنَا)، وَبِالْمُقَابِلِ فَإِنَّا بِاسْتِعْمَالِ هَذَا الْفِكْرِ دَخَلًا لِإِنْتِاجِ اللَّغَةِ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَمَّا نَرَاهُ وَنَسْمَعُهُ وَنَدُوْقُهُ. وَتَشْتَغِلُ هَذِهِ الْوِجَاهَاتُ فِي الْإِتْجَاهِ الْآخَرَ كَذَلِكَ: فَيُمْكِنُ لِإِذْرَاقِ اللَّغَةِ أَنْ يُوجِّهَ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى جُزْءٍ خَاصٍّ مِنَ الْحَقْلِ الْإِذْرَاقِيِّ: هَلْ تَرَى ذَلِكَ الطَّائِرَ هُنَاكَ فَوْقَ؟. وَأَخِيرًا، يَسْمَحُ لَنَا الْوَجَاهُ الْمَتَّصِلُ بِنَسْقِ الْعَمَلِ بِتَنْفِيذِ مَقْصِدٍ مُعَيَّنٍ بِمَا فِي ذَلِكَ تَنْفِيذِ مَقْصِدٍ تَكُونُ لِلْجَوَابِ عَنْ أَمْرٍ أَوْ طَلَبٍ مَحْمُولَيْنِ لُغَوِيًّا².

نَخْلُصُ مِمَّا تَقَدَّمَ إِلَى أَنَّ الْقَوَاعِدَ الْوِجَاهِيَّةَ تُفَسِّرُ كَيْفَ أَنَّ التَّصَوُّرَاتِ/ الْأَفْكَارَ الَّتِي تَنْقُلُهَا اللَّغَةُ هِيَ تَصَوُّرَاتُ/ أَفْكَارُ/ إِرْسَالِيَّاتٌ وَظِيْفِيَّةٌ، تُخَدِّمُ أَغْرَاضًا أُخْرَى، إِنَّمَا، فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ، تُسْتَعْمَلُ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ التَّالِيَةِ³:

- الْعَمَلِيَّاتُ الَّتِي تَدْمُجُ الْإِرْسَالِيَّةَ الْمُنْقَوْلَةَ لُغَوِيًّا فِي الْمَعْرِفَةِ الْوِظِيْفِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ، بِمَا فِي ذَلِكَ فَهْمُ السِّيَاقِ.
 - الْعَمَلِيَّاتُ الَّتِي تَقُومُ بِالْإِسْتِنْتِاجَاتِ، وَتُصَدِّرُ الْأَحْكَامَ، وَالْقَائِمَةُ عَلَى التَّفَاعُلِ بَيْنَ الْإِرْسَالِيَّةِ الْمُنْقَوْلَةَ لُغَوِيًّا، وَالْمَعْرِفَةِ الْوِظِيْفِيَّةِ الْآخَرَى.
 - الْعَمَلِيَّاتُ الَّتِي تَسْتَعْمَلُ الْإِرْسَالِيَّاتِ الْمُنْقَوْلَةَ لُغَوِيًّا لِتُوجِّهَ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى الْعَالَمِ كَمَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ، وَإِصْدَارِ أَحْكَامٍ بِصَدَدِهِ.
 - الْعَمَلِيَّاتُ الَّتِي تَرْتَبُطُ الْإِرْسَالِيَّاتِ الْمُنْقَوْلَةَ لُغَوِيًّا بِالْأَعْمَالِ الْفِيْزِيَّائِيَّةِ الَّتِي تُخْضَعُ لَهَا الْعَالَمُ وَنُمَارِسُهَا فِيهِ.
- خاتمة:

حاولنا، في هذه الدراسة، الوقوف على طائفة من المبادئ والقيود التي تهم النظرية الدلالية في السياق المعرفي، وذلك من خلال التركيز على نظرية الدلالة التصورية لعالم اللغة الأميركي راي جاكندوف، فبيننا أن دراسة المعنى في السياق المعرفي، أو طرح الدلالة مشروعًا ذهنيًا، بألفاظ جاكندوف، إنما هو مشروع طموح يُعيد الاعتبار للنظرية اللسانية في العلوم المعرفية. وفي هذا السياق، بينت الدراسة كيف أن القيد المعرفي الذي استحدثته الدلالة التصورية، وافترض مستوى البنية التصورية، والوجهات تقدم دليلًا إضافيًا على أن دراسة المعنى لا تكون عبْرَ عدسة اللغة وحدها، بل إننا مُحتاجون إلى أن نُوصِّله، أي المعنى، بالاستنتاج، والمعرفة الخلفية، والتخطيط، والمعرفة الاجتماعية، والمعتقدات، والثقافة، والاعتبارات الدرية، والإدراك، والعمل.

المراجع:

المراجع المترجمة:

- تيرغيان، غي، وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، ترجمة: جمال شحيد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2013.

¹ جاكندوف، راي، الدلالة مشروعًا ذهنيًا، ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها، ص17.

² المرجع نفسه، ص17.

³ المرجع نفسه، ص15-16.

- جاكندوف، راي، الدلالة مشروعاً ذهنياً، ترجمة: محمد غاليم، ضمن كتاب: دلالة اللغة وتصميمها، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1، 2007.
- فتغنشتاين، لودفيك، تحقيقات فلسفية، ترجمة: عبد الرزاق بتور، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2007.
- هوانغ، يان، معجم أكسفورد للتداولية، ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2020.
- المراجع العربية:
 - جحفة، عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، الدار البيضاء، دار توبقال، ط2، 2014.
 - غاليم، محمد، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، الدار البيضاء، مجلة فكر ونقد، العدد: 96، 2008.
 - غاليم، محمد، بعض مقتضيات الكفاية المعرفية في لسانيات الخطاب وتأويله، ضمن كتاب: في الحاجة إلى التأويل، تطوان، منشورات مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، ط1، 2018.
 - غاليم محمد (إعداد وتنسيق)، دراسات في الدلالة العربية المقارنة، الرباط، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، ط1، 2015.
 - غاليم، محمد، النظرية الذريعية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق، مجلة أبحاث لسانية، الرباط، العدد: 32، 2016.
- المراجع الأجنبية:
 - Jackendoff. Ray, **Language, Consciousness, Culture: Essays on Mental Structure**, MIT Press, 2007.
 - Jackendoff. Ray, **Patterns in the mind: Language and Human Nature**, Basic Books, 1994.
 - Jackendoff. Ray, **Semantics and Cognition**, Cambridge, MIT Press, (8th ed), 1999.
 - Reisberg. Daniel, **Cognition: Exploring the Science of the Mind**, W. W. Norton and Company, (7th ed), 2018.

**قراءة في نظرية الحس الصوتي في تعليم النحو العربي تأسيس تعليمي من خلال كتاب سيبويه (محمد كاظم البكاء)
Reading in the theory of phonetic sense in the teaching of Arabic grammar The
establishment of an educational study through sibawayh'sbook (Mohammad Kazem
albkkà)**

الدكتور سليم عواريب . أستاذ محاضر بالمركز الجامعي ميله . الجزائر
DR.salim aouarib . Lecturer at the University Center Mila Algeria

Abstract:

This research observes the essence of phonological sense theory in teaching Arabic grammar, and its scientific foundations. This theory is established by Mohammed Kazem Albakka who pinpointed, through the study of the content of Sibawayh 'book, that his rules and subject are based on the Arabic native speaker's phonological sense. This language is produced as a result to a certain phonological sense where structures are compared and lighter ones on the tongue are chosen and heavier ones are left. Therefore, this has become a language compliance that should be respected and used in all Arabic structures and speech regardless of any other rules. Thus, some sensual considerations like the length of the speech, fast pronunciation and silent letters are regarded; besides, these are the elements that Sibawayh employed in his theory and based the Arabic grammar on. He; hence, set provisions, grammatical regulations, and explanations in accordance with the concept of phonological sense that characterized the Arab's speech. Mohammed Kazem Albakka sought to make this theory a cornerstone in teaching Arabic grammar.

keywords: sense, sound, grammar, teaching, language, speech.

ملخص:

يرصد هذا البحثُ جوهرَ نظرية الحسِّ الصوتي في تعليم النحو العربي وأهمَّ مرتكزاتها العلمية لصاحبها محمد كاظم البكاء، الذي تنبّه من خلال محتوى الكتاب لسببويه أنّ مادته العلمية وقواعده اللغوية بنيت على الحس الصوتي الذي امتلكه العربي المتكلم للغته السليقية، فكان ينتج لغته انطلاقاً من حسِّه الصوتي، ويفاضل بين تراكيبه بواسطة، يبتغي في كلّ ذلك حفة اللسان والنأي عن كلّ ما هو ثقيل، وهو معيار لغوي بنى عليه العربي كلّ كلامه وتراكيبه امتثالاً لطبعه، دون ضوابط أو قواعد تضبط كلامه، وإتّما كان يضع معايير حسية ووزاناً صوتياً كالخفة والثقل وطول الكلام وسرعة النطق وحذف الأصوات، وهو ما أشار إليه سيبويه في نظريته اللغوية والنحوية، وأقام صرح النحو العربي وقواعد اللغة العربية عليه، فكان يعلّل الأحكام، ويستنبط القواعد، ويفاضل بين التراكيب، ويفسر الظواهر بالارتكاز على ذلك الوزن والمعايير التي ميزت طبع العربي في اختيار كلامه، لذا أثر محمد كاظم البكاء أن يجعل هذه النظرية أساساً تعليمياً لتلقين قواعد النحو العربي.

الكلمات المفتاحية: الحس، الصوت، النحو، التعليم، اللغة، الكلام.

مقدمة:

ما يزال الصوت البشري يشكل ظاهرة إنسانية عجيبة شغلت بال العديد من العلماء قديماً وحديثاً غربيين ومن العرب، لما لها من أثر في العلوم، وبخاصة العلوم العربية التي تأسس معظمها انطلاقاً من الصوت، فلقد اخترع عالم العربية الخليل بن أحمد علم العروض وموسيقى الشعر، وهو علم تقوم أصوله على الأصوات والحس الموسيقي، فضلاً عن تأليفه لمعجم العين، الذي اعتمد في ترتيبه على نظام خاص من الأصوات العربية، ولقد أحصى سيبويه جميع الحروف التي كان ينطق بها العرب، وقسمها إلى أصول وفروع، ومستحسنة وغير مستحسنة، معتمداً في كلّ ذلك على حسِّه الصوتي، واستقرائه الدقيق لكلام العرب¹، وكان للصوت قبل انشغال العلماء به قيمة عند العرب، وظفوه في حياتهم واعتمدوا عليه في تسمية مسمياتهم المختلفة محاكاة للطبيعة، فأطلقوا خير المياه وحفيف الشجر ودبيب النمل، وغيرها من التسميات التي دأب العرب على إطلاقها، انطلاقاً من كلامهم الفصيح الطبيعي الذي أدوه بالسليقة والطبع دون ضوابط أو قواعد تضبط كلامهم وتحده، إذ لم تكن هناك قواعد نحوية يعتدون بها، ولا معايير أو قوالب ينسجون على منوالها، فما الضابط لكلامهم إذن؟ وما المعيار الذي اعتمده العربي - قبل النحو والنحاة - في كلامه؟.

لا شك أنّها السليقة والسجّية، فالعربي السليقي هو «الذي اكتسب ملكته اللغوية في العربية الفصيحة (لغة القرآن) بالسليقة، أي في أثناء نشأته بدون تلقين وفي بيئة من السليقيين الناطقين بتلك اللغة»²، وذلك اعتماداً على حس مرهف امتلكه العربي وجعله معياراً لكلامه، من ذلك أنّه كان يصرف الاسم الثلاثي ساكن الوسط، وإن كان علماً مؤنثاً، نحو: (هند) لا لشيء سوى لخفته، «فصرفهم إيّاه مع أنّ فيه علتين ثقيلتين وهما التعريف والتأنيث دلالة على خفته، ألا ترى أنّ الخفة فيه عادلّت أحد السببين»³.

1 - ينظر الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م ج2، ص404

2 - السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للراية الجزائر، (دط)، 2012 م.

ص40

3 - المنصف، ابن جني، تح إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م

ج1، ص32.

فَصَرْفُ الْعَرَبِيِّ لِلْأَسْمِ الْمَذْكُورِ كَانَ انْتِطَاقاً مِنْ خَفْتِهِ عَلَى اللِّسَانِ بِسَبَبِ سَكُونِ ثَانِيهِ، وَإِنَّمَا اكْتَشَفَ الْعَرَبِيُّ ذَلِكَ اعْتِمَاداً عَلَى حِسِّهِ، لَذَا فَقَدْ اهْتَدَى مُحَمَّدٌ كَاطِمُ الْبِكَاةِ إِلَى تَعْرِيفِ السَّلِيْقَةِ بِقَوْلِهِ: «وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى السَّلِيْقَةِ وَلَمْ أَجِدْ لَهَا تَعْرِيفاً وَاضِحاً وَالْحَقِيْقَةُ هِيَ ذَلِكَ الْحِسُّ الصَّوْتِيُّ اللَّغْوِيُّ الَّذِي وَهَبَهُ اللهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْعَرَبِ مَبْنِياً عَلَى تَطَلُّبِ الْخَفَةِ فِي اللِّسَانِ»¹.

إِذْ نَحْنُ أَمَامَ مَفْهُومٍ جَدِيدٍ لِلْسَّلِيْقَةِ وَالسَّجِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَعْيَارَ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا وَضَابِطِهَا فِي اخْتِيَارِ تَرَكَيبِهَا اللَّغْوِيَّةِ، هَذَا الْمَفْهُومِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى حِسِّ صَوْتِي امْتَلَكَةِ الْعَرَبِيِّ، حَيْثُ يَرَى الْبِكَاةُ أَنَّ الْعَرَبِ وَضَعَتْ لُغَتَهَا بِنَاءً عَلَى الْحِسِّ الصَّوْتِيِّ، وَفَاضَلَتْ بَيْنَ تَرَكَيبِهَا بِوَأَسْطَتِهِ، فَمَا الْحِسُّ الصَّوْتِيُّ؟.

نظرية الحس الصوتي: مفهومها لغة واصطلاحاً:

قَبْلَ التَّعَرُّفِ عَلَى جَوْهَرِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ مَعْنَى الْحِسِّ وَالْإِحْسَاسِ فِي اللُّغَةِ، جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَنَّ الْحِسَّ هُوَ «الصَّوْتِ الْخَفِيُّ... وَحِسُّ بِالْشَيْءِ يَحْسُ حَسّاً وَحَسِيْساً وَأَحْسَنَ بِهِ وَأَحْسَهُ: شَعْرَ بِهِ»²، فَالْحِسُّ بِهَذَا هُوَ شَعُورٌ خَاصٌ شَعْرَ بِهِ الْعَرَبِيُّ وَأَحْسَهُ.

وَأَمَّا الْحِسُّ فِي اصْطِلَاحِ الْعُلَمَاءِ فَيَدُلُّ عَلَى حِسِّ بَاطِنِي وَهُوَ الْوُجُودَانِيَّاتِ، وَالْحَوَاسِ الْبَاطِنَةُ هِيَ: الْحِسُّ الْمَشْتَرِكُ وَالْخِيَالُ وَالْوَاهَةُ وَالْحَافِظَةُ وَالْمَتَخِيَلَةُ، أَمَا آلَاتُ الْإِحْسَاسِ وَإِدْرَاكِ الْجَزْئِيَّاتِ فِيهِ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةُ (الْحَوَاسِ) وَالْمَدْرَكُ هُوَ النَّفْسُ³، فَكَانَ الْعَرَبِيُّ امْتَلَكَ حَسّاً بَاطِنياً صَوْتِيّاً اسْتَشْعَرَ بِهِ جَزْئِيَّاتِ كَلَامِهِ فَكَانَ يَضْبِطُهُ وَفَقَا لَشَعُورِهِ ذَلِكَ.

لَذَا فَنظَرِيَّةُ الْحِسِّ الصَّوْتِيِّ هِيَ مَعْيَارٌ يَقُومُ «عَلَى الْخَفَةِ وَالثَّقَلِ وَظَوَاهِرِ صَوْتِيَّةٍ أُخْرَى»⁴، بِنَتْ عَلَيْهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ صَرَفِهَا وَنَحْوِهَا وَاسْتِثْقَاتِهَا وَغَيْرِهَا، وَهِيَ «نَحْوُ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالتَّفَكِيرِ... [و]نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الذِّكَاةِ وَيَعْرِفُ بِالذِّكَاةِ الصَّوْتِيِّ»⁵، أَوْ هِيَ مَلَكَةُ تَتَأْتَى بِحَفْظِ النَّصُوصِ الْعَالِيَةِ كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ وَهَلُمَّ جَرّاً⁶.

إِذْ فِي مَعْيَارِ النَّظَرِيَّةِ يَنْحَصِرُ فِي الصَّوْتِ بِلَا شَكِّ، وَهُوَ مَجْمَلٌ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ قَدِيمَا ابْتِدَاءً مِنْ سَيَبُويهِ، فَقَدْ امْتَلَأَ كِتَابُهُ بِالْعِبَارَاتِ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِالْجَانِبِ الصَّوْتِيِّ كَالثَّقَلِ وَالْخَفَةِ وَطُولِ الْكَلَامِ وَسُرْعَةِ النَّطْقِ وَحَذْفِ الْأَصْوَاتِ وَالْحَرَكَاتِ⁷، مِمَّا هِيَ أَسْوَاقٌ لِلْحِسِّ الصَّوْتِيِّ، تَحَدَّثَ عَنْهَا سَيَبُويهِ وَغَيْرُهُ مِنَ النَّحَاةِ وَاللَّغْوِيِّينَ، فَقَدْ أَرْجَعَ مُحَمَّدٌ كَاطِمُ الْبِكَاةِ نَظَرِيَّةَ الْحِسِّ الصَّوْتِيِّ إِلَى أَصْلَيْنِ هَامِيْنِ هُمَا الْخَفَةُ وَالثَّقَلُ، وَجَعَلَهُمَا أَصْلَيْنِ تَبَنَّى عَلَيْهِمَا نَظَرِيَّةَ الْحِسِّ الصَّوْتِيِّ، وَمَثَلٌ لَذَلِكَ بِالْفِعْلِ وَالْأَسْمِ، إِذْ أَقَرَّ - وَقَبْلَهُ النَّحَاةُ - بِأَنَّ الْفِعْلَ أَثْقَلُ مِنَ الْأَسْمِ، لَذَا فَقَدْ يُحْذَفُ مِنَ الْفِعْلِ أحياناً إِذَا تَوَالَتْ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، كَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ مَعَ نُونِ التَّوَكِيدِ فِي قَوْلِنَا: (لِيَكْتَبُونَ)، وَهُوَ لَا رَيْبَ ثَقِيلٌ، لَذَا يَحْذَفُ مِنْهُ حَتَّى يَصِيرَ (لِيَكْتَبَنَّ) بِحَذْفِ نُونِ الْمُضَارَعَةِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْأَسْمُ الَّذِي يَأْتِي عَلَى صِيغَةِ الْفِعْلِ ثَقِيلاً دَوْماً وَلِذَلِكَ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الصَّرْفِ كَيَزِيدُ وَتَغْلِبُ وَأَحْمَدُ، يَقُولُ سَيَبُويهِ فِي ذَلِكَ: «وَاعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ الْكَلَامِ

¹ -نظرية الحس الصوتي لتعليم النحو العربي مدخل لدراسة كتاب سيبويه، محمد كاظم البكاء، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط1، 1444هـ/2018م، ص9

² -لسان العرب ابن منظور، دار صادر بيروت لبنان مادة(حسس) ج6، ص49

³ -الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء العكبري، وضعه عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط2،

1419هـ/1998م، ص54

⁴ -نظرية الحس الصوتي، ص11

⁵ -نفسه، ص12

⁶ -نفسه، ص11

⁷ -ينظر نظرية الحس الصوتي، ص10، 11

أثقل من بعض فالأفعال أثقل من الأسماء لأنَّ الأسماء هي الأولى وهي أشد تمكناً فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون¹، فجعل سيبويه ثقل الأفعال سبباً في جزمها وسكونها وعدم تنوينها، إذ التنوين ثقيلٌ لذا لحق الاسم وهو أخف من الفعل، وهو ههنا يضع الثقل معياراً يسوّغ به جزم الفعل وسكونه؛ فيجعل بذلك الحس الصوتي المبني على الثقل علّة لبعض أحكام الفعل.

ولقد تنبه ابن جني إلى هذا الأمر كذلك (الثقل والخفة) في مواضع كثيرة، يقول في ذلك: «فرع الفاعل لقلته ونصب المفعول لكثرتة وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون»².

ويدرج البكاء نمطاً آخر من أنماط الحس الصوتي القائم على الخفة، نحو نصب الفضلات بعد الجمل التامة، إذ يحدث نوع من الثقل بعد المركبات اللغوية التامة كقولنا: (جاء زيد مسرعاً) حيث نصب (مسرعاً) بعد المركب التام (جاء زيد)، وهو دأب العربي في نصب الفضلات التي تلي «الإسناد الكامل»³، كالحال والمفاعيل والتمييز والمستثنى وغيرها، وهو ما ذكره سيبويه إبان تعليقه للمنصوبات، وقد أدرج هذا في حديثه عن النصب على تمام الكلام، كأن يقع التمام في مثل (عشرون درهماً)، وهو التمام بالنون⁴.

ومما يدخل في هذا السياق تنويع علامات الإعراب أحياناً لغير عامل يقتضيه، بل قد يرتد ذلك لطول الكلام والرتابة والتكرار كما يرى محمد البكاء، من ذلك قوله تعالى: (لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء/162]، حيث نصبت المقيمين الصلاة وحققها الرفع عطفاً على ما قبلها، وقد ذهب العلماء إلى أنّها منصوبة على المدح بإضمار فعل، بغية بيان فضل الصلاة والتقدير أعني أو أخص؛ إذ يفيد تغير كلمة ما في ثنايا الكلام عن إعرابها، «ينبه الذهن إلى وجوب التأمل فيها ويهدي التفكير لاستخراج مزيته وهو من أركان البلاغة»⁵، وهو ما عليه جل النحاة فقد جعلها سيبويه نصباً على التعظيم والمدح مع جواز الرفع والرفع أجود⁶، واختار أبو سعيد السيرافي وجهين في نصب (المقيمين)، أحدهما النصب على المدح والثناء وهو الأكثر، وثانيهما الجر بالعطف على (ما)، فيكون المعنى «ويصدقون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة أي بمداهمهم وبدينهم»⁷.

ويبدو لنا أنّ ظاهرة طول الكلام التي تحدّث عنها القدامى كانت معياراً بارزاً وذات قيمة في اختيار التراكيب اللغوية الجائزة من غيرها، فقد جوّز الخليل بن أحمد حذف صدر صلة الموصول مع قلته، وقد سوّغ ذلك بطول الصلة، إذ أجاز أن يقال: (ما أنا

¹ - الكتاب، ج1، ص20، 21

² - الخصائص ابن جني، تح، محمد علي النجار، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1952م ج1، ص101

³ - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص12

⁴ - ينظر الكتاب، ج2، ص157

⁵ - إعراب القرآن وبيانه محي الدين الدرويش، دار اليمامة، دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط7، 1420هـ/1999م، ج2، ص151.

⁶ - ينظر الكتاب، ج2، ص65.

⁷ - شرح كتاب سيبويه، السيرافي أبو سعيد، تح أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1429هـ/2008م، ج2، ص395.

بالذي لك شيئاً) بحذف (هو)، والأصل أن يقال: (ما أنا بالذي هو قائل لك شيئاً)، ولما طال الصلة جاز الحذف، غير أنه لا يجوز في مثل قولنا:

(ما أنا بالذي هو منطلق) لقصرها¹، وهذا لا شك مما يقتضيه الكلام العربي إذ أتاحت العربية «لأهلها قدراً كبيراً من حرية المخالفة التي ينطوي عليها نظامها اللغوي، وأفسحت المجال أمامهم رحباً للتعبير عن أغراضهم وفقاً لمقتضيات النظام ومطالب فنون القول وجمال العبارة وهو ما جسده القرآن الكريم»².

وعليه فإن قيمة هذه النظرية تكمن في كيفية تعلم بعض قواعد النحو العربي، انطلاقاً من الحسن الصوتي أو السليقة العربية التي زود بها العربي، فيفاضل بين مختلف التراكيب، فيقبل تركيباً دون آخر ويجيز وجهها دون وجه بالاعتماد على العلل الصوتية، فقد فسّر البكاء لجوءهم إلى نصب الاسم بعد (إنّ) بتأثير ثقل إنّ الصوتي، فقرار بين التركيبين (إنّ الله كريم) بنصب الاسم، وبين تركيب: (إنّ الله كريم) بالرفع، فكأنّ العربي نصب الاسم بعد (إنّ) للابتعاد عن الثقل الذي سينجم لو رفع الاسم بعد (إنّ)، وشتان ما بين التركيبين من حيث النطق، لذا فحينما يفصل بين (إنّ) واسمها — (ما) الكافة يرفع اسمها فنقول: (إنّما الله كريم)، حيث أبعدت (ما) تأثير (إنّ) الصوتي الثقيل³.

وإذا ما رجعنا إلى ما قلناه سلفاً من حيث إنّ الفعل أثقل من الاسم والحرف، أدركنا سبب الحذف الذي يعتري بعض الأفعال ذات المقاطع الطويلة، كالأفعال الخمسة وهي: (يكتبون يكتبان تكتبين...) لما فيها من الزيادة (الواو والنون)، لذا يُلجأ مطلقاً إلى حذف النون من آخره في حالتي النصب والجزم «بسبب تقدم الحرف الجازم أو الناصب الذي يورث الفعل طولاً يثقل به اللسان»⁴ حينما تقول (لم يكتبوا ولم يكتبوا) وهكذا، ولا يطرد هذا إلا مع الحروف المختصة أي المختصة بالفعل مثل: (لم) و(لن) ههنا، أما ما لا يختص فلا، إذ يجوز لنا أن نقول: (لا يكتبون) لأنّ (لا) النافية غير مختصة وغير لازمة للفعل، فلما اختص الحرف بالفعل مثل: (لم ولن ولا الناهية) ولزمه، أثر فيه، وأضحى الفعل ثقیلاً معه ملازمته إياه.

وكذلك الأمر بالنسبة لبعض القضايا الصرفية كمسألة النسبة، وما اتصل بالبنى الصرفية المختلفة ففي النسبة إلى (فَعِيلَة) كقولنا حنيفة، يحذف منها الياء والتاء طلباً للتخفيف، ومثلها جلييلة فنقول: (جلي)، وهكذا معظم مباني الصرف التي بنيت على ضوابط صوتية دقيقة، ترجع كلّها إلى حس العربي الصوتي وذوقه وطبعه الخلاق.

وكثيراً ما كان سيبويه يشير إلى مسألة ثقل الحروف في البنية الصرفية، وخاصة ما كان من نفس الجنس، كتضعيف بعض الحروف، فعلى الرغم من أنّ حذف الياء من (فعيلة) هو القياس في النسبة، غير أنّ سيبويه نقل عن يونس أنه لا يحذف الياء من شديدة لكي لا تلتقي الدالان لو قالوا (شددّي) في النسبة إلى (شديدة)، يقول سيبويه: «وسألته عن شديدة فقال: لا أحذف لاستثقالهم التضعيف وكأنهم تنكبوا التقاء الدالين وسائر هذا من الحروف»⁵، فلم يحذفوا الياء مخافة التثقل ولو كان هو القياس، ولتكون الياء فاصلة بين الدالين؛ لأنّ توالي الأمثال غالباً هو علة الاستثقال، لذا اضطرّ النحاة إلى حذف بعض الحروف

¹ - ينظر مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، جعفر نايف عبابنة، دار الفكر، ط1، 1404هـ-1984م، ص6.

² - نظرية الحسن الصوتي، ص14.

³ - ينظر نظرية الحسن الصوتي، ص11.

⁴ - نظرية الحسن الصوتي، ص11.

⁵ - الكتاب، ج3، ص339.

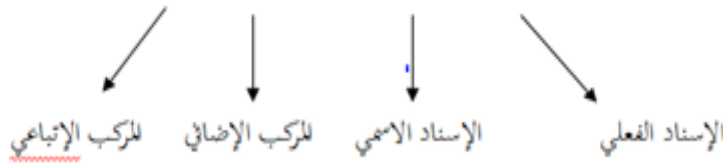
وإبدالها من بعض؛ كالنسبة إلى أمية، فقالوا فيها أمويّ، إذ حذفوا إحدى الياءين وأبدلوا الواو من الياء الأخرى المنقوصة، ثم أضافوا ياء النسبة فقالوا (أمويّ) خوفاً من الثقل الذي يسببه توالي أربع ياءات¹.

وهكذا يجري باب النسبة عند سيبويه الذي بناه على فكرة الثقل والخفة، فكان يعلّل الحذف والإبدالات جميعاً في هذا الباب بالثقل الذي يلزم أحياناً الحذف، يقول في ذلك: «وإذا ازداد الاسم ثقلاً كان الحذف ألزم»².

وممّا يجدر بنا قوله في هذا السياق أنّ هاته القضايا التي وإن كانت تبدو وثيقة الصلة بالجانب الصوتي والأصوات وهي كذلك، غير أنّها ليست «بياناً لقضايا صوتية» محضة، بل ترتدّ بصفة أدق إلى السليقة والحس الصوتي، وإلى طبع المتكلم في النطق³.

وقبل أن نبين قواعد نظرية الحس الصوتي بالنسبة لبنية الكلمة، أو قواعد التركيب الصوتية، حقيقاً بنا أن نستعرض هيكل التراكيب اللغوية كما جاء في نظرية الحس الصوتي، وارتأينا أن نظهره في مخطط بياني يبيّن التراكيب اللغوية كما جاءت عند سيبويه في الكتاب، ثم نبين بعض الظواهر الصوتية في اللغة العربية التي سيتم استثمارها في نظرية الحس الصوتي.

التراكيب اللغوية عند سيبويه



المبتدأ والخبر (اسم+اسم)، أو الاسم ثم الفعل (اسم+فعل)، وبالتركيب الإضافي حرف الجر، أو المضاف والمضاف إليه، و بالتركيب الإتياعي النعت والمنعوت، والبدل والمبدل منه، والتوكيد والمؤكد، و المعطوف و المعطوف عليه، حيث يكون حكم الثاني تابعاً لحكم الأول في إعرابه، وهذه التراكيب الأربعة هي التراكيب التي اشتمل عليها كتاب سيبويه⁴.

الظواهر الصوتية في اللغة العربية:

¹ - ينظر نفسه، ج3، ص344

² - الكتاب، ج3، ص355

³ ينظر نظرية الحس الصوتي، ص14

⁴ - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص17

لقد ذكر البكاء بعض الظواهر الصوتية التي جعلها منطلقاً لنظرية الحس الصوتي هذه، وتتلخص هذه الظواهر في ما أشار إليه بعض الباحثين في الدرس اللغوي الحديث، كالظواهر التي تطرق إليها إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية، مثل ظاهرة المماثلة أو الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، «أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج»¹، ولقد أشار سيبويه قبله إلى المماثلة بمصطلح آخر وهو المضارعة، ويذكرها في بعض الأحيان بمصطلح ثانٍ وهو التقريب وكلها بمعنى واحد². فمن المماثلة قلب فتحة باء كتب عند إسناد الفعل إلى واو الجماعة كتبوا، وذلك للانسجام الصوتي.

2-المخالفة: كأن تشتمل كلمة على صوتين متماثلين مماثلة تامة، فيقلب أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت آخر، فيخالف بين الصوتين المتماثلين لتيسير النطق³، وغالباً ما يغير الصوت إلى صوت لين طويل أو إلى ما يشبه أصوات اللين، كاللام والنون كقولهم: الطخّ البسط: طحا كسعى: بسط.

فخالفوا فاستعاضوا عن الحاء بالألف فقالوا (طحا) بدل (الطخّ)، والمخالفة أشار إليها سيبويه أيضاً ولم يخصّها بالاهتمام، ووصفها بكراهية التضعيف، وجعلها عامة لا تختص بحروف اللين وما شابهها⁴، وهو ما صرح به إبراهيم أنيس، ولكن سيبويه وصفها بقوله: «باب ما شذ فأبدل مكان اللام لكراهية التضعيف»⁵، ففي قوله (التضعيف) إشارة إلى المماثلة بين حرفين، ثم ذكر سيبويه ما أبدل فيه مكان اللام الياء، وذكر مثل (تظنيت) مكان (تظننت)، فيظهر أنّ الحرف الذي جُنح إليه هو الياء وسوّغ سيبويه ذلك بالخفة، بينما سوّغه إبراهيم أنيس بتيسير المجهود العضلي في النطق⁶، والأمر نفسه فيما نحسب.

إذن لم نر أيّ تقصير في تعرض سيبويه للمخالفة أو لهذا الإبدال الشاذ كما وصفه سيبويه إذا استثنينا عدم وضعه للمصطلح فقط، بل يكاد يكون ما ذكره إبراهيم أنيس قد دُكر عند سيبويه.

وجعل البكاء من المخالفة قولهم: (قطّ)، و(قطع) وكثّب بإسكان الباء بدل فتحها.

الحذف: وقد بيّن البكاء أنّ حذف بعض الأصوات وارد في الغالب، وأشار إلى أنّ إبراهيم أنيس لم يذكره، ووجدنا أنّ سيبويه ذكره في مواضع كثيرة كحذف النون في الجزم (لم يدرسا)، وحذف الحرف لالتقاء الساكنين (لم يبع)، و(لم يقل)، و(لم يخافا ولم يقولوا)، ويُرجع سيبويه ذلك للاستثقال⁷.

بناءً على ما تقدم ذكره بالنسبة لهاته الظواهر الصوتية القديمة تنزل نظرية الحس الصوتي لتستعين بهاته الظواهر في النحو والصرف وفي الكلمات والجمل، فمن ذلك المماثلة والمطابقة في التذكير والتأنيث بين المبتدأ والخبر مثلاً، والمطابقة والمماثلة في إعراب النعت والمنعوت وهكذا⁸. ونجد المخالفة في الفعل الذي سبق ذكره، وهو الفعل (كَتَبْتُ)، وفي النصب بعد تمام الكلام،

¹- ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1992م، ص178

²- ينظر الكتاب، ج4، 477، 478 والأصوات اللغوية، ص203

³- ينظر الأصوات اللغوية، ص210

⁴- ينظر الكتاب، ج4، ص224، والأصوات اللغوية، ص211

⁵- الأصوات اللغوية، ص211

⁶- ينظر الكتاب، ج4، ص424، والأصوات اللغوية، ص211

⁷- ينظر الكتاب، ج4، ص157، 158

⁸- ينظر نظرية الحس الصوتي، ص18

أو النصب بعد الإسناد الكامل كنصب الفضلات، وقد ذكرناه في الصفحات السابقة ، أما الحذف فنحو الجزم وحذف التنوين من الممنوع من الصرف¹.

معيار الخفة والثقل في بنية الكلمات الصوتية:

لقد سبق البيان إلى أن العربي كان يتوخى الخفة في كلامه، ومن ثمة فقد بنى كل كلامه على هذا المعيار، بغية تيسير النطق وبذل مجهود أقل في أثناء الكلام، فالعربي لا يبتدئ بساكن، لذا يجلب همزة الوصل للتوصل بها إلى النطق بالساكن لتعذر الابتداء به، وذلك عندما نصوغ فعل الأمر من الفعل المضارع وحذف أوله كقولنا: (يدرس، ادرس) وهكذا مع جميع المبنيات التي لازمت حركة واحدة لكثرة تداولها، ولقد صاغت نظرية الحس الصوتي قاعدة في المبنيات، وهي أن كل مبني يبني على ما يلفظ به إلا فعل الأمر فإنه يبني على الحذف (حذف الحركة أو حذف حرف العلة أو حذف النون)²، فالفعل الماضي مثلاً يبني على ما يلفظ به؛ أي على الفتح كـ(دَرَسَ)، أو على الضم كـ(ادْرُسُوا)، أو على السكون كـ(دَرَسَنَ)، ويسري الأمر على جميع المبنيات من الأفعال والأسماء، حتى الأسماء المركبة منها كسيبويه وخاليويه والعدد المركب³.

وتمنع من الصرف جميع الكلمات الثقيلة على الألسنة، ويبدو أن علة المنع من الصرف هي كون هاته الكلمات ثقيلة فمنعت من التنوين ومن الجر بالكسر⁴، ويشير سيبويه إلى أن الممنوع من الصرف لا يصرف إما لثقله، أو لعدم تمكنه، أو لعجمته وبعده عن العربية واستنكاره بذلك، أو لبنائه الذي لا يكون للواحد كبناء مفاعل ومفاعيل، إذ يشير هذا البناء لغير الواحد (المفرد)⁵، أو كان يشبه الفعل في الثقل أو ما خالف بناءه الأصلي كعمر من عامر وزُفر من زافر، أو خالف بابه وغير ذلك⁶، أما إذا أضيفت أو عرفت صُرِفَتْ لأنها أمنت التنوين، إذ لا ينون المضاف والمعرف البتة⁷، كذلك إذا خفّ بناء الاسم فكان بثلاثة أحرف نُونَ وصُرِفَ لتمكُّنِهِ في الكلام⁸، كما صرفوا نوحاً ولوطاً وهوداً وغيرهم⁹.

وأما المؤنث فقد امتنع من الصرف لثقله من باب أن التأنيث أثقل من المذكر، وأنه أي التأنيث قليل في استعمال العرب وذكرهم إياه، فالعرب تكثر أسماء الرجال فيقولون فلان ابن فلان ولا يقولون فلان ابن فلانة « لصياتهم أسماء النساء وقلة استعمالهم لها»¹⁰، فلما قلّ استعمالها ثقلت، إذ ما قل ثقل وما كثر خفّ، ألا تراهم أجازوا في المنادى يا الله ومنعوا نداء ما فيه

1- ينظر نفسه، ص 19

2- ينظر نفسه، ص 20، 21

3- ينظر نفسه، ص 21

4 ينظر نظرية الحس الصوتي، ص 21، 22

5- ينظر الكتاب، ج 3، ص 227

6 ينظر الكتاب، ج 3، ص 193 وما بعدها

7- ينظر نفسه، ج 3، ص 193

8- ينظر نفسه، ج 3، ص 221

9- ينظر نفسه، ج 3، ص 235

10- المذكر والمؤنث، ابن الأنباري أبو بكر، تح محمد عبد الخالق عزيمة، (د ط)، 1401/هـ 1981 م ج 1، ص 114

الألف واللام نحو يا الرجل، وخف لفظ القاف عند المصريين في لفظ (القاهرة) لكثرة تداولها على ألسنتهم وجعلوها مخففة في نحو(القلب)، و(القلم)¹.

ويدخل في باب ما ثقل أيضا المركب سواء ما كان من الأعداد أو ما ركب تركيباً مزجياً كسيبويه، وقد سبق ذكره².

أما ما خالف ما ذكرنا فهو خفيف فيعرب ويصرف وينون ويخالف ما ثقل، ليتبين أنّ معيار الخفة والثقل هو الذي راعاه العربي في كلامه، وأنّ القاعدة النحوية أو الصرفية مبنية في مجملها على هذا المعيار لذا وانطلاقاً من نظرية الحس الصوتي يمكن أن نفسّر العديد من الأحكام اعتماداً على الحس الصوتي المبني هو أيضاً على بعض الظواهر الصوتية والخفة والثقل وكلفة النطق عند المتكلم.

قواعد التركيب الصوتية:

وهي عشر قواعد أطلق عليها المؤلف اسم الوصايا العشر، سوّغ من خلالها بعض الظواهر النحوية كالنصب والحذف والمماثلة والمطابقة والمخالفة من منظور نظرية الحس الصوتي وسوف نجلي هذه القواعد العشر بالشرح والتمثيل وباختصار كلما أمكن ذلك.

القاعدة الأولى: تنصب العرب دائماً كما سبق البيان بعد تمام الكلام، وبعد لفظ يحسن السكون عليه تقريباً، وعادة يكون تمام الكلام بالنون أو بالتنونين أو بالإضافة، فبالنون كقولهم: (عشرون درهماً) وكذلك جميع ألفاظ العقود، وبالتنونين كقولهم: (زيدٌ كاتبٌ الشعر)، فالشعر منصوب بعد تمام الكلام بالتنونين، وتمام الكلام هنا يقصد به عناصر الجملة الأصلية أو العُمد، حتى وإن كان المنصوب هنا واجب الذكر، لكنّه يبقى من الفضلات كالمفعول به هنا، والنحاة يجعلون المفعول به مع بقية المفعولات الأخرى فضلات، جاء في شرح الكافية للرضي الأستراباذي قوله «والحق أنّ يقال النصب علامة الفضلات- في الأصل- فيدخل فيها المفاعيل الخمسة والحال والتمييز، وأما سائر المنصوبات فعمد شهِت بالفضلات كاسم إنّ واسم لا التبرئة وخبر ما الحجازية وخبر كان وأخواتها»³.

وأما ما ينصب بعد الإضافة نحو: (إِكْرَامِي الْمُعَلِّمِ وَاجِبٌ)، و(ضُرْبِي الْعَبْدَ مُسِينًا)، فنصب المفعول به وهو فضلة بالمصدر بعد تمام الكلام بالإضافة.

القاعدة الثانية: ينصب الاسم أيضاً بعد تمام الكلام وذكر المسند والمسند إليه، كما هو الحال في التمييز والمستثنى والحال والتعجب كقولنا: ما أحسن السَّمَاءِ.

القاعدة الثالثة: ينصب الاسم بعد ما يشبه الفعل، وذلك كما بينا من قبل؛ لأنّ الفعل أثقل الكلم فلما شهِت به (إنّ) ثقلت مثله، نحو: (إنّ زيداً قائمٌ)، فلو فصل بينها وبين الاسم رفع الاسم؛ لأنّه زال الثقل المباشر كقوله تعالى: (إنّ كُلّ نفسٍ لما عليمًا حَافِظٌ) [الطارق/4]، وقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات/10].

القاعدة الرابعة: وتشير إلى طول الكلام وقد سبق ذكره

¹ - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص22

² - ينظر نفسه، ص24

³ - شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي، من عمل يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس بنغازي ليبيا، ط2، 1996م.

ج1، ص344

القاعدة الخامسة: وتشير إلى الحذف والحذف له مسوغاته الحسية، كأن يدخل للحد من طول بعض المقاطع، وقد أشرنا إلى بعض منها في ما مضى أيضاً.

القاعدة السادسة: وقد يحذف للتعجيل في أمر أو نهي قصد الإسراع في تنفيذ ذلك الأمر أو النهي عنه فحينما يتعجلُ العربي لتنفيذ أمر ما فإنه يلجأ إلى تقليل المقاطع الصوتية بالحذف، كجزم فعل الأمر في قولنا: أكتب = حذف حركة

أُدْعُ = حذف حرف

أُدْرَسَا = حذف النون وهكذا¹.

كما يجري الحذف في النهي أيضاً نحو: لاتنه عن خلق وتأتي مثله، ويلجأ العربي لتقليل المقاطع الصوتية إلى استعمال صيغ أقل طولاً من الفعل، وهي ما يعرف بأسماء الأفعال فيقول: صَهْ بمعنى اسكت ومَهْ بمعنى أكفف، وفي العامية العربية نقول (أس) بمعنى اسكت اختصاراً، وهي كما يبدو لفعل الأمر فقط، وقد جعلها للأمر والنهي².

القاعدة السابعة: وفيما الحذف لتوالي الأمثال، كقولنا: (لتدرُسُنَّ) وأصلها (لتدرسوننَّ)، فحذفت نون الفعل لتوالي الأمثال؛ أي توالي نون الفعل ونون التوكيد المشددة، وكذلك الحذف لالتقاء الساكنين وهو واضح³.

القاعدة الثامنة: وهي المماثلة الصوتية كأنواع الإدغام وكالإضافة إلى ياء المتكلم في قولنا: هذا بيتي حيث لا تظهر الضمة على التاء في الرفع هنا؛ لأنَّ التاء تحت تأثير الياء، مما جعلها تكسر لتجانس الياء⁴.

القاعدة التاسعة: وهي المطابقة وتعني مراعاة النسق الصوتي بين الألفاظ المتوالية، كالمطابقة في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية، ويكون ذلك في المبتدأ والخبر كقولنا: (زيدٌ نَاجِحٌ)، و(الزيدانِ نَاجِحَانِ)

و(هند ناجحة)، ويكون أيضاً في الفعل والفاعل أو نائب الفاعل، وفي النعت والمنعوت، أو ما يقع في إعراب التوابع عموماً⁵.

القاعدة العاشرة: وهي المخالفة الصوتية كتعاور الحركات في الأسماء والأفعال، ومخالفتها لبعضها حتى لا تتوالى المتشابهات، كلفظ (مدرسين) ، حيث غيرت النون لمخالفة السين المكسورة، والياء حاجز غير حصين، وفي المثني كلفظ (مدرسين) ، حيث غيرت النون لمخالفة السين المفتوحة، والياء كذلك حاجز غير حصين، وفي الأفعال كقولنا: (أكرمْتُ الطالباتِ) «غير فتح الفعل (أكرمَ) للسكون لمنع توالي الحركات في الفعل والتاء»⁶، ومنها كذلك إسناد الفعل للضمائر مع المخاطب والمثنى والجمع، حيث اختير ضم التاء الثانية في قولنا: (كُتِبْتُمَا وَكُتِبْتُمْ وَكُتِبْتُنَّ) ، إذ لو فتحت لتوالت الأمثال، ولو حركت بالكسر لكانت ثقيلة على أنْ سكون الباء حاجز غير حصين⁷.

¹ - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص30

² - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص31، والكتاب، ج1، ص241

³ - ينظر نفسه، ص31

⁴ - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص32

⁵ - ينظر نظرية الحس الصوتي، ص32

⁶ - نظرية الحس الصوتي، ص32

⁷ - ينظر نفسه، ص33

نظرية الحس الصوتي والعامل النحوي:

لقد جعل البكاء نظرية العامل اصطلاحاً عبّر به النحاة عن التأثير الصوتي الذي تحدثه الألفاظ في بعضها، وسعى النحاة تلك المؤثرات بالعوامل، وقد عبّر عنها المستشرق كارتر بمصطلح (القوة)، وهي قوة «أدركها العربي بحسه الصوتي اللغوي»¹، ولقد عبّر النحاة بالعمل لأغراض تعليمية فقط، مما يجعل نظرية العامل تفسيراً تعليمياً قام به النحاة، يركز في مجمله على الحس الصوتي العربي المرهف وعلى مؤثرات صوتية محضة².

نظرية الحس الصوتي والإعراب:

وأما الإعراب فقد ربطه البكاء ببعض القواعد الصوتية، وذلك بتحديد نوع المركب أولاً؛ كأن يكون مركباً اسمياً أم مركباً فعلياً، ثم تحديد نوع الكلمة ووظيفتها وبناءها وإعرابها وعلامته، وأما بالنسبة لإعراب الجمل الاستفهامية فقد اقترح أن يكون إعراب أسماء الاستفهام هو إعراب جواها وهكذا، كقولنا: «كيف أنت؟ فكيف خبر مقدم يقابل إعراب (أنا بخير) وتقول: كيف جئت؟ فيه (كيف) حال يقابل جواها (جئت راكباً)...»³، فجواها كذلك حال، وقولنا مثلاً: (مَنْ رَأَيْتَ الْيَوْمَ؟) فالجواب رأيت زيداً فيكون الجواب مفعولاً به و(مَنْ) كذلك اسم استفهام في محل نصب مفعول به وهكذا.

ولم يربط البكاء القواعد الصوتية بالإعراب فحسب، وإنما طبقها على بعض الأبواب النحوية كالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات والتوابع والأفعال وما يعمل عملها وغيرها، ونلفيه في كلّ مرة يُرجعُ الباب إلى إحدى القواعد العشر التي سبق بيانها، ويفسر ذلك الباب في ضوءها⁴.

وتجدر الإشارة إلى أمر مهم في عملية تعليم قواعد النحو، وهو أنّه لما ذكر المنصوبات وذكر من بينها الاستثناء نبّه إلى مسألة جعلها قاعدة مطردة في الاستثناء، وهي أنّ «شُرط الاستثناء أن يتناول ما له علاقة بالكثرة والقلة»، كقولنا: (جاء القومُ إلاّ واحداً)، أمّا في مثل قولنا: (ما جاء غيرُ زيدٍ)، فليس من الاستثناء، وكذلك قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسَبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء/22].

إذا لا يمكن إعراب (إلاّ) ههنا استثناء، بل تكون صفة على تقدير (غير الله)؛ لأنّها لا تدل على قليل أو كثير⁵.

نظرية الحس الصوتي وفروع اللغة:

لقد أشار البكاء هنا إلى علاقة الحس الصوتي ببعض فروع اللغة كالإملاء والقراءة والأداء الكلامي وتطرق إلى ظواهر لغوية صوتية، كظاهرة التنغيم في الجمل الاستفهامية والجمل التعجبية والجمل الخبرية، مما له علاقة بالمعنى الذي يريده المتكلم⁶.

¹ - نفسه، ص 35

² - ينظر نفسه، ص 35

³ - نظرية الحس الصوتي، ص 40

⁴ - ينظر نفسه، ص 41

⁵ - ينظر نفسه، ص 43

⁶ - ينظر نفسه، ص 51، 52

الخاتمة:

نخلص مما سبق إلى أنّ نظرية الحس الصوتي نظرية تعليمية، تبتغي تعليم قواعد النحو العربي وفق منطوق العربي وسجيته اللغوية، ولم تأت هذه النظرية لتزيل أو ترد بعض القواعد التي جاء بها النحاة بل على العكس من ذلك تماماً، إذ تكمن قيمتها العلمية في أنها مستنبطة من كتاب سيبويه نفسه، وما نص عليه هو نفسه من استقراء كلام العرب وتحليله بعد ذلك، ولله درُّ قطرب النحوي لما قال: «أنا منذ ثلاثون أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه»¹، وكان يعني أنّه تعلّم الحديث وفقهه لما علّم كتاب سيبويه إذ أخذ منه منهج النظر والتفتيش، لذلك تُعدّ نظرية الحس الصوتي منهجاً جديداً لفهم كتاب سيبويه وتعليم النحو العربي وفق ما أملاه، تقوم على معايير وأصول كثيرة كان يراعيها العربي في كلامه كالثقل والخفة والكثرة والقلّة والتشابه وهلم جراً.

ولقد استنتج الباحث محمد كاظم البكاء من خلال نظريته هاته تعريفاً جديداً للسليقة العربية، انطلاقاً من نظرية الحس الصوتي مفاده، أنها ذلك الحس الصوتي اللغوي، الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للعرب، مبنياً على تطلب الخفة في اللسان. كما عدّ الباحث ظاهرة طول الكلام التي تحدّث عنها القدامى معياراً بارزاً، وذات قيمة في اختيار التراكيب اللغوية الجائزة من غيرها، إذ جوزوا الحذف بعد طول العبارة كما فعل الخليل بن أحمد.

يبنّ البحث أيضاً أنّ نظرية الحس الصوتي توصلت إلى نتيجة مفادها أنّ نصب الكلمات في الجملة كنصب الفضلات مثلاً، يقوم على ظاهرة تمام الجملة ونهاية المركبات اللغوية الإسنادية، كقولنا: (جاء زيدٌ مسرعاً)، إذ نُصّب الحال هنا بعد تمام الجملة الفعلية وإفادتها وهكذا مع التمييز والمستثنى والمفاعيل.

مصادر ومراجع الدراسة:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1992م.
- 2- إعراب القرآن الكريم وبيانه محي الدين الدرويش، دار الإمامة، دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط7، 1420هـ/1999م.
- 3- الخصائص، ابن جني عثمان، تح، محمد علي النجار، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1952م.
- 4- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، (دط)، 2012م.
- 5- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي، من عمل يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس بنغازي ليبيا، ط2، 1996م.
- 6- شرح كتاب سيبويه، السيرافي أبو سعيد، تح، أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م.
- 7- الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م.

¹ -الكتاب، ج1، ص5، 6.

- 8-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء العكبري، وضعه عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط2، 1419هـ/1998م
- 9-لسان العرب ابن منظور، دار صادر بيروت لبنان.
- 10-المذكر والمؤنث، ابن الأنباري أبو بكر، تح محمد عبد الخالق عزيمة، (د ط)، 1401هـ/1981م.
- 11-مكانة الخليلين أحمد في النحو العربي، جعفر نايف عبابنة، دار الفكر ط1، 1404هـ-1984م.
- 12-المنصف ابن جني، تح إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م.
- 13-نظرية الحس الصوتي لتعليم النحو العربي مدخل لدراسة كتاب سيبويه، محمد كاظم البكاء، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط1، 1444هـ/2018م.



ماهية الكناية في البلاغة العربية

The essence of the metonymy in Arabic rhetoric

نبيل الهومي: باحث بسلك الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، مراكش.

Nabil El Haoumi. PhD researcher, Cadi Ayyad University, Marrakech

ملخص:

تروم هذه الدراسة بيان جوهر الكناية في البلاغة العربية، ومن مسوغات البحث في هذا الأسلوب البياني هو أن الخطابات المعاصرة على اختلاف أنواعها تعتمد عليه، وتؤسس مقاصدها الحجاجية على جعل المعنى يأخذ صيغة التلميح بدل المباشرة، والتلميح، كما هو قار في عرف البلاغيين، أبلغ من التصريح. وهذا مكن الإبداع المستكن في الكناية، لأنها تدفع المتلقي إلى إعمال فكره، ونسج جملة من الاستدلالات المترابطة، قصد الانتقال من المعنى (الظاهر) إلى معنى المعنى (الثاوي والمضمّر). وانطلاقاً من هذا المعطى عملنا على استجلاء ماهية الكناية في روافدها، لاسيما عند عبد القاهر الجرجاني الذي تعد مصنفاته المهاد الأساس في البلاغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الكناية- عبد القاهر الجرجاني- المعنى- معنى المعنى.

Abstract:

This study aims to clarify the essence of metonymy in Arabic rhetoric, and one of the justifications for research in this graphic method is that contemporary discourses of all kinds depend on it, and base their argumentative purposes on making the meaning take the form of allusion instead of directness, and the allusion, as it is in the custom of the rhetoricians, is more eloquent than declaration. This is where creativity lies in the metonymy, because it pushes the recipient to realize his thought, and weaves a set of interrelated inferences, in order to move from the meaning (apparent) to the meaning of the meaning (the subliminal and the implicit). On the basis of this given, we worked to clarify the meaning of the metonymy in its tributaries, especially according to Abd al-Qaher al-Jurjani, whose works are considered the basis for Arabic rhetoric.

Key words: the metonymy - Abdul Qaher Al-Jurjani - the meaning - the meaning of the meaning.

تقديم:

تضطلع الكناية بدور هام في إثبات المعنى والتأكيد عليه، كما ينقذ في لُبِّها الإبداع والجمال؛ ذلك أنها لا تجنح إلى المعنى مباشرة، بل إنها تقوم على التلميح، والتلميح أبلغ من التصريح؛ إذ تدفع المتلقي إلى إعمال فكره من أجل الوصول إلى المعنى، ومجيء مآتي القول على هذه الصورة، تجعل المعاني أكد وأبلغ في نفوس المتلقين، خلافاً لمجيئها على هيئة الحقيقة والتصريح، وما يعضد هذا الحديث هو قول الجرجاني: "وهو أن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه أطف، كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد، ومن المَرَكُوزِ في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أجلي، وبالمزية أولى، فكان موقعه في النفس أجل وأطف"¹. ولا بد للمتكلم أن يكون حصيف الرأي متفطن البديهة حتى يصل إلى المعنى المراد، فما "كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة"²، ولا يتأتى هذا الوصول إلا من خلال الانتقالات الذهنية، التي تؤول إلى كفاءة المتلقي بغية استجلاء المعاني المقصودة، لأن "هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى يستأذن عليه"³.

ومن خلال مقاربتنا لمبحث الكناية في البلاغة العربية، انقدحت لنا مجموعة من الإشكالات التي شكلت المهام الحاضنة للدراسة، نُوجز الحديث عنها في العناصر الآتية:

- * ما المعاني التي تحوُّرها الكناية في القواميس اللغوية؟
- * كيف نظر العلماء على اختلاف مشاربهم إلى الكناية؟
- * ما جوهر الكناية وكنهها عند عبد القاهر الجرجاني؟
- * ما مكانم الائتلاف وِصْوى⁴ الاختلاف في مقارنة مبحث الكناية بين الجرجاني والسكاكي؟
- * أتنزَعُ الكناية نحو المجاز أم أنه ينقذ في لبها الحقيقة والتصريح؟
- وتبعاً لهذه الإشكالات أثرنا أن نوزع محاور البحث على الشكل الآتي:
- * تعريف الكناية.
- * أ- في اللغة.
- * ب- في اصطلاح البلاغيين.
- * جوهر الكناية عند الجرجاني.

¹ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، الطبعة الأولى، 1991، دار الجيل، بيروت- لبنان، ص: 141.

² - المصدر نفسه. ص: 143.

³ - المصدر نفسه. ص: 143.

⁴ - "الصُّوى: الأعلام من الحجارة، الواحدة صُوءة. الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3، مادة "ص و ي"، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1984، ج2402/6.

* الكناية عند السكاكي.

* الكناية بين الحقيقة والمجاز.

* خاتمة.

تعريف الكناية:

أ- الكناية في اللغة:

ورد في لسان العرب تحت مادة (ك ن ي): "الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه"¹. وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت 817 هـ): "كنى به عن كذا يكنى كناية: أي تكلم بما يستدل عليه، أو أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره"². وما يستفاد من هذه التعريفات أن الكناية تحوز معنى الستر والخفاء، و"كنى: تستر من كنى عنه، إذا وَرَى"³.

ب- الكناية في عُرْفِ البلاغيين:

كان لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) صاحب كتاب "مجاز القرآن" قصب السبق في الحديث عن الكناية، وتفيد عنده "ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة"⁴. وقد تعددت الآراء في تعريف الكناية؛ فنُلْفِي على سبيل الذكر لا الحصر أن المبرد (ت 286 هـ) يجعلها على ثلاثة أضرب: أحدهما التعمية والتغطية، ومنه قول النابغة الجعدي:

أَكْنِي بغيرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ حَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتِمٍ

وتعمد الكناية حسب هذا الصنف إلى التستر وعدم التصريح (أكنى بغير اسمها).

والضرب الثاني عند المبرد - وهو الضرب الحسن عنده- يتمثل في الانصراف عن اللفظ الخسيس إلى ما يدل على معناه من غيره، كقوله تعالى في عيسى عليه السلام وأمه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾⁵، كناية عن قضاء الحاجة، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁶، فالجلود هنا كناية عن الفروج. في حين يجنح الضرب الثالث إلى التفضيم والتعظيم، ويقصد بها في هذا المقام الكُنْيَةُ، وهو أن يعظم الرجل إذا دعي باسمه. وتحدث قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) عن الكناية في باب الإرداف، وهو "عندما يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع"⁷، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

¹ - لسان العرب، ابن منظور، مادة "ك ن ي"، الطبعة الثالثة، 1414 هـ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ص: 3944.

² - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة "ك ن ي"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، 2005، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

³ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الجزء الثالث، 1987، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 154.

⁴ - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سركين، الجزء الثاني، (د-ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د-ت)، ص: 73.

⁵ - سورة المائدة، الآية: 75.

⁶ - سورة فصلت، الآية: 21.

⁷ - نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: عبد المنعم خفاجي، (د-ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د-ت)، ص: 157.

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ

أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ

فالشاعر هنا أراد أن يصف طول الجيد (العنق) فلم يعمد إلى التصريح بلفظه، وإنما أتى بمعنى ملازم لطول الجيد ألا وهو بُعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ.

وضرب ابن رشيقي القيرواني (ت 456 هـ) بسهمه أيضا في مبحث الكناية، فذكرها في باب الإشارة، مبينا أن الإتيان بالقول على هذه الشاكلة، لا يتسنى إلا للشاعر المبرز، الذي حيزت له فُرُوط الوثاقه والإبداع. وقد عالج فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) هو الآخر الكناية في كتابه الموسوم بـ: "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"؛ إذ يقول: "اعلم أن اللفظة إذا أُطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي وإما أن لا يكون كذلك فالأول هو الكناية والثاني هو المجاز"¹. ونجد للكناية صدى وحضورا أيضا في المؤلفات، التي عُنيبت بعلوم القرآن، ومنها كتاب "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي (ت 794 هـ)؛ إذ عرف الكناية بقوله: "الكناية عن الشيء: الدلالة عليه من غير تصريح باسمه، وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ولكن يعي إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود ويجعله دليلا عليه فيدل على المراد من طريق أولى"².

ماهية الكناية عند الجرجاني: جَوْسٌ للعوامل وسِرٌّ للأغوار

حازت جهود عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) البلاغية نصيبا وافرا من البحث والدراسة؛ إذ عكف الدارسون على إسهاماته المبتوثة في ثنايا كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" محاولين استكناه آراء شيخ البلاغيين العرب في مختلف الظواهر البلاغية التي تطرق إليها، ولا تفتأ اجتهادات الجرجاني في مضمار البلاغة تحت الدارس على ضرورة التنقيب فيها، وإماطة اللثام عن كثير من الدلالات الثاوية في مفاصلها. وتُعزى مَدَاعِي اهتمام الدارسين بجهود عبد القاهر الجرجاني واعتنائهم بها، إلى كون مؤلفاته تعد المهاد الأساس في البلاغة العربية، فضلا على أن مصنفاته تشكل مَعِينًا ثَرًا تكتنفه الأسئلة وتتنازع الإشكالات، مما يُغري الباحث بالإقبال على هذه المصنفات، بُغية استكشاف عوالمها واستجلاء كُنْهها وماهيتها.

بَسَطَ الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" الحديث في أضرب التشبيه، وأقسام الاستعارة، وأنواع المجاز، في حين جَلَّى في كتابه "دلائل الإعجاز" الكناية وسلَّط الضوء عليها، من خلال تعريفها وتحليلها، استنادا إلى جملة من الشواهد الشعرية والنثرية.

استرشد الجرجاني من مختلف الروافد التي سبقت، وأفاد منها في دراسته للكناية، ويبرز تصور عبد القاهر الجرجاني للكناية انطلاقا من نص رئيس، يقول فيه: "الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تُخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد.. وضرب آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض.. ألا ترى أنك إذا قلت: "هو كثير رماد القدر فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجب ظهوره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيا هو غرضك ك معرفتك من كثير الرماد أنه مضياف..

¹ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، مطبعة الآداب، مصر، 1317 هـ، ص: 102.

² - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثاني، (د-ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د-ت)، ص: 186.

وإذا قد عرفت هذه الجملة، فهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى¹. يعد هذا النص نواة يظهر فيه تصور الجرجاني لمبحث الكناية. يجعل عبد القاهر الجرجاني الكلام على قسمين: قسم سهل المرام ويسير المنال على المخاطب اصطلاح عليه بالمعنى، لأن الغرض من الكلام يفهم من خلال الدلالة الوضعية للألفاظ، ويمكن أن نوضح هذا القسم بالترسيمة الآتية:

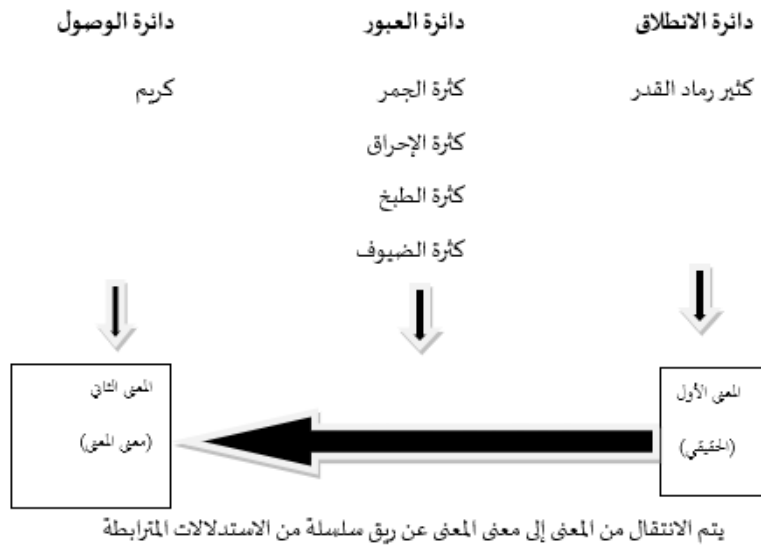
دائرة الانطلاق دائرة العبور دائرة الوصول

خرج زيد

∅

خرج زيد

وقسم آخر صعب المنال، بعيد المرام، سماه الجرجاني: "معنى المعنى"، ويتطلب هذا الضرب من المتلقي تسخير كفاءاته الذهنية والاستدلالية والموسوعية، للوصول إلى الغرض المراد من الكلام. ولا يكون الوصول إلى هذا الغرض بدلالة اللفظ وحده، بل ينطلق المخاطب من الدلالة الوضعية (المباشرة) ليستخلص معنى مضمهر هو المراد والمقصود، ويمكن أن نمثل لذلك بالآتي:



يقول الجرجاني في تفسير هذا المعنى: "ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم (هو كثير رماد القدر) وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تُنصب له القدور الكثيرة، ويطبخ فيها للقرى والضيافة.. وهكذا السبيل في كل كناية"². ومن ثمة فالكناية تتفتق انطلاقاً من المعنى الحرفي، وهي أبلغ من التصريح. ويجعل الجرجاني مزية

¹ - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، علق على حواشيه محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، 1988، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص: 202-203.

² - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 330-331.

للكناية تفوق التصريح، وهي الزيادة في إثبات المعنى، لذلك يقول: "أن ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح، أنك لما كنييت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد"¹.

الكناية عند السكاكي: صُوى الائتلاف وأواصر الائتلاف

أثرنا أن نقيم مقارنة بين الجرجاني والسكاكي (ت 626 هـ) من خلال تناوله لمبحث الكناية، محاولين رصد أواصر الائتلاف ومكامن الائتلاف بين الرجلين، ومرد مقارنة آراء الجرجاني باجتهادات السكاكي من خلال كتابه "مفتاح العلوم"، يعزى إلى أن هذا الكتاب يمثل معيناً لآراء السلف وأعمالهم، كما أن مصنف مفتاح العلوم يتميز كذلك بجملة من الخصائص، منها على سبيل التمثيل لا الحصر: حسن التبويب ودقة الترتيب.

عرف السكاكي الكناية بقوله: "هي ترك التصريح بالشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك كما نقول: "فلان طويل النجاد" لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة، وكما تقول: "فلانة نؤوم الضحى" لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة"²، ولم يخرج السكاكي بهذا التعريف عن ما أشار إليه الجرجاني في تعريفه للكناية؛ إذ كشف هو الآخر على أن الكناية تقتضي الانتقال من اللازم إلى الملزوم.

تقسيم الكناية عند السكاكي:

قسم السكاكي الكناية إلى ثلاثة أقسام:

أ- الكناية المطلوب بها إثبات الموصوف: وتنشطر إلى قريبة وبعيدة؛ فالقريبة هي أن تختص الصفة بموصوف معين، كقولك: "جاء المضياف" تريد زيدا المشهور بضيافته، والمعروف بقرأه، والبعيدة هي التي تكون مجموعاً وصفياً يحول دون دخول أي شيء آخر في معناه غير الموصوف المقصود، ومنه قولهم عن الإنسان: "حي مستوي القامة عريض الأظفار"، فهذه الأوصاف مجتمعة تدل على مراد واحد وهو الإنسان.

ب- الكناية المطلوب بها إثبات الصفة: تنصرف كذلك إلى قريبة وبعيدة؛ فالقريبة هي أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه، كأن تقول مثلاً: "فلان كثير الأضياف" كناية على أنه مضياف، أما البعيدة فهي التي نعتمد فيها إلى الانتقال إلى المعنى المطلوب بواسطة الترابطات الاستلزامية المتسلسلة، ومنها قولهم: "كثير رماد القدر" كناية عن الكرم؛ إذ توصلنا إلى هذه النتيجة انطلاقاً من انتقالنا من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر، ومن كثرة الجمر إلى كثرة الحطب، ومن كثرة الحطب إلى كثرة القدور، ومن كثرة القدور إلى كثرة الطعام، ومن كثرة الطعام إلى كثرة الضيوف، ومن كثرة الضيوف إلى الكرم. ومنها كذلك قول الشاعر:

جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

وَمَا يَكُ فِي مَنْ عَيْبٍ فَإِنِّي

فمن طبيعة الكلاب وعادتها أنها تنبح في وجه من لا تعرف، لكن الشاعر من خلال هذا البيت، وصف كلبه بكونه لا ينبح في وجه أضيافه، وذلك لأنه أَلِفَ مشاهدتهم واعتاد على وجودهم، فنخلص إلى ملزوم الكرم في جبان الكلب من خلال مجموعة من الاستلزامات، والأمر نفسه ينسحب على عبارة "مهزول الفصيل" التي تفيد أن هزال الفصيل - والفصيل ولد الناقة - يؤول إلى فقدته لأمه، التي تم ذبحها وتقديمها كطعام للضيوف، فانتقلنا من كل ذلك إلى إثبات كرم الشاعر.

¹ - المصدر نفسه. ص: 56.

² - مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتبه همامه وعلق عليه، نعيم زرزور، الطبعة الثانية، 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص: 40.

ج- الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف:

بيّن السكاكي أنها تتفاوت في اللطف، ومن ذلك قولهم: **المَجْدُ بَيْنَ ثَوْبِيهِ وَالكَرْمُ بَيْنَ بُرْدِيهِ**؛ ذلك أنه أثبت صفتي المجد والكرم للممدوح، وذلك بإثباتهما في ثوبيه وبُرديه كناية عنهما.

الكناية بين الحقيقة والمجاز: اختلاف المواقف وتضارب الآراء

يتجاذب الكناية أصلان؛ معنى حقيقي ومعنى مجازي، وهذا الحد هو الذي أشار إليه ابن حمزة العلوي (ت 749 هـ) بقوله: "فإذن حاصل الكلام في الكناية أنه يتجاذبها أصلان"¹، وتبين من قول العلوي أن الكناية دالة على معنيين حقيقة ومجازاً، بل إن بعض البلاغيين يرون أن الكناية "لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها"²، فقولنا مثلاً: "فلان طويل اليد" فلا يمتنع إرادة طول يده دون تأويل على أنه سارق، وقد تضاربت الآراء بين البلاغيين في تصنيف الكناية، فمنهم من حملها على الحقيقة ومنهم ردها إلى المجاز، ومنهم من سَوَّى بينهما واعتبر أن الكناية تُحملُ على الحقيقة والمجاز معاً، وهذا بالتحديد ما ذهب إليه ابن الأثير (ت 630 هـ)؛ إذ يقول: "فإننا إذا شئنا حملناها على جانب المجاز، وإذا شئنا حملناها على الحقيقة"³.

خاتمة:

من خلال مقاربتنا لمبحث الكناية، تحصلت لنا مجموعة من الخلاصات، نُجملُ الحديث عنها في العناصر الآتية:

* تدل الكناية في معناها اللغوي على الستر والإضمار والخفاء.

* تفيد الكناية في الاصطلاح المعنى المتفتق والمنبثق من المعنى الحرفي، وهي أبلغ من التصريح.

* تكمن مزية الكناية في إثبات المعنى، وليس الزيادة فيه.

* مدار الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ولا يتم هذا الانتقال إلا من خلال مجموعة من الاستدلالات المترابطة.

* يتوحد السكاكي مع الجرجاني في ماهية الكناية وحقيقتها، ويتفرد السكاكي عن الجرجاني بتقسيمه للكناية، وكذا باستعاضته عن مفهوم معنى المعنى الذي أشر عليه الجرجاني، بمفهوم الدلالة العقلية.

* يتجاذب الكناية أصلان هما الحقيقة والمجاز.

¹ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي المدني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2002، بيروت، ص: 191.

² - مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 513.

³ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الجزء الرابع، (د-ط)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص: 53.

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

- * ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (د-ط)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الجزء الرابع.
- * ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، 1414، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- * الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، علق على حواشيه محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، 1988، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- * أسرار البلاغة، شرح وتعليق: عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، الطبعة الأولى، 1991، دار الجيل، بيروت- لبنان.
- * الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب، مصر، 1317.
- * الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثاني، (د-ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د-ت).
- * السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، الطبعة الثانية، 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- * العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هندراوي، الطبعة الأولى، 2002، بيروت، الجزء الأول.
- * الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، 2005، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
- * معمر بن المثنى، أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، الجزء الثاني، (د-ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د-ت).

المراجع:

- * مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 1987، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الجزء الثالث.

جماليات الخطاب في الحديث النبوي الشريف

The eloquence of persuasion in the hadith of the Prophet

أ.م.ش.ك د/ منصور محمد أحمد يوسف، كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية (ميديو) - ماليزيا

Mansour Mohamed Ahmed Yousef, Al-Madinah International University (MEDIU- Malaysia)

ملخص:

ينتهج الخطاب في الحديث النبوي منهجًا واضحًا للتعامل مع النفوس البشرية في منتهى الحكمة؛ فنجد لكل نفس الأسلوب الذي يناسبها: فمن كانت نفسه تميل إلى التشنج ناسبه الرجز، ومن كانت فيه غلظة ناسبه الحلم والصبر، ومن كانت نفسه تميل إلى التفلت ناسبته الحجة والإقناع.

وتنقسم أنواع الخطاب في الحديث النبوي إلى ثلاثة: (أ) الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي. (ب) الخطاب العاطفي أو النفسي. (ج) الخطاب العقلي أو الاستدلالي.

وقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف أساليب بلاغية متعددة لإقناع المتلقي، ويأتي أسلوب التكرار على رأس تلك الأساليب.

الكلمات المفتاحية:

جماليات، الخطاب، الحديث النبوي.

Abstract:

The discourse in the Prophetic hadith takes a clear approach to dealing with human souls with the utmost wisdom. So we find for each soul the method that suits it: he who tends to be strict is suited to being reprimanded, and he who has toughness is suited for patience and forbearance, and he who is inclined to evasion is suited to argument and persuasion.

The types of discourse in the hadith of the Prophet are divided into three: (a) the argumentative or protest discourse. (B) emotional or psychological discourse. (c) Rational or inferential discourse.

The Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, in his honorable hadith, used several rhetorical methods to convince the recipient, and the method of repetition comes on top of those methods.

key words: Aesthetics, discourse, prophetic hadith.

مقدمة:

تُعدُّ مخاطبة العقول والقلوب فتناً لا يجيده إلا من امتلك أدواته، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتربع على قمة البيان البشري فقد خرج من مشكاة النبوة على لسان من اختُصر له الكلام اختصاراً، فهو في أعلى درجات البلاغة وتحقق فيه كل خصائصها، وقد أشار إليها صلى الله عليه وسلم بقوله: «أعطيت جوامع الكلم»⁽¹⁾، وفي رواية: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم»⁽²⁾.

وإذا نظرنا إلى الخطاب في الحديث النبوي، وجدنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهجاً واضحاً للتعامل مع النفوس البشرية في منتهى الحكمة؛ فنجد لكل نَفْسٍ الأسلوب الذي يناسبها؛ فَمَنْ كانت نفسه تميل إلى التَشَدُّد ناسبه الرَّجْر، ومن كانت فيه غلظة ناسبه الحلم والصبر، ومن كانت نفسه تميل إلى التَّفَلُّت ناسبته الحجّة والإقناع.

وهذه المراعاة للمستويات العقلية في الخطاب النبوي الشَّريف نجدها في الخطاب القرآني الذي راعى مستويات الفهم لدى المخاطبين؛ لأنه جاء لعموم الناس على مختلف مستوياتهم العقلية والعمرية، فكان الأمر الرباني لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يراعي تلك المستويات على اختلافها في أساليبه الخطابية، فقال سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [سورة النحل: آية 125].

وهذه الآية هي الأساس الذي بُنيت عليه أنواع الخطاب في الحديث النبوي، وذلك من عدة جوانب:

الجانب الأول: أن الدعوة تكون بأسلوب الإقناع والتأثير بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الرَّازِي⁽³⁾: "ومن لطائف هذه الآية أنه قال: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}، فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين؛ لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنّية فهي الموعظة الحسنة، أما الجدل فليس من باب الدعوة بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإقحام؛ فهذا السبب لم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدعوة وإنما الغرض منه شيء آخر، والله أعلم"⁽⁴⁾.

الجانب الثاني: للحكمة في كتاب الله عز وجل عدة معان وقد ذكرها الفيروزآبادي في ستة⁽⁵⁾، أما معناها في سياق هذه الآية:

{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة} فللمفسرين فيها ثلاثة أقوال يمكن إجمالها فيما يلي:

الأول: "الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة، فبيّن لها الحق علماً وعملاً فتقبله وتعمل به"⁽⁶⁾.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح 372/1 حديث (523) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث أبي هريرة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة الحلبي، 1374هـ-1954م.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه مع فتح الباري 149/6 حديث (2977) كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالرعب مسيرة شهر".

(3) هو: محمد بن عمر بن الحسين القرشي، فخر الدين الرازي، أقبل الناس على كتبه في حياته بتدريسها، وغيره مات سنة ست وستمئة سير أعلام النبلاء 500/21، والعبير في خبر من غير للذهبي 18/5 تحقيق د. صلاح الدين المنجد، 1386هـ - 1966م، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.

(4) مفاتيح الغيب للرازي 112/20، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.

(5) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي 2/490 - 491، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة، 1416هـ - 1996م.

(6) مجموع الفتاوى لابن تيمية 164/19 تحقيق أنور الباز، وعامر الجزائر، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثالثة، 1426هـ - 2005م.

والمقصود د بها علم الكتاب والسنة والعمل بهما.

الثاني: مراعاة مقتضى الحال، أو دعوة كل أحد على حسب حاله وانقياده⁽¹⁾.

الثالث: الدليل الصحيح المحكم والحجة القطعية⁽²⁾.

والذي يظهر أن أكثر المعاني مناسبة للسياق هو المعنى الأخير.

الجانب الثالث: إذا ما نظرنا إلى أنواع الخطاب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نجد أنهما يخاطبان العقل ويستثيران العاطفة وأهما مليئان بالحجج القطعية، وأن العقل الصريح يتفق مع النقل الصحيح.

أولاً: أنواع الخطاب في الحديث النبوي

ينقسم الخطاب في الحديث النبوي إلى ثلاثة: (أ) الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي. (ب) الخطاب العاطفي أو النفسي. (ج) الخطاب العقلي أو الاستدلالي.

(أ) الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي:

يُعَدُّ الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي من أهم الأساليب التي يستخدمها العقل البشري في محاوراته، ويُقصد منه الإتيان بالدليل والحجة والبرهان في إثبات الحق والزام الخصم في أسلوب حوارى باللجوء إلى الاستدلال المنطقي.

ويكتسب الخطاب منهجيته المنطقية إذا كان مشفوعاً بالدليل والحجة؛ لذا كان الحوار العقلي الذي يعتمد على المنطق أنجح أسلوب يسلكه المحاور ليقنع به مَنْ يحاوره ويؤثر فيه؛ لأن الإنسان السَّوي يُعْمَلُ عقله للتأمل والتفكير ليصل به إلى الإقناع والقبول استناداً إلى أدلة منطقية.

لقد كان الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي من أهم الأساليب التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاوراته مع المخاطب، إذ كانت وسيلته الفعالة لِيُملِي به حجته الإقناعية التَّأثيرية، ويدعو الفكر للتأمل والتدبر، وبهذا الخطاب استمال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الناس وغيَّر مفاهيمهم الخاطئة التي اقتنعوا بها، وقد حثَّ اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم على مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فقال سبحانه: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} [سورة العنكبوت: آية 46]، فالقرآن الكريم يعرض نظريته الحوارية المتكاملة والشاملة لِيبتعد عن الجهل والتعصب والاستخفاف وكل ما يُسئى للطرف المقابل، ويُبَيِّن أنَّ الغاية من الحوار هو الصِّفاء والموضوعية، وأنَّ التَّخَلُّق بحسن شمائل التَّحاور هو السَّبيل لتحقيق الغاية.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعل ذلك عندما التقى نصارى نجران مع اليهود في المسجد، فتجادلوا أمامه، كل فريق يقول للآخر: لستم على شيء، وكلُّ كفر بما عند الآخر، وادعى أنَّ إبراهيم عليه السلام ينتسب إليه، فقال أحد أبحار اليهود: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النَّصارى عيسى؟ وقال رجل من أهل نجران: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعو؟ فقال

(1) تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص 452 تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويح، الطبعة الرابعة، 1429هـ - 2008م.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب 112/20، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري 4/316 تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَوْ أَمْرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بَدَلَكَ بَعَثَنِي وَلَا أَمْرَنِي"⁽¹⁾، فأنزل الله عز وجل قوله: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [سورة آل عمران: آية 79].

فقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الآخر بأسلوب يحترم إنسانيته، وهو منيح رسمه القرآن الكريم فالموعظة الحسنة تكون مع الموافقين أما الجدل فيكون مع المخالفين.

ومن أمثلة محاوره رسول الله صلى الله عليه وسلم الهادئة المتسمة بروح التسامح حوار مع عبد الله بن سلام⁽²⁾، فقد روى أنس⁽³⁾، أن عبد الله بن سلام بلغه قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال إني سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال ولد يتزعج إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل أنفاً. قال ابن سلام ذلك عدو اليهود من الملائكة قال: أمّا أول أشراط الساعة، فإنا نرى تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمّا أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأمّا الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب عبد الله بن سلام بالحكمة والموعظة الحسنة عندما سأله عن أمور لا يعلمها إلا نبي على سبيل الظن منه طلباً للتيقن، وقد أعطاه بالحجة والدليل ما جعله يخضع لجانب الإقناع، ومن ثم فقد تأثر بتغيير قناعاته السابقة⁽⁴⁾.

(ب) الخطاب العاطفي أو النفسي

في النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان. فتحتاج إلى إقناع عاطفي⁽⁵⁾، ويُعدّ التوجه إلى العاطفة مؤازراً في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم للتوجه إلى العقل، فإذا كان العقل لا يسهل قيادته في بعض الأحيان مهما وضحت الحجة، فإن العاطفة تكون حينئذ عوناً على استمالة المخاطب.

فالخطاب العاطفي يعتمد على استثارة العاطفة في النفس لدفعها إلى الإقناع، ومن ذلك: ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: اشتكى سعد بن عباد شكاوى له فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى

(1) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي 384/5 تحقيق الدكتور/ عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

(2) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف الأنصاري، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قيل: اسمه الحصين، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وشهد له بالجنة، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير 176/3 تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، دار الشعب، بدون تاريخ.

(3) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري النجاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخادمه عشر سنين مقامه بالمدينة، أمه أم سليم بنت ملحان، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، مات سنة اثنتين وتسعين، وقيل: ثلاث، وقد جاوز المائة. الإصابة في تمييز الصحابة 126/1.

(4) ينظر: بحث لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي د/ جنان مهدي العقيد ص 238-239، و249 مجلة العميد، العدد الخاص 2، السنة الثانية، 1434هـ-2013م. بتصرف.

(5) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د. محمد عبد الله دراز ص 113 إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر، 1405هـ - 1985م.

الني صلى الله عليه وسلم، فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا فقال: "ألا تسمعون: إنَّ الله لا يعذب بدمع العين، ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا- وأشار إلى لسانه- أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه⁽¹⁾.
فقد رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرضى ووعظ بأمر هام هو كف اللسان عما يحرم قوله بأسلوب وعظي، تتدفق فيه ينابيع الحكمة، وتلين له القلوب.

(ج) الخطاب العقلي أو الاستدلالي:

يميل الخطاب العقلي إلى المنطق وتحليل الأمور ومعرفة عواقبها، أو نتائجها، فما نافي العقل غير مقبول، وما قبله العقل فهو محمود فهو محمود، فأسلوب المنطق يتصف بالحيوية لما فيه من أسئلة موجبة للمخاطب ليجيب عليها.
وهذا الأسلوب هو الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في محاورته مع الشَّاب الذي استأذنه بالرِّثَا فكان النبي صلى الله عليه وسلم حليماً في حوارته معه، فاستعمل معه أسلوب العقل والمنطق لإقناعه بالعدول عن هذا الأمر.

عن أبي أمامة رضي الله عنه⁽²⁾ قال: إنَّ فتيَّ شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أئذَّن لي بالرِّثَا، فأقبل القوم عليه فزَجَرُوهُ وقالوا: مَهْ. مَهْ. فقال: "أذُنُه، فدنا منه قريباً". قال: فجلس قال: "أَتَجِبُهُ لَأُمِّكَ؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا النَّاسُ يُجِبُونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ". قال: "أَفَتَجِبُهُ لَابْنَتِكَ؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا النَّاسُ يُجِبُونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قال: "أَفَتَجِبُهُ لَأَخْتِكَ؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا النَّاسُ يُجِبُونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قال: "أَفَتَجِبُهُ لَخَالَاتِكَ؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا النَّاسُ يُجِبُونَهُ لِخَالَاتِهِمْ". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ⁽³⁾.

فقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم عقل الشَّاب واستعمل في حوارته معه اللين والمنطق فكان أقوى أساليب الإقناع، ثم إنه صلى الله عليه وسلم دعا له بالعِقَّة فكان من أبلغ الأساليب في التَّأثير وتغيير قصده الذي يتنافى مع الفطرة السليمة، دون أن يفرض عليه قناعاته بالقوة، فقد أقنعه صلى الله عليه وسلم إقناعاً عقلياً وعاطفياً بما جعله يتأثر تأثيراً حقيقياً بحيث لا يلتفت إليه بعد ذلك.

ثانياً: التَّكرار أقوى أساليب الإقناع في الحديث النَّبوي

استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشَّريف أساليب بلاغية متعددة لإقناع المتلقي، ويأتي أسلوب التَّكرار على رأس تلك الأساليب. وقد أشار إلى هذا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا

(1) صحيح البخاري (مع فتح الباري) 3/209 حديث (1304) كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1986م.

(2) هو: صُدَيِّ بن عَجْلان الباهلي، أبو أمامة مشهور بكنيته، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع تحت الشجرة، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين: وقيل: إحدى وثمانين. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني 3/420 تحقيق محمد علي البجاوي، دار النهضة مصر، بدون تاريخ.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل 36/545 حديث (22211) تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م. وقال محققو المسند: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 1/155 حديث (543): "رجالهم رجال الصحيح" طبعة دار الفكر، بيروت، 1412 هـ - 1992م.

تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً⁽¹⁾. فأنس رضي الله عنه يُخبر عما عرفه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم وشاهده⁽²⁾.

وإننا نجد أنّ التكرار من أقوى طرق الإقناع عند علماء النفس⁽³⁾، فإنّه متى كثر تكرار أمر تولد تيار فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات هو التّأثير، فلا يكفي لتحويل الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لحصول ذلك لابد أن يتكرر حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به، وتركزه حوله⁽⁴⁾.

وأهم ما يؤديه التكرار في الحديث النبوي الشّريف " من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثلاً وللاعتقاد أبين. أما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان"⁽⁵⁾.

والتأثير في التكرار لا يقوم عليه وحده، وإنما على ما يتركه من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الذي ورد فيه، فكل تكرار يحمل في أنثائه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الأدبي. ويمثل التكرار إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد المتحدث على تصوير موقفه، فتتشكل تلك الأداة بأشكال مختلفة متنوعة؛ بدايةً من الحرف، وامتداداً إلى الكلمة، ثم الجملة، وكل شكلٍ من تلك الأشكال تُبرز جانباً تأثيرياً للتكرار⁽⁶⁾.

والتكرار اللفظي في اصطلاح البلاغيين: هو شكل من أشكال الإطناب في علم المعاني، والإطناب زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي لغاية الفائدة⁽⁷⁾.

والتكرار أسلوب تعبير يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة، ويتصل اتصالاً مباشراً بالوجدان؛ فالمتكلم إنما يُكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار⁽⁸⁾.

ولقد كان التكرار في الحديث النبوي مقصوداً متعمداً، وليس عن عجز في التعبير، فجاء ليحمل جزءاً من المعنى المراد، فكان وسيلة من وسائل الدعوة، يستعمله النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجد لذلك ضرورة، فهو في موضعه كالإيجاز والحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب.

(1) صحيح البخاري (مع فتح البخاري) 1 / 227 حديث (95) كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه.

(2) فتح الباري 1 / 227.

(3) الحديث النبوي وعلم النفس د. محمد عثمان نجاتي ص 176 دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1421هـ - 2000م.

(4) ينظر: الدوافع النفسية د. مصطفى فتحي ص 101 مكتبة مصر، 1960م. بتصرف.

(5) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني 1 / 322 مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1992م.

(6) ينظر: القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف لحازم كريم عباس ص 105 أطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية الآداب بجامعة القادسية الأستاذ الدكتور شاکر هادي حمود التميمي، 1432هـ - 2012م. بتصرف.

(7) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي 2 / 230 سلسلة الذخائر العدد 187 تقديم د. إبراهيم الخولي، مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية 1332هـ - 1914م.

(8) التكرير بين المثير والتأثير د. عز الدين علي السيد ص 136 عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1986م.

وقد أشار أبو هلال العسكري⁽¹⁾ إلى هذا المعنى بقوله: وكلام الفصحاء إما هو شوب الإيجاز بالإطناب، والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط، ليستدل بالقصد على العالي، وليخرج السامع من شيء إلى شيء فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته، فيصرفوه في وجوه الكلام إيجازه وإطنابه، حتى استعملوا التكرار ليتأكد القول للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير⁽²⁾.

والتكرار في الحديث النبوي ضربان: تكرر في اللفظ والمعنى، وتكرر في المعنى دون اللفظ، وهو ما أشار إليه علماء البلاغة⁽³⁾.

(أ) التكرار باللفظ:

المقصود هو إعادة اللفظ نفسه أو العبارة نفسها لدواع مختلفة أشار إليها علماء البلاغة، فهناك بواعث كثيرة للتكرار، كما أن المهمة المكلف بها النبي صلى الله عليه وسلم تدعو لاستخدام هذا الأسلوب ليدرك السامع المراد.

والتكرار اللفظي في الحديث النبوي عدة أنواع: فقد يكون المكرر حرفاً واحداً في كلمة واحدة، وقد يكون كلمة أو عبارة أو صيغة أو أداة⁽⁴⁾.

(1) تكرر الحرف:

لتكرار الحرف الواحد في اللفظة مدلوله المعنوي والموسيقي فقد يكون تصويراً لحالة المتحدث، أو يكون زيادة في المعنى، وهو ما أشار إليه ابن جني⁽⁵⁾، في حديثه عن الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة⁽⁶⁾.

مثال ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أم السائب، مالك تُزْفِرِين"⁽⁷⁾؛ فلهذا التكرار مزيتان: الأولى تعود على الجرس، والثانية تعود على المعنى، وقد ساعد تكرير الحرف في تشخيص المعاني وتقريبها من إدراكنا الحسي، إذ أظهرت لنا لفظاً (تزفزين) حالة الحُنى، وما يرافقها من الهديان، والرعدة التي تأخذ صاحبها، ومع أن العرب استعملت هذه اللفظة في معان متعددة، منها سرعة

(1) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، عالم بالأدب، نسبته إلى عسكر مكرم، من كور الأهواز، مات بعد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. الأعلام 2/ 196.

(2) الصناعتين ص 193 تحقيق علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، 1406هـ، 1986م.

(3) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير 2/ 146، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، والخصائص لابن جني 3/ 101-103 تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت.

(4) ينظر: بحث التكرار في الحديث النبوي أ. د. أميمة بدر الدين منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد 26 العدد الأول والثاني، 2010م، ص 79-80. بتصرف يسير.

(5) هو: عثمان بن جني الموصلية، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو، توفي ببغداد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. الأعلام للزركلي 4/ 204.

(6) الخصائص 2/ 153.

(7) أخرجه مسلم في صحيحه 4/ 1994 حديث (2575) كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وتزفزين، أي: ترتعدين وينظر شرح النووي لصحيح مسلم 16/ 131 دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.

أم السائب هي الأنصارية روي عنها أبو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث، وقال بعضهم فيها: أم الميسب، أسد الغابة 7/ 325، 384، والإصابة في تمييز الصحابة 8/ 215.

المشي مع تقارب الخَطْو، ويكون في الناس وغيرهم، ومنها الإسراع ومنها هبوب الريح هبوبًا لَيِّنًا ومنها تحريك الريح يبس الحشيش، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم منح هذه اللفظة معنى جديدًا⁽¹⁾.

(2) تكرار اللفظة الواحدة:

مثال ذلك: تكرار رسول الله صلى الله عليه وسلم للفظ الجلالة في قوله: "الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه"⁽²⁾.

فقد جاء هذا الحديث مُفَعَّمًا بالتكرار فقد كرَّر عددًا من الألفاظ، فصَدَّر الحديث بتكراره لفظ الجلالة، لبيان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إكبار أصحابه وإكرامهم وعدم التعرض لأي منهم والمعنى: احذروا غضب الله بسبب النيل من أصحابي، ويؤكد هذا الشعور ما ورد في الحديث من التكرار لبعض الألفاظ الأخرى: فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم.

والمقابلة بين الجمل تحمل معنى التأكيد في تصوير اتحاد شأنهم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا وبُغْضًا فالصحابة رضوان الله عليهم ليسوا كغيرهم من البشر، فلهم من الحرمة والكرامة والإكبار ما ليس لغيرهم، فإن كرههم كره الله ولرسوله وإن محبتهم هي محبة لله ولرسوله⁽³⁾.

(3) تكرار العبارة:

مثال ذلك: تكراره صلى الله عليه وسلم لعبارة "اللهم اشهد" في خطبة حجة الوداع، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن دماءكم، وأموالكم، حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، اللهم اشهد. ثلاث مرات"⁽⁴⁾.

فالتكرار هنا يُطلق عليه تكرار التبرئة؛ وذلك لتأكيد البراءة من القصور، ولتقرير نزاهة الساحة من اللوم، وللتعرض بانتقال التبعة إلى أهلها وتحملهم حقوقها مع الإشعار بعظم جانبها⁽⁵⁾.

(ب) التكرار بالمعنى:

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب التكرار للمعنى بألفاظ مختلفة في أحاديثه الشريفة، دفعًا للملل والسأم عن القارئ والسماع، ولعرض المعنى بطرائق مختلفة تؤثر في السامعين، وقد كان هذا الأسلوب معروفًا عند العرب، مستعملًا لديهم، قال ابن قتيبة⁽⁶⁾: "وما تكرر المعنى بلفظين مختلفين فلاشباع المعنى والاتساع في الألفاظ"⁽⁷⁾.

(1) ينظر: لسان العرب 9/ 136 مادة (زف) دار صادر، بيروت.

(2) أخرجه أحمد في المسند 24/ 169 حديث (5049)، والترمذي في الجامع 5/ 696 حديث (3862) في فضائل الصحابة باب فيمن سب الصحابة، من حديث عبد الله بن مغفل، واللفظ للترمذي وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

(3) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية د. عز الدين علي السيد ص 90 دار اقرأ، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه 2/ 886 حديث 1218 كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(5) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص 97.

(6) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، من أئمة الأدب من المصنفين المكثرين، توفي ببغداد سنة ست وسبعين ومائتين، الإعلام للزركلي 4/ 137.

(7) تأويل مشكل القرآن ص 152 تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2007م.

وقد كرّر النبي صلى الله عليه وسلم عددًا من المعاني التي تؤلف قوام الدعوة الإسلامية بعبارات مختلفة ولم يشعر القارئ ولا السامع بذلك التكرار، وتلك قدرة بلاغية لا يُوفق إليها كل متكلم، ولا يصل إليها إلا من ملك ناصية اللغة ووقف على أسرارها. فمن ذلك ربط العمل بالنية:

فقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤكد أهمية النية في أي عمل يقوم به الإنسان، فعمل الإنسان مرهون بنيته، فإن صلحت صلح العمل وإن فسدت فسد العمل جلّ هذا العمل أو صغر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه⁽¹⁾، ولما كانت النية تؤلف ثلث عمل الإنسان أو ربه كما أشار شُرّاح هذا الحديث⁽²⁾، فقد عمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تكراره وإبرازه في صور مختلفة ولكن القاسم المشترك بينها هو أهمية النية وإن اختلفت العبارات وتبدلت الألفاظ.

فها هو ذا يؤكد هذا المعنى في حديث آخر، فيقول: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت؛ ولكنك تعلمت العلم ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت؛ ولكنك فعلت ليُقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه ثم أُلقي في النار"⁽³⁾.

وهناك حديث ثالث تحدث فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أهمية النية وربط ثواب العمل بصلاحها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية، فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني، فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله⁽⁴⁾.

ومما مرّ نستنتج أنّ التكرار بأنواعه في النصوص الشريفة لم يأت مُقحمًا تمجُّه الأسماع، وترغبُ عنه النفوس، وإنما عفويًا لذيذًا وفي صور شتى، ما أحدث تنوعًا في النصوص، وراحةً وامتعةً لدى المتلقي، وأنّ التكرار في الحديث النبوي الشريف قد تجاوز الوظيفة التأكيدية الإفهامية، المعروفة لدى العامّ والخاص، ليصبح تقنيةً جماليّةً تختلف درجتها وطريقها، إذ نجده يتلون

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (مع فتح الباري) 15 / 1 حديث (1) كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم في صحيحه 3 / 1515 حديث (1907) كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات" من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واللفظ للبخاري.

(2) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص 8 دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه 3 / 1513 حديث (1905) كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (مع فتح الباري) 3 / 340 حديث (1421) كتاب الزكاة، باب إذا تصدق الرجل على غني وهو لا يعلمه، ومسلم في صحيحه 2 / 709 حديث (1022) كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

ويتغير في النَّصِّ الشَّرِيفِ، مُرتدبا في كلِّ مرةٍ مُسوِّحًا مختلفة، وهذا يجعل القيم الموسيقية ومنها التَّكرار من أساسيات تحديد قيمته الجمالية⁽¹⁾.

تعدُّ الموسيقى بوصفها جزءا من الإيقاع "وسيلةً مهمةً في التعبير عن الانفعالات والتنفيس عنها، والتعبير عن الأفكار وتجسيدها"⁽²⁾، وهي تربطنا بالمنابع العميقة للحياة؛ لأنَّ وظيفتها هي "التَّعبير عن أعماق الحياة العاطفية"⁽³⁾، فليس هنالك فنٌّ (يستطيع كما تستطيع الموسيقى أن يُعبِّر عن المشاعر الكبرى التي تهزُّ النَّفسَ الإنسانيَّة، وهي نفس المشاعر التي نجدُها في كلِّ العصور، وفي كلِّ البلاد مهما كان اللباس الذي تُلبس به الموسيقى"⁽⁴⁾؛ فتعمل على تنشيط حسِّ القارئ واستمالاته، وكذلك تعمل على تغيير الحسِّ الإلقائي للنَّصِّ بتعميق الحسِّ الغنائي فيه فيما يُطلق عليه التَّشكيل الرِّماني للملفوظ الفني عبر الإسراع أو البطء، ما يؤثر في تلقي النَّصِّ، فيساعد النَّطق بطريقة فنية في توجيه الدلالات⁽⁵⁾.

الخاتمة: بعد هذه الجولة الطيبة مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان بعض من خصائصه بطيب لي أن أسجل، أهم النتائج:
1- أنواع الخطاب في الحديث النبوي تنقسم إلى ثلاثة: الخطاب الجدلي أو الاحتجاجي، الخطاب العاطفي أو النفسي، والخطاب العقلي أو الاستدلالي.

2- استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف أساليب بلاغية متعددة لإقناع المتلقي، ويأتي أسلوب التكرار على رأس هذه الأساليب.

3- التكرار اللفظي في اصطلاح البلاغيين هو: شكل من أشكال الإطناب في علم المعاني، والإطناب زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي لغاية الفائدة.

4- التكرار في الحديث النبوي ضربان: تكرر في اللفظ والمعنى وتكرر في المعنى دون اللفظ.

أهم التَّوصيات: 1- أوصي الباحثين ببذل الجهود في دراسة الأحاديث النبوية وإبراز ما بها من الأسرار البلاغية.

2- أوصي الباحثين بدراسة التَّراكيب الجمالية، والمعاني الدلالية في الأحاديث النبوية الشَّريفة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

- أسد الغاية في معرفة الصحابة لابن الأثير، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، دار الشعب، بدون تاريخ.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبلي البجاوي، دار النهضة مصر، بدون تاريخ.
- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م.

(1) ينظر: القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف لحازم كريم عباس ص 146.

(2) - التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التَّذوق الفني للدكتور/ شاكر عبد الحميد ص 299 سلسلة عالم المعرفة، العدد 267 يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

(3) - ينظر: بحث في علم الجمال لجان برتلمي ص 317 ترجمة الدكتور أنور عبد العزيز، مراجعة الدكتور نظمي لوقا، دار نهضة مصر، مصر، القاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، يوليو 1970م.

(4) المصدر السابق ص 318.

(5) ينظر: القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف لحازم كريم عباس ص 147

- بحث في علم الجمال لجان برتليبي، ترجمة الدكتور أنور عبد العزيز، مراجعة الدكتور نظمي لوقا، دار نهضة مصر، مصر، القاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين الطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، يولييه 1970م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الثالثة، 1416هـ - 1996م.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2007م.
- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الرابعة، 1429هـ - 2008م.
- التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني للدكتور/ شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 267 يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.
- التكرار في الحديث النبوي أ.د. أميمة بدر الدين منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد 26 العدد الأول والثاني، 2010م.
- التكرير بين المثير والتأثير د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ- 1986م.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.
- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية د. عز الدين علي السيد، دار اقرأ، الطبعة الأولى، 1404هـ- 1984م.
- الحديث النبوي وعلم النفس د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1421هـ- 2000م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ- 1992م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت.
- دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق الدكتور/ عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.
- الدوافع النفسية د. مصطفى فتحي، مكتبة مصر، 1960م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1983م.
- شرح النووي لصحيح مسلم، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.
- صحيح البخاري (مع فتح الباري)، رَقْم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1986م.
- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة الحلبي، 1374هـ- 1954م.
- الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، 1406هـ- 1986م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي، سلسلة الذخائر العدد 187 تقديم د. إبراهيم الخولي، مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية 1332هـ- 1914م.
- العبر في خَبَر مَنْ غَبَر للذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، 1386هـ- 1966م، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م.

- القيم الجمالية في الحديث النبوي الشريف لحازم كريم عباس، أطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية الآداب بجامعة القادسية الأستاذ الدكتور شاكر هادي حمود التميمي، 1432هـ-2012م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي د/ جنان مهدي العقيدي، مجلة العميد، العدد الخاص 2، السنة الثانية، 1434هـ-2013م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى، طبعة دار الفكر، بيروت، 1412 هـ - 1992م.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثالثة، 1426 هـ - 2005 م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.
- مفاتيح الغيب للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د.محمد عبد الله دراز، إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر، 1405هـ-1985م.



طرائق تدريس اللغة العربية، إستراتيجية قبّعات التفكير الست

قراءة في قصيدة "كن بلسماً" للشاعر "إيليا أبو ماضي" أنموذجاً

Methods of teaching the Arabic language. The strategy of the six hats reading in the poem " Be a balm" by the poet " Elia Abu Madi" as a model.

د. ربیعة محمّد / جامعة حلب (سورية) Dr.Rabiah Mohmed/University of Aleppo(Syria)

Abstract:

Modern education in the current age is concerned with active education strategies. This education transfers the educational process from the traditional education to the active and effective education through strategies that make the learner more effective in the educational process after he mostly influenced in the traditional way.

This research provides an applied study of ready a poem the six hats strategies which organize thinking of learners and progress in the thinking process from the thinking about the existing things to the innovative thinking that makes the learner interact with the poem and participate in its production.

Every that is specialized in a type of thinking and Focuses on an aspect of the poem's subject. The white hat centers the facts and reveals their significances, while the red hat expresses Feeling and the black hat focuses on the negative of the poem and the yellow hat studies its pros, and the green hat comes to participate in reproducing the poem. After that the blue hat is for organizing the previous thinking processes and makes decisions about the reading text to be transferred from the existence in the Diwan pages to establish the values of love that it invited to.

Key words; Teaching methods, six hats, learners, teaching skills, Strategy, Creative thinking.

الملخص:

اهتمت التربيّة الحديثة في العصر الزاهن باستراتيجيات التعلّم النشط، وهو تعلّم ينقل العملية التعلّميّة من طور التعلّم التقليديّ إلى التعلّم الفعّال النشط بوساطة استراتيجيات تجعل المتعلّم فاعلاً في العملية التعلّميّة بعدما كان منفعلًا في الغالب في الطّريقة التقليديّة.

يقدم هذا البحث دراسةً تطبيقيةً لقراءة قصيدة بوساطة استراتيجية القبعات الست التي تنظم التفكير لدى المتعلّمين، وتتدرج في عمليات التفكير من التفكير في الموجودات إلى التفكير الابتكاريّ الذي يجعل المتعلّم متفاعلاً مع القصيدة، ومشاركاً في إنتاجها. وتختص كلّ قبة بنوعٍ من أنواع التفكير مركزة على جانبٍ من جوانب الموضوع، فترصد القبة البيضاء الحقائق، وتكشف عن دلالتها. وتعبّر القبة الحمراء عن المشاعر. وتركّز القبة السوداء على سلبيات القصيدة. وتدرس القبة الصفراء إيجابياتها. وتأتي القبة الخضراء لتشارك في إعادة إنتاج القصيدة. وتنظّم القبة الزرقاء عمليات التفكير السابقة، وتصدر القرارات حيال النص المقروء سعياً إلى نقله من حيز الوجود بالقوة في صفحات الديوان إلى الوجود بالفعل في الواقع القائم.

الكلمات المفتاحية: طرائق التدريس، القبعات الست، المتعلمين، المهارات التعليمية، استراتيجية، التفكير الإبداعي.

التمهيد:

احتلت دراسة استراتيجيات تعلّم اللّغة العربيّة منزلةً بارزةً في علم اللّغة، وفي الدّراسات التّربويّة الحديثة، إذ راحت تلك الدّراسات تبحث في طرائق تدريس اللّغة العربيّة وتقنيات التّعليم من أجل تنظيم العملية التّربويّة، وتقديم المادّة التّعليميّة للمتعلّمين بسهولة وبساطة، الأمر الذي يحفزهم على التّعلّم الذاتيّ للمتعة المتولّدة عن تلقّي المعلومات باستراتيجيات تعليميّة شيقة.

وتكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن أثر استراتيجيات قبعات التفكير الست في خلق تلقّي جماليّ للتصّ الشعريّ الإبداعيّ. ودافعي إلى دراسة قصيدة بوساطة استراتيجيات القبعات الست هو نقل هذه الاستراتيجيات من الحقل النظريّ إلى الحقل الإجرائيّ التّطبيقيّ.

تتيح هذه الاستراتيجية الحوار، والتفاعل بين المعلم، والمتعلّم، والمادّة التّعليميّة؛ مما يخلق جوّاً تفاعليّاً في الحصّة الدراسية أو المحاضرة، ينقل الموقف التّعليمي من سلطة القطب الواحد/المعلم إلى أقطاب عدة؛ أي الانتقال بالطلبة من متلقّين سلبيّين في الموقف التّعليمي إلى متلقّين فاعلين في إنتاج المعرفة، فيشاركون في خلق الموقف التّعليمي، ليغدو دور المعلم في هذه الحال توجيهيّاً وتحفيزيّاً في العملية التّعليميّة.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أثر استراتيجيات القبعات الست في تنمية مهارات التفكير الإبداعيّ، فضلاً عن تنمية مهارات اتخاذ القرار لدى المتعلّمين.

يتبع البحث المنهج التحليليّ الوصفيّ، وذلك من خلال تحديد الظاهرة المدروسة، وتفسيرها مستعيناً بالمنهجية البنيويّة التكوينيّة التي تدرس النص من داخله، وتحيله على الطّروف الاجتماعيّة التي أنتجته، رابطاً القصيدة برؤية العالم، والبنى الذهنية التي أنتجتها.

ويتوزع هذا البحث على مدخلٍ نظريٍّ يكون الحديث فيه عن ثلاثية العملية التعليمية، وأبرز استراتيجيات التدريس ولاسيما استراتيجية قبّعات التفكير السّت. وقسمٍ تطبيقيٍّ يكون فيه دراسة تطبيقية لنصٍّ شعريٍّ وفق استراتيجية قبّعات السّت.

أولاً: إيليا أبو ماضي (1889-1957م):

ولد الشّاعر إيليا أبو ماضي في لبنان عام 1889م. وهو شاعرٌ مهجريٌّ رومانتيكيٌّ. هاجر إلى أمريكا الشماليّة عام 1912م. وهو من مؤسّسي الرّابطة القلميّة عام 1920م¹. اتسم نتاجه بلغةٍ رومانتيكيّةٍ سهلةٍ، وبزعة إنسانيّة واضحة عكست إيمانه بتساوي النّاس في الواقع مثل تساويهم في نظر الطّبيعة التي لا تفرّق بين أمير، ووضع². من أعماله: الخمائل، الجداول، وغيرها. توفي عام 1957م³.

ثانياً: المدونة:

قال الشّاعر إيليا أبو ماضي:

كُنْ بلسماً إن صارَ دهرُك أرقماً

وحلاوةً إن صارَ غيرُك علقماً

إنّ الحياة حبثك كلّ كنوزها

لا تبخلنّ على الحياة ببعض ما...

أحسِن وإن لم تُجَزَ حتّى بالتّنا

أيّ الجزاء الغيثُ يبغي إن هَمَى؟

1 - ينظر: الناعوري، عيسى: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1977م، ص362، وما بعدها.

2 - ينظر: صفوة، نجدة فتحي: إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، مطبعة الحكومة، بغداد، ط1، 1945م، ص56 وما بعدها.

3 - ينظر: الناعوري، عيسى: أدب المهجر، ص371.

مَنْ ذَا يَكْفِي زَهْرَةَ فَوَاحَةٍ؟

أَوْ مَنْ يُثِيبُ الْبَلْبِلَ الْمُتَرَبِّمَا؟

عَدَّ الْكِرَامَ الْمَجْسُونِينَ وَقَسَاهُمْ

بِهِمَا تَجِدُ هَذِينَ مِنْهُمْ أَكْرَمًا

يَا صَاحِ خُذْ عِلْمَ الْمَحَبَّةِ عَنْهُمَا

إِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ عِلْمًا قِيَمًا

لَوْ لَمْ تَفُحْ هَذَا، وَهَذَا مَا شَدَا

عَاشَتْ مُذَمَّمَةٌ وَعَاشَ مُذَمَّمًا

فَاعْمَلْ لِإِسْعَادِ السَّوَى وَهِنَائِهِمْ

إِنْ شِئْتَ تَسْعُدْ فِي الْحَيَاةِ وَتَنْعَمَا

أَيَقِظْ شِعُورَكَ بِالْمَحَبَّةِ إِنْ غَفَا

لَوْلَا الشُّعُورُ: النَّاسُ كَانُوا كَالدُّمَى

أَحِبِّ فَيَغْدُو الْكَوْحُ كَوْنًا نَيِّرًا

وابغضَ فَيَمسي الكونُ سِجناً مُظليماً

ما الكأسُ لولا الخمرُ غيرُ زُجاجةٍ

والمرءُ لولا الحبُّ إلا أعظماً

كِرِهَ الدُّجى فاسُودَ إلا شُهْبُهُ

بقيتُ لتضحكُ منه كيفَ تَجَهَّما

لو تعشقُ البیداءُ أصبحَ رمُها

زهراً وصارَ سرائرها الخداعُ ما

لو لم يكنُ في الأرضِ إلا مُبغِضٌ

لتبَرَّمتُ بوجوده وتبَرَّما

لاخَ الجمالُ لذي نُهى فأحبَّه

وراهُ ذو جهلٍ فظنَّ ورَجَّما

لا تطلبَنَّ محبَّةً من جاهلٍ

المرءُ ليسَ يُحبُّ حتى يفهما

وارفُقُ بأبناء الغباء كأثمهم

مرضى، فإن الجهل شيء كالعَمى

وَألهُ بوُدِّ الروضِ عن أشواكِهِ

وانسَ العقاربَ إن رأيتَ الأنجما

يَا مَنْ أتانا بالسَّلامِ مُبَشِّراً

هَشَّ الجِمْىَ لَمَّا دخلتَ إلى الجِمْى

وصَفُّوكَ بالتقوى وقالوا: جهيدٌ،

عَلامَةٌ، وقد وجدْتُكَ مِثْلَما

لفظُ أرقُّ من النَّسيمِ إذا سَرى

سَجَرًا، وحلو كالغرى إن هَوَّما

وإذا نطقتَ ففي الجوارحِ نشوَةٌ

هي نشوَةٌ الروحِ ارتوتُ بعدَ الظَّما

وإذا كتبتَ ففي الطُّروسِ حدائقُ

وشّى حواشيمها اليراعُ ونمّما

وإذا وقفت على المنابرِ أوشكتُ

أخشاؤها للزهو أن تتكلّما

إن كنت قد أخطأك سربال الغنى

عاش ابنُ مريمَ ليس يملكُ درهمًا

وأحبّ حتّى من أحبّ هلاكه

وأعان حتّى من أساء وأجرما

نامَ الرعاةُ عن الخرافِ ولم تنم

فإليك نشكو الهاجعين النؤما

عبدوا الإله لمغنم يرجونه

وعبدت ربك لست تطلب مغنما

كم روعوا بجهنم أرواحنا

فتألمت من قبل أن تتألماً!

زعموا الإله أعدّها لعذابنا

حاشا وربك رحمةً أن يظلمنا

ما كان من أمر الوري أن يرحموا

أعداءهم إلا أرق وأرحمنا

ليست جهنم غير فكرة تاجرٍ

الله لم يخلق لنا إلا السما¹

ثالثاً: المدخل:

يتناول الحديث عن مقومات العملية التعليمية. ويتحدث عن استراتيجيات التعليم عمومًا، واستراتيجية قبعات التفكير الست خصوصًا.

أ. التعليم والعملية التعليمية:

قبل البدء في تعريف مفهوم التعليم لابد من توضيح مفهوم أشمل هو العملية التعليمية التي تُعنى بالمبادئ العامة التي يقوم عليها التعليم من فلسفة تعليمية، والمنهج، واستراتيجيات التدريس، وتقنيات تعليمية، وغيرها. أما التعليم فهو إدارة الموقف التعليمي في الحصة الدراسية بمهارة عالية. ويقوم على مقومات ثلاث: المعلم، والمتعلم، والمادة المدروسة.

أ. المعلم:

¹. أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، جمع الشعر وقدم له: د. عبد الكريم الأشتر، مكتبة الكويت الوطنية، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط 1، 2008م، ص730 وما بعدها.

لابد للمعلم من أن يتصف بصفات عدة ليكون ناجحًا. منها حبّ الحرفة. والتمكّن من التخصّص، والدافعية نحو العمل. وتحمل المسؤولية. والمهارة في التوظيف الإجرائي لاستراتيجيات التدريس المناسبة لكلّ حصة دراسية. والتفاعل مع المتعلمين. وتنمية مهاراتهم بوساطة وضع خطط إثرائية للموهوبين، وتحفيزهم على إنتاج المعرفة. وتدارك الثغرات بوضع خطط علاجية لتطوير مهارات المتعلمين المقصرين. ويجب أن يكون قادرًا على العمل التعاوني في فريق؛ لتحقيق نواتج التعلّم المرجوة من كلّ موقفٍ تعليميٍّ خصوصًا. وأهداف العملية التعليمية عمومًا.

ب. المتعلّم:

المتعلّم هو المستهدَف من العملية التعليمية؛ لذلك لابد من التركيز على صفاته الذهنية والانفعالية، وعلى مدى دافعيته، واستعداده لتلقّي المادة المعرفية مع عدم إغفال الفروق الفردية بين المتعلمين.

ج. المادة المدروسة:

المادة المدروسة مُقوّم رئيسٌ تقوم عليه العملية التعليمية، وهي في هذا البحث مادّة لغويّة. فالمتعلّم/المتلقّي أمام نصّ أدبيّ مكوّن من مستوياتٍ عدة؛ صوتيّة، وتركيبية، ودلالية، حاملة لرؤية العالم التي يريد الشّاعر إيصالها إلى المتلقّي، وهو في الحصة الدراسية أو المحاضرة جمهور المتعلمين. وهدف البحث تقديم أنموذج تطبيقيّ لتوظيف استراتيجية قبعات التفكير الست في خلق موقف تعليمي يجعل المتعلّم مشاركًا في إنتاج المعرفة بوساطة التفاعل الجماليّ مع نصّ شعريّ رومانتيكيّ. فالمعرفة ليست اختزانًا للمعلومات، وإنما هي تكوين طرائق وأساليب تحفّز المتعلّم على التعلّم وتجعل المعلم صانعًا لتقدمه¹.

طرائق التدريس، واستراتيجيات التعلّم النشط:

تتعدّد طرائق التدريس، واستراتيجيات التعلّم النشط، وتنوّع؛ وذلك لتنمية الحلّ الإبداعيّ للمشكلات مثل استراتيجية التعلّم التعاوني، واستراتيجية العصف الذهنيّ، وفنّيّة (إدوارد دي بونو)* Edward de

Bono لقبعات التفكير الست. وكذلك نظريّة الحلّ الإبداعيّ للمشكلات (نظرية ترين)، وتشارك معظم استراتيجيات التعلّم الفعّال ولاسيما القبعات الست، ونظرية ترين في الخطوات العامّة لحلّ المشكلات، وهي تحديد المشكلة. والاختيار. والحلّ. والتّقييم².

استراتيجية القبعات الست:

¹ - يُنظر: جبّاري، سامية: اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، أيلول 2012م، م3، ص103.

* إدوارد دي بونو مواليد 1933م، طبيب وعالم نفس بريطانيّ من أصل مالطي، وهو صاحب مصطلح التفكير الإبداعيّ، وهو من أبرز علماء التفكير الذين يدافعون عن تعليم التفكير بالأسلوب المباشر، وساعده عمله في الطبّ على التعمق في أبحاث الدماغ، والتفكير. (ينظر خطاب، ناصر جمال، والحديدي، منى: تعليم التفكير للطلبة ذوي صعوبات التعلّم، دار البازوردي، عمان، 2008. ص42).

² - ينظر: أحمد، د. أبو السعود محمد و العطار، وآخرون: تفكير القبعات الست في العلوم، ديونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، ص17.

هي إحدى استراتيجيات التعلّم النشط و"إحدى طرائق تعليم التفكير، مكوّنة من ست قبّعات ملوّنة، حيث ترمز كل قبعة لأحد أنماط التفكير"¹.

تُطبّق هذه الاستراتيجية في التعلّم التعاوني، والتعلّم الذاتي أيضاً. ففي التعلّم التعاوني توزّع كل قبعة على مجموعة محدّدة من المتعلّمين؛ لأنّ كل قبعة تختصّ بمهمة محددة أو بعبارة أدق بنوع محدّد من أنواع التفكير. ويمكن أيضاً أن تطبّق على ستة متعلّمين يؤدّي كل واحد منهم نوعاً من أنواع التفكير وفق استراتيجية القبّعات الست. وتطبق هذه الاستراتيجية في التعلّم الذاتي على متعلّم واحد يقوم بتقمّصٍ تتابعيٍّ لكل نوعٍ من التفكير المخصّص لكل قبعة على حدة. فهي استراتيجية تنظّم التفكير لدى المتعلّمين، وتجعل الحوار بينهم منظّماً، ومحدّد الأهداف، ممّا يبعد الموقف التعليمي عن العشوائية، وفوضى الأفكار التي قد تثيرها مناقشة موضوع الدرس، أو المحاضرة. وتبيّن الصورة الآتية ألوان هذه القبّعات ودورها في التفكير الإبداعي.



1. القبعة البيضاء: معلومات، وحقائق واقعية، وموجودات.

هي "التفكير بالمعلومات، والحقائق، والأرقام، والإحصاء، والتساؤل، والسؤال"² فتشتمل هذه القبعة على الحقائق، والمعرفة سواء أكانت معرفة يمتلكها المتعلّم، وتنتمي إلى حيز خبراته السابقة، أو المعرفة الجديدة التي يراد من المادة الأدبية أو العلمية أن توصلها إلى المتعلّم لتكسبه خبراتٍ جديدةً. فمن أهم الأسئلة التي تثيرها هذه القبعة ما هي المعلومات الموجودة؟! والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل جمع الحقائق، والمعلومات ورصدها هو الهدف الوحيد من هذه القبعة؟! إنّ رصد المعلومات والحقائق الحسّية المرتبطة بالموضوع المطروح، أو التي تشتمل عليها القصيدة مرتبطٌ بغايات ذهنيّة تحيل على رؤية العالم في القصيدة

¹ - ججاج، ريم غسان: أثر طريقة القبّعات الست في تنمية مهارات التفكير الإبداعي، واتخاذ القرار وتحصيل الدراسات الاجتماعية (دراسة شبه تجريبية لدى تلامذة الصف الثالث الأساسي في مدينة اللاذقية)، رسالة ماجستير غير مطبوعة، بإشراف: د. روعة عارف جناد، جامعة تشرين، كلية التربية، الجمهورية العربية السورية، 2016م، ص30.

² - دوبونو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبّعات الست، تر: عبداللطيف الخياط، ط2، دار الإعلام، الأردن، عمان، 2011م، ص17.

المدروسة، والتي تؤكد الغاية منها؛ بمعنى أن "هذا الطراز من التفكير ليس هو المعلومات وحدها، بل يدخل فيه تحديد الحاجة إلى المعلومات"¹.

تطبّق القبعة البيضاء في قراءة قصيدة (كن بلسماً) بوساطة السؤال الآتي: ما هي الحقائق التي اشتملت عليها القصيدة؟!

يسجل أفراد المجموعة الحقائق، والموجودات التي تناولها الشاعر في القصيدة؛ ومن ثم تقيّم المجموعة تلك الحقائق، فتستبعد التي لا تنتمي إلى النصّ، وتثبت الحقائق، والموجودات التي انبنى عليها النص الشعري، كاشفة لجمهور المتعلمين عن الرؤية الشعرية للعالم التي تحيل عليها تلك الحقائق. فمن إيجابيات هذه الاستراتيجية أنّها تجعل أفراد المجموعة من المتعلمين يقيمون أداءهم ذاتياً. فتساعد القبعة البيضاء على الكشف، والتقييم أيضاً؛ لأنّها توجه المتعلمين إلى استبعاد الحقائق غير المجربة والإشكالية التي تتعدد إحياءاتها، وتبقي على الحقائق المدركة حسياً والمجربة. فالمتعلم في هذا الشكل من التفكير هو أمام حقائق واضحة ملموسة مستقاة من الطبيعة ولها دلالات تحيل على الواقع الاجتماعي القائم. فالحقائق والموجودات التي جاءت في القصيدة تشكّل دائرة دلالية رئيسة فيها، وهي دائرتا الطبيعة والإنسان. فالمفردات التي تنتمي إلى دائرة الطبيعة هي (بلسماً، أرقما، حلاوة، علقما، كنوزها، الغيث، زهرة، البلب، المترنما، كالدمى، الكوخ، كوتاً، نيزاً، سجنًا، مظلمًا، الكأس، الخمر، زجاجة، الدجى، فاسود، شهبه، تضحك، تجهما، البيداء، رملها، زهراً، سراهما، الأرض، الجمال، بورد، الروض، أشواكه، العقارب، الأنجما، الحمى، النسيم، حلو، كتبت، الطروس، حدائق، وثى، البراع، نمنا، المنابر، أخشابها، تتكلما، سربال، درهما، الخراف، لمغنم، السّما).

تلي هذه الدائرة دائرة الإنسان. وتضمّ المفردات الآتية: (الكرام، المحسنين، صاح، النَّاس، المرء، أعظما، ذو جهل، جاهل، المرء، أبناء، مرضى، جهنم، علامة، لفظ، نطق، الجوارح، ابن، مريم، الرعاة، الهاجعين، النوما، الورى، تاجر). فحشد الشاعر تلك الموجودات الحسية ليعبّر بوساطتها بأسلوب تخيلي عن حاجات إنسانية ضرورية لبناء مجتمع سوي. وأبرز تلك الحاجات الحاجة إلى الحبّ. ودلّل على ذلك بصور مستقاة من الطبيعة. فأكد الشاعر أهمية اتسام النَّاس بالمحبة؛ لأنّ الكون في محبة، وتناغم ولا يطلب جزاءً لعطائه المتدفق. لذلك يطلب من الإنسان أن يتخلص من صفاته السلبية/البخل فيتناغم مع الكون، ويتحد مع كائناته، ليغدو مثلها في عطاء دائم. فعطاء الكائنات في رؤية العالم في هذه القصيدة محبة. وهذه المحبة خارقة؛ لأنّها قادرة على إخصاب البيداء القاحلة، وتحويلها إلى روضة تزهو بزهور تفوح عطرًا ومحبة. فاتكأ الشاعر على الحقائق الحسية، والموجودات في الطبيعة للتعبير عن رؤيته الشعرية للعالم، وهي رؤية تدعو إلى الإنسانية. فالعالم الإنساني في الوعي الممكن الذي سعى الشاعر إلى جعله وعياً فعلياً في قصيدته هذه جزء من العالم الكوني القائم على المحبة والعطاء الدائم. ومن المفترض أن يكون العالم الإنساني انعكاساً للعالم الكوني الرحب؛ بغية التخلص من مسببات القهر الاجتماعي. وعليه لوجود للأحقاد والصراعات في العالم المثالي الذي يخيله الشاعر للمتلقي/المتعلم. فتختصّ القبعة البيضاء "بإيجاد المعلومات اللازمة لحلّ المشكلة"²، فالمشكلة في القصيدة هي غياب قيم المحبة، والتسامي الإنساني، فاتكأ الشاعر على الطبيعة في إيجاد الحلّ الذي تمثّل في الدعوة إلى الإنسانية. فالمتعلم رصد تلك الحقائق. وحدّد المشكلة التي استدعت حشد تلك الموجودات. ومن ثم بين

1 - المرجع السابق، ص 17.

2 - أحمد، د. أبو السعود محمد و العطار، وآخرون: تفكير القبعات الست في العلوم، ص 17.

الحاجة الإنسانية التي استحضرت الشاعر تلك الموجودات ليعبر عنها، فالحاجة إلى الحب هي حاجة أولية، وإشباعها ضروري لإعداد إنسان سوي بحسب هرم ماسلو في تصنيف الحاجات¹.

2. القبعة الحمراء: المشاعر والأحاسيس تجاه ما هو معروض.

الإنسان بطبعه كائنٌ معرفيٌّ انفعاليٌّ، فالمشاعر، والأحاسيس جزءٌ من تكوينه النفسي؛ لذلك تركّز القبعة الحمراء على "التعبير عن الانفعالات، والمشاعر، والحدس، والتّخمين"². وتنمي هذه القبعة الحدس ومهارات استشراف المستقبل لدى المتعلّم، وتحقّزه على اكتشاف الوعي الممكن الذي يسعى الشاعر إلى بلورته في القصيدة. كما تعزز لديه القدرة على التعبير عن شعوره حيال النّصّ المقروء. فالتفكير العاطفي يتيح للمتعلّم استكشاف مشاعره ومشاعر الآخرين، ويتضمن نوعين من المشاعر: النوع الأول: مشاعر مألوفة مثل الحب، والكراهة، والحزن. والنوع الثاني: الأحكام المعقدة التي تتدخل في الأحاسيس مثل الحدس الداخلي، والذوق، وتذوق الجمال. والأسئلة التي تندرج ضمنها عمومًا: ما شعورك؟! هل تحب/تكره؟! ماذا تفضّل؟!³.

آلية تطبيق هذه القبعة على القصيدة: ما هي العاطفة التي تجلّت في القصيدة؟ وما هو شعورك تجاه القصيدة؟!

تضع قصيدة (كن بلسمًا) المتعلّم أمام تجربة إنسانية عامّة، فهي تدعو إلى المحبة؛ لتسود بين أفراد المجتمع كافة. فهي تسعى على مستوى الوعي الممكن إلى جعل الحياة الاجتماعية قائمة على المحبة، والعطاء. وجعل الشاعر الطبيعة حاملًا لرؤية العالم في القصيدة حينما جاء بصور من الطبيعة أكّد بوساطتها أن الطبيعة في حب وعطاء، وتجلّى ذلك في قوله:

مَنْ ذَا يَكافئُ زهرةً فواحةً؟

أَوْ مَنْ يُثيبُ البلبلَ المُترنّمًا؟

أحِبُّ فيغدو الكوخُ كونا نيرًا

وابغضُ فَيُسمي الكونُ سجنًا مظلمًا

ما الكأسُ لولا الخمرُ غير زجاجةٍ

¹ - يُنظر: عبد الله، د. محمد قاسم، الصحة النفسية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1997م، ص33.

² - دويونو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبقات الست، ص18.

³ - يُنظر: ججاج، ريم غسان: أثر طريقة القبعات الست في تنمية مهارات التفكير الإبداعي، واتخاذ القرار وتحصيل الدراسات الاجتماعية (دراسة شبه تجريبية لدى تلامذة الصف الثالث الأساسي في مدينة اللاذقية)، ص32.

والمرء لولا الحبُّ إلا أعظمًا

كِرِه الدُّجى فاسودَّ إلا شُهْبُهُ

بقيت لتضحك منه كيف تجهمًا¹

فيعبّر المتعلّم عن العاطفة التي تجلّت في القصيدة، وعن المشاعر التي أحسّ بها وهو يتلقّى النصّ الشعري. فالإنسان بفطرته عاطفيٌّ محبٌّ، ويسعى دائمًا إلى واقع حلّمي منشود خالٍ من الأضغان والصراعات بين فئات المجتمع. وسعى الشاعر في قصيدته (كن بلسمًا) إلى غرس قيم التّسامح، والمحبة، والعدالة الاجتماعية بوساطة الدّعوة إلى الإنسانيّة. وتجلّى ذلك منذ عنوان النّصّ الذي كرّره الشاعر في مسهل القصيدة بقوله: (كن بلسمًا)؛ أي كن دواءً تُستطب به كلّ الجراح، والألام. وإذا كان كلّ فردٍ من أفراد المجتمع بلسمًا فإن مظاهر الاستلاب الاجتماعي تتبدّد وتتلاشى، وتغدو الحياة الاجتماعية قائمة على المحبة بين أفراد الجماعة. فبعد أن تكشف المجموعة المختصة بالقبعة الحمراء عن العاطفة في النّصّ الشعريّ، تقيم تلك العاطفة بوساطة إعلانها عن مشاعر أفرادها حيال النّصّ المقروء، أمام المتعلّمين كافة، فيتعاطف المتعلّم مع العاطفة في النّصّ؛ لأنها عاطفة يراد منها سعادة الإنسان. ويتفق مع رؤية الشاعر في أنّ الحبّ هو صانع جمال الحياة، والألفة بين الناس. ومن ثم يدعم تلك الرؤية بشاهد من التّراث، أو الأدب، أو الدين؛ ليدلّل بوساطته على أهمية المحبة في الحياة الاجتماعيّة. فقد يستحضر المتعلّم مثلًا قول الشّاعر المتنبي الذي عبّر فيه عن أهمية العشق، والمحبة في إعداد إنسان سويٍّ ومتناغم مع الحياة:

وعذلتُ أهلَ العِشْقِ حتّى ذُقْتُهُ

فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ²

وبذلك يؤكّد المتلقّي/ المتعلّم أنّ الشّعراء سواء في الشّعر العربيّ القديم أم الحديث دعوا إلى المحبة؛ لما للمحبة من انعكاسات إيجابية على الواقع الاجتماعيّ القائم. كما سعوا إلى جعلها وعيًا ممكنًا، وواقعًا حلّميًا منشودًا قائمًا على المحبة، وإرساء قيم العدالة الاجتماعيّة، ومساعدة النّاس، والعمل على إسعادهم من دون مقابل، مثل البلبل الذي يشدو؛ ليطرب النّاس، ويبعث المسرة في النّفوس من دون جزاء.

3. القبعة السوداء: الأشياء السّلبية (المشاكل، التّشاؤم، المصاعب).

¹ - أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 730-731.

² - المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 28.

هي التي تعبر عن "الفكرة التي لا تتوافق مع الحقائق أو مع النظام أو مع الخطة أو مع الثقافة أو مع الخبرة المتوفرة"¹ فتكشف هذه القبعة عن الرؤى التي لا تتناسب مع القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعبر عنه الشاعر، فتبين الهفوات في النص المقروء، فهي نقد للنص المقروء يركّز على سلبيات النصّ، ويكشف عن ثغراته، ويعترض على بعض الأفكار. ويُنَبِّئ هذا النوع من التفكير مهارات التقدير البناء؛ لأنه يكشف عن الهفوات فيحد من تكرارها. ويوجّه جمهور المتعلمين إلى التفكير الناقد البناء الذي يجب أن يسود المجتمع؛ ليعيش أفرادها الواقع الحلبي المنشود.

كيفية تطبيقها: ما هي الأشياء السلبية التي تجلّت في القصيدة؟

الشاعر رومانتيكيّ. وقد أعلت الرومانتيكية من شأن الفرديّة، ونزعت إلى الإنسانيّة، فعبرت عن الإنسان، ولاسيما الأنموذج المعذب الذي يكابد عذابات واقع قائم على التفاوت الطبقي الذي قسّم المجتمع إلى فئات غير متساوية في الحقوق. فجاءت الرومانتيكية لتقدّم رؤيةً جديدةً للعالم تدعو فيها إلى الإخاء، والعدالة الاجتماعيّة، ومن المفترض أنّ هذه الدعوة يجب ألاّ تتناقض مع قيم الدين الحنيف، وما جاء به من معرفة عن عالم الآخرة/عالم ما بعد الموت. فالشاعر ينفي وجود جهنّم، وفي هذا خرق للمحظورات اجتماعيًّا، فمقاربة فكر ديني أو حتى ثقافي موروث يوقع الشاعر في التابوهات؛ لأنّه قد يثير غضب فئات اجتماعيّة معتنقة لتلك المعتقدات. والقصيدة حين تطبع تخرج من وعي مبدعها لتلج في الوعي الجمعي للجماعة الاجتماعيّة، فالخطاب الشعريّ موجّه إلى أفراد المجتمع كافة وليس إلى فئة اجتماعية محددة بإقرار الشاعر ذاته حينما قال:

كُنْ بِلِسْمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمًا

وحلاوةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عُلْمًا²

وهذه الدعوة إنسانيّة عامة، لكنّ قوله في الأبيات التي اختتم بها القصيدة والتي قال فيها:

كَمْ رَوْعُوا بِجَهَنَّمَ أَرْوَاحَنَا

فَتَأَلَّمْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَأَلَّمَ!

زَعُمُوا إِلَهَ أَعْدَاهَا لِعَذَابِنَا

¹ - دوبيونو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبقات الست، ص18.

² - أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، ص730.

حاشا وربُّك رحمةٌ أن يَظْلِمَا

ما كان مَنْ أمرَ الوري أن يرحمُوا

أعداءهم إلا أرقَّ وأرحمًا

ليست جهنمٌ غير فكرة تاجرٍ

الله لم يخلق لنا إلا السَّما¹

يتنافى مع قيم السلام الاجتماعي التي سعى الشاعر نفسه إلى إرسائها في متن النَّصِّ؛ لأن تنكر وجود حقيقة يؤمن بوجودها أبناء الديانة الإسلامية، وكثير من أبناء الديانات الأخرى السماوية، والوضعية أيضًا، بإقراره بأنَّ جهنمَ فكرةٌ تاجر خرقٌ للتابوهات الاجتماعية، وتثير صراعات تسعى المجتمعات الحديثة المتحضرة إلى وأدها في مقابل إرساء قيم السلام المجتمعي والإنساني. فالتعلّم يكشف عن تلك السلبيات، وينقدها ويقدم رؤيته لها. فتكسب القبعة السوداء المتعلّم مهارات التفكير الناقد الذي يكتشف الثغرات ويقىمها.

4. القبعة الصفراء: الأشياء الإيجابية (فوائد، تفاعل).

تُظهر هذه القبعة "الجوانب الإيجابية"² فهي في النص الأدبي تسعى إلى الكشف عن الفوائد الحاضرة أو الغائبة في القصيدة. ومن ثم تقيس مدى إمكانية تحقّق تلك الرؤى الإيجابية للعالم في الواقع القائم.

آلية تطبيقها: ما هي الأشياء الإيجابية في القصيدة؟!

انبنت قصيدة (كن بلسمًا) على إرساء قيم إنسانية سامية، فقد دعت المتلقّي إلى التسامي، والتكليف مع الجماعة مهما كان الواقع القائم قاسيًا. فالشاعر ينطلق من مخرجات الواقع المعيش، ويجسد وعيًا ممكنًا لواقعٍ مثاليٍّ منشودٍ. ويؤكد هذا التفكير الإيجابي بصورٍ من الطبيعة التي تشارك في صوغ وعي فعلي للحياة الفطرية في الطبيعة رمز النقاء والصفاء والعطاء الدائم. فالطبيعة تقدّم كل مقومات الحياة للإنسان، فهي أم الإنسان تعطيه ولا تنتظر منه جزاءً؛ فيجعل الشاعر الطبيعة حاملًا لرؤاه الشعرية للواقع المنشود الذي ينبغي أن يسوده التسامح والإحسان، والكرم، والسعادة، والمحبة، يقول:

¹ - أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 732.

² - دوبرنو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبقات الست، ص 19.

كُنْ بِلِسْمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمًا

وحلاوةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلَقَمًا

إِنَّ الْحَيَاةَ حَبْتُكَ كُلَّ كَنُوزِهَا

لَا تَبْخُلَنَّ عَلَى الْحَيَاةِ بِبَعْضِ مَا...

أَحْسِنُ وَإِنْ لَمْ تُجَزَّ حَتَّى بَالِثِنَا

أَيَّ الْجَزَاءِ الْغَيْثُ يَبْغِي إِنْ هَمَى؟

يَا صَاحِ حُذِّ عِلْمَ الْمُحِبَّةِ عَنْهُمَا

إِنِّي وَجَدْتُ الْجُبَّ عَلْمًا قَيِّمَا

لَوْ لَمْ تَفُحْ هَذَا وَهَذَا مَا شَدَا

عَاشَتْ مُذَمَّمَةٌ وَعَاشَ مُذَمَّمًا

فَاعْمَلْ لِإِسْعَادِ السَّوَى وَهِنَائِهِمْ

إِنْ شِئْتَ تَسْعُدْ فِي الْحَيَاةِ وَتَنْعَمَا

أَيْقِظْ شَعُورَكَ بِالْمُحِبَّةِ إِنْ غَفَا

لولا الشُّعورُ: النَّاسُ كانوا كالدمى¹

فتفكير القبعة الصفراء يدفع المتعلم إلى رصد القيم الإيجابية في القصيدة، ومناقشة تلك القيم مع مجموعته، وتحديد مدى الفائدة التي تقدمها للمجتمع في حال تجسدت في الواقع المعيش. ومن ثم تعلن المجموعة للمجموعات الأخرى عن القيم الإيجابية التي انطوت عليها القصيدة، فالقيم التي دعا إليها الشاعر إيليا أبو ماضي في قصيدة (كن بلسماً) محصورة في قيم النبالة والتسامي، فهي تفكير إيجابي يدعو إلى الإنسان التي التحرر من سلبيات الواقع القائم، وتحفز على السعي لخلق واقع منشود متناغم مع الكون، والطبيعة في عطاءها، وتجدها، وظواهرها الجميلة المؤثرة.

5. القبعة الخضراء: الأفكار الجديدة (الإبداع).

هذه القبعة هي "قبعة الابتكار والإبداع. فاللون الأخضر يذكّر بالنبات، والكثرة، والتجدد. إن هذا التفكير يشمل الاقتراحات، والبدائل، واستثارة التفكير. إنها تتحرك من فكرة إلى فكرة² وتحفز على التفكير الإبداعي، وإضافة أفكار جديدة إلى النصّ المدرس، وتشجع المتعلم على أن يربط النصّ الشعريّ بمجالات الإبداع الأخرى مثل القصة، أو المسرحية، أو الرواية. كيفية تطبيقها: أضف إلى القصيدة بيتاً جديداً.

اسرد بإيجاز قصةً من خيالك أو قصة واقعية تتحدّث فيها عن فعل الخير مقابل الشر، وتتقاطع مع رؤية العالم في القصيدة المدروسة.

فتثير هذه الاستراتيجية خيال المتعلم فيسرد قصةً من خياله أو من واقعه المعيش، أو ينظم بيتاً شعرياً يضيفه إلى القصيدة فيأتي بالجديد. فينتج هذا النوع من التفكير مهارات الابتكار، والإبداع لدى المتعلم. فمثلاً قد يضيف أحد المتعلمين الموهوبين في المجموعة التي تخصصت في هذه الإستراتيجية البيت الآتي:

الحبُّ نبلٌ وارتقاء... غايةٌ

تسمو فمن يعشّق يحلّق في السّما!

وقد يتفق كل أفراد المجموعة على نظم البيتين الآتين:

واصنع جميلاً وانسَ صنَعَكَ في الورى

¹ - أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، ص730-731.

² - دوبرنو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبقات الست، ص19-20.

وامنح عطاءك للجميع تكراً

المكرومات يظلُّ يحمداً أهلها

والمبغض العلياء لا يصل السّما

فتعزز هذه القبعة التفكير الإبداع الفردي لدى المتعلّم الموهوب، وتنبني أيضاً مهارات الإبداع التفاعلي بين جماعة المتعلمين، فيصير الإبداع جماعياً، فيخرج النص الشعري من سلطة المبدع الواحد، ويجعل للنص مبدعين متعددين يشاركون في إنتاجه.

6. القبعة الزرقاء: هي القائد والمتحكم في عمليات التفكير الأخرى ومهمتها الرئيسة (التنظيم والقرارات).

تتحكم هذه القبعة في عمليات التفكير الأخرى، فتجدول الأعمال. وتنظّم القرارات التي صدرت عن تفكير كل قبعة. وتضع ملخصاً للقصيدة. أو خاتمة مناسبة لها.

فالقبعة الزرقاء تندسّق الموقف التعليمي. "إنّ القبعة الزرقاء تتساءل، وتبحث في نوع من التفكير اللازم حتى نصل إلى النتيجة، فهي تفكر في التفكير، إنها توجه كل الحديث، وتقسّمه، وتُعطي الفرصة المناسبة لجميع أنواع التفكير"¹. وتنبّه إلى أي ابتعاد عن الموضوع الذي يدور حوله البحث، والتفكير.

تطرح أسئلة متعددة. منها هل لدينا مشكلة محددة؟ هل يهمنّا حلّها؟ لماذا نريد حلّها؟. فهي تحدّد الهدف، ومن ثم تقرّر مدى اقتراب كل مجموعة من الهدف المحدد².

كيفية تطبيقها: ما يجب عليك فعله بناء على القصيدة؟

طرح قصيدة (كن بلسماً) مشكلة غياب قيم المحبة، والتسامح بين الناس، وأشارت إلى سلبيات ذلك الغياب على الواقع والمجتمع، وتجلّى ذلك في قوله: (إن صار دهرك أرقماً، إن صار غيرك علقماً، وابغض فيمسي الكون سجناً مظلماً، لولا الشّعورُ النَّاسُ كانوا كالدمى). ووضعت الحلّ لها اتكاء على الطبيعة، يقول:

يا صاحِ خُذْ عِلْمَ المحبّةِ عنهما

إني وجدتُ الحُبَّ علماً قيماً

1 - دويونو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبقات الست، ص20.

2 - ينظر: دويونو، إدوارد: تحسين التفكير بطريقة العبقات الست، ص65-66.

لو لم تُفُحْ هذي، وهذا ما شدًا

عاشت مُذَمَّمةً وعاش مُذَمَّما¹

هذا وقد قدمت القصيدة رؤية استشرافية للواقع المنشود. فالمجموعة المختصة بتفكير القبعة الزرقاء تقدّم تقريرًا حول عمل المجموعات الأخرى، ومن ثم تقدم موجزًا عن الموضوع المطروق بحيث تنقل رؤية العالم في القصيدة من الوعي الممكن إلى الوعي الفعلي؛ لتغدو واقعًا معيشًا. بحيث يوجّه كل متعلم سلوكه نحو قيم المحبة، والتسامح ويعمل على إرساء قيم العدالة الاجتماعية، والعطاء اللامحدود، وابتعد سلوكيًا عن كل ما يثير الضغائن بين أفراد المجتمع؛ ليكون المتلقّي/ المتعلّم في الموقف التعليمي، ومن ثم كلّ فردٍ من المجتمع بلسمًا بيدّ دياجير القهر، والظلم الاجتماعي.

خاتمة:

توصّل البحث بعد هذه الدّراسة التّطبيقية لاستراتيجية القبّعات السّت في قراءة نص شعري إلى التّنتائج الآتية:

* استراتيجية قبّعات التفكير الست تطوّر مهارات المتعلم المعرفية، والوجدانية، والسلوكية، والإبداعية.

* تركّز كلّ قبعة من القبّعات الست على شكلٍ مختلفٍ من أشكال التّفكير الإبداعي بغية تنظيم التّفكير لدى المتعلّم الفرد أو جمهور المتعلّمين. فهي تنظّم تفكير المتعلم في الموقف التعليمي وفي مواقف الحياة كافة؛ لأنها تعلمه الكيفية التي يفكر بوساطتها في مشكلات الحياة. والكيفية التي تساعد على اتخاذ القرارات الأنسب حيال تلك المشكلات.

* تنتقل بتفكير المتعلّم من التفكير الحسي/ القبعة البيضاء، إلى التفكير الانفعالي/ القبعة الحمراء، إلى التفكير الناقد/ القبعة السوداء، إلى التفكير الإيجابي/ القبعة الصفراء، وصولًا إلى التفكير الابتكاري/ القبعة الخضراء؛ ليتمكن من اتخاذ القرارات الأنسب للمشكلات التي تواجهه في المدرسة أو الجامعة أو الحياة الاجتماعية بوساطة القبعة الزرقاء.

المصادر والمراجع

1. أحمد، د. أبو السعود محمد و العطار، وآخرون: تفكير القبّعات السّت في العلوم، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م.
2. ججاج، ريم غسان: أثر طريقة القبّعات الست في تنمية مهارات التفكير الإبداعي، واتخاذ القرار وتحصيل الدراسات الاجتماعية (دراسة شبه تجريبية لدى تلامذة الصف الثالث الأساسي في مدينة اللاذقية)، رسالة ماجستير غير مطبوعة، بإشراف: د. روعة عارف جناد، جامعة تشرين، كلية التربية، الجمهورية العربية السورية، 2016م.
3. خطاب، ناصر جمال، والحديدي، منى: تعليم التفكير للطلبة ذوي صعوبات التعلّم، دار اليازوردي، عمان، 2008.
4. دو بونو، إدوارد: تحسين التّفكير بطريقة العبّقات السّت، تر: عبداللطيف الخياط، دار الإعلام، الأردن، عمان، ط2، 2011م.

¹ - أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، ص730.

5. صفوة، نجدة فتحي: إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، مطبعة الحكومة، بغداد، ط1، 1945م.
6. عبد الله، د. محمد قاسم، الصحة النفسية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1997م.
7. أبو ماضي، إيليا: الأعمال الشعرية الكاملة، جمع الشعر وقدم له: د. عبد الكريم الأشر، مكتبة الكويت الوطنية، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط1، 2008م.
8. المتني، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي: ديوان المتني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
9. الناعوري، عيسى: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1977م.

الكتابة الأكاديمية وتجربة كلية اللغات والإدارة في تعليمها عن بعد خلال جائحة كورونا

في الفصل الدراسي الثاني 2020-2021م

Academic writing and the experience of the Faculty of Languages and Management in its distance education during the Corona pandemic in the second semester 2020-2021

د. محمد عبد الرحمن إبراهيم، الأستاذ المساعد بكلية اللغات والإدارة (IIUM) الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

Mohamed Abdelrahman Ibrahim.Malaysia, International University Malaysia (IIUM)

ملخص:

تتناول هذه الدراسة تجربة كلية اللغات والإدارة بالجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، وذلك في تعليم مقرر الكتابة الأكاديمية لطلبة قسم اللغة العربية إبان جائحة كورونا. وقد عوّل الباحث على المنهجين الوصفي والتحليلي. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها: تتمثل إيجابيات تجربة كلية اللغات والإدارة في إتاحة الفرصة أمام الدارسين لاكتساب مهارة إدارة الوقت، وتعلم الاعتماد على النفس، والتدريب على التفكير الناقد. أما سلبيات هذه التجربة، فمنها: ضعف التفاعل بين المعلم وطلابه، وافتقاد العلاقة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا، الكتابة الأكاديمية، التعليم عن بُعد، العنوان، ملخص البحث، محتويات البحث، الخاتمة.

Abstract

This study deals with the experience of the Faculty of Languages and Management at the International Islamic University-Malaysia, in teaching the academic writing course to students of the Arabic Language Department during the Corona pandemic. The researcher relied on the descriptive and analytical approaches. The study reached several results, including: The advantages of the Faculty of Languages and Management experience are in providing the students with the opportunity to acquire time management skill, learn self-reliance, and training in critical thinking. As for the negatives of this experience, they are: weak interaction between the teacher and his students, and the lack of social relationship.

Keywords: Corona pandemic, academic writing, distance teaching, title, research summary, research contents, conclusion.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وأما بعد:

فغني عن البيان أن جائحة كورونا قد تفشّت في مدينة ووهان الصينية في شهر ديسمبر عام 2019م. ولقد أَلقت الجائحة ظلالها على كل مناحي الحياة في العالم بأسره. ويأتي قطاع التعليم في مقدمة تلك القطاعات التي واجهت مصاعبَ جمةً؛ كان من بينها إغلاق المدارس والجامعات، وتبنيّ منظور التعليم التباعديّ الذي اعتمدته جامعة لندن عام 1858م، ثمّ تبعتها جامعة إلينوي الحكومية عام 1874م¹. وتتغيّأ هذه الورقة استجلاء تجربة متواضعة للباحث في مجال تعليم مقرر " الكتابة الأكاديمية ARCO 1104 " المقدم لطلاب كلية اللغات والإدارة، فرع باغو (Pagoh)، في ولاية جوهور (Gohor) بماليزيا، إبان الفصل الدراسي الثاني عام 2020/2021م. وقد اعتمد الباحث على المنهجين: الوصفيّ والتحليليّ.

بدايةً، لقد استقر في أذهان الباحثين أن الكتابة الأكاديمية لها عملياتها التي ينبني بعضها على بعض، ولها مهاراتها التي يستغرق تعليمها وترسيخ أسسها في عقول الدارسين وقتاً طويلاً. ولا يعزب عن بال المعنيين بالتعليم الجامعي شيوع الأخطاء التي تعتور الكتابة الأكاديمية، وخاصةً لدى طلاب المرحلة الجامعية الأولى. فإن كان تعليم مقرر الكتابة الأكاديمية -وجهاً لوجه- لهؤلاء الطلاب يحتاج إلى تدريب ومثابة من قبلهم، ويحتاج إلى أناة وحسن تخطيط ومتابعة من جانب الأساتذة، وذلك في الأحوال العادية، فما بالك بتعليم هذا المقرر في أثناء جائحة كورونا.

ويروم الباحث استجلاء تجربة الكلية في هذا الصدد. ومن ثم، تأتي هذه الورقة البحثية في مقدمة، مُزْدفةً بأربعة محاور، ومذيلاً بخاتمة وقائمة المصادر، وتدور المقدمة حول المحاور الآتية:

1. التعليم عن بعد: تعريفه، وسماته
2. الكتابة: تعريفها، وأنواعها، ومراحلها
3. الكتابة الأكاديمية: تعريفها، وأهدافها، ومواصفاتها، ومهاراتها
4. الإطار العام لتجربة كلية اللغات والإدارة في تعليم الكتابة الأكاديمية

المحور الأول

التعليم عن بعد: تعريفه، وسماته

1. تعريف التعليم عن بُعد

ثمة تعريفات كثيرة ذكرها الباحثون في هذا الصدد، منها: أنّ التعليم عن بُعد هو نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله بدلاً من انتقاله إلى المؤسسة التعليمية، وهو مبني على أساس إيصال المعرفة والمهارات والمواد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلم بعيداً أو منفصلاً عن المعلم أو القائم على العملية التعليمية، وتُستخدم

¹ ينظر: النغميش، جودة التعليم عن بعد بين الواقع والمأمول، شبكة المعلومات (www.al-jazirah.com) تاريخ التصفح: 21-6-2021.

التكنولوجيا من أجل ملء الفجوة بين كلٍ من الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجهاً لوجه¹. وقد وقع اختيار الباحث على هذا التعريف؛ لأنه يبرز النقاط الآتية:

1. كُنْه العملية التعليمية.
 2. طرفا العملية التواصلية.
 3. طريقة التواصل.
 4. الداعي إلى تبني التعليم عن بعد.
- سمات التعليم عن بعد:

تُكْمَن سمات التعليم عن بعد في النقاط الآتية:

1. الانفصال الجسدي (التباعد) بين مجموعة من المشاركين في عملية التعليم.
2. توفر قناة تواصل ثنائي، يتم من خلالها التواصل المزدوج بين المشاركين في العملية التعليمية.
3. تقديم المنهج من قِبَل مؤسسة بشكل منظم ومقصود؛ لأغراض تعليمية.
4. وجود وسيط تقنيّ بديل عن الحضور المباشر، ويتيح تبادل الوثائق والملفات والمعلومات².

المحور الثاني

الكتابة: تعريفها، وأنواعها، ومراحلها

أولاً: تعريف الكتابة

من تعريفات الكتابة ما يلي:

1. رسم الحروف وكتابتها بشكل واضح، بحيث يسمح للقارئ بالتعرف إليها، وفهم مدلالاتها ومضامينها³.
2. الكتابة ترجمة للفكر، ونقل للمشاعر، ووصف للتجارب، وتسجيل للأحداث، وُقْف رموزٍ مكتوبةٍ متعارفٍ عليها بين أبناء الأمة، ولها قواعد راسخة، وأسس علمية تُراعى، بما يتيح لها التعبير عن إنجازات الأمة من علوم ومعارف وخبرات...⁴.

ويلحظ أن التعريف الثاني أشمل؛ لأنه يتناول النقاط الآتية:

- كُنْه الفعل الكتابي.

¹ ينظر: الهمامي، حمد بن يوسف وإبراهيم، حجازي، التعليم عن بعد: مفهومه وأدواته واستراتيجياته (الرياض: مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، 2020م) ص 14.

² ينظر: الشمري، عقيل بن حامد الزماي، التعلم عن بعد: أسس ومبادئ البيئة التعليمية المثلى من منظور اللسانيات النفسية لاكتساب اللغة الثانية، ضمن: تعليم اللغة العربية عن بعد، تحرير: زكي أبو النصر البغدادي (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، 2015م) ص 26.

³ ينظر: النجار، محمد رجب ومصطوح، سعد عبد العزيز والهاوري، أحمد إبراهيم، الكتابة العربية: مهاراتها وفنونها (الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 2001م) ص 14-15.

⁴ النجار، فخري خليل، الأسس الفنية للكتابة والتعبير (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2011م) ص 69.

- الإشارة إلى الامتداد الخطي المؤلف من حروف معينة.

- حروف المباني متفق عليها من قِبَل أفراد الجماعة اللغوية.

- عملية الكتابة لها أسس علمية يجب أن تُراعى.

- الهدف من الفعل الكتابي.

ثانياً: أنواع الكتابة

إن المتأمل لجانب مما تزخر به المكتبة العربية من مؤلفات، يلاحظ أنه يمكن أن تُقسّم إلى الأقسام الآتية¹، على الرغم من اختلاف التقسيم لدى بعض المعنيين بفنون الكتابة ومهاراتها:

1. كتابة قائمة على الجمع: وفيها يجمع الكاتب موضوعات مختلفة أو مُوحّدة، ويضم بعضها إلى بعض، ومنها: "الكامل في اللغة والأدب" للمبرد، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني...إلخ.

2. الكتابة الإبداعية: وفيها يكتب المؤلفون بأسلّات أقلامهم ما يعنّ لهم من تجارب فنية في جنس أدبي ما، وفق قواعد وأسس خاصة بكل جنس من الأجناس الأدبية، مثل: الشعر، والرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية...إلخ. ومن هذه المؤلفات ما يلي:

ديوان أبي الطيب المتنبي، "زينب" لمحمد حسين هيكل، "تلميذ طب" ليوסף إدريس، و"أهل الكهف" لتوفيق الحكيم...إلخ.

3. الكتابة (الأكاديمية) المنهجية تشمل ما يُنشر في مجلات علمية محكمة، ومشروعات السنة النهائية (FYP) ورسائل الماجستير والدكتوراه...إلخ. وتسير الكتابة- هنا - وفق خطة معينة، يحدد فيها الباحث أو الطالب مشكلة البحث، والمنهج...إلخ، للوصول إلى نتائج علمية².

4. الكتابة الوظيفية: تتعلق بحاجة المرء في سياق العمل أو التعامل كتابياً مع الدوائر الحكومية وغيرها، ويتوخّى فيها الكاتب استعمال لغة رسمية، لها قواعد مُحدّدة، وقوالب خاصة، منها: خطابات الشكوى، والدعوة إلى حضور الاجتماعات، ومحاضر الاجتماعات، والمذكرات، والتقارير...إلخ.

وتجدر الإشارة-في هذا الصدد- إلى طائفة من المصطلحات المرتبطة بالأقسام المشار إليها آنفاً؛ لاستجلاء أبرز قسّماتها؛ حتى لا تختلط المفاهيم في أذهان الطلاب:

1. الإعداد: التهيئة والتحضير، والمعنى -هنا- فضفاض وعام، فكل نوع من أنواع الكتابة بحاجة إلى إعداد وتهيؤ، على النحو الذي نراه على أغلفة بعض الكتب أو الواجبات الصّفيّة، حيث تُتبع باسم من أعدها.

¹ ينظر: شبكة المعلومات، www.wepal.net، و www.dorar-aliraq.net، و www.islamweb.net، و www.for9a.com تاريخ التصفح: 17-6-2021.

² ينظر: محمد، حسين علي، التحرير الأدبي: دراسات نظرية ونماذج تطبيقية (الرياض: مكتبة العبيكان، ط 7، 2011م) ص 11-12.

2. التدوين: يُعدُّ الخطوة الأولى على درّب الكتابة، وهو وسيلة المعرفة والتثقيف. ومن ثمّ، فإن التدوين يسبق الإنشاء¹ على النحو الموضّح لاحقاً. والتدوين مصطلح قديم مرتبط بزوغ نجم الحضارة الإسلامية. وبعث من جديد ليشير إلى عدة معانٍ، منها: المدونات اللغوية (courps)، والمدونات العنكبوتية (blogs). ويهمننا في هذا المقام الإشارة إلى المدونات التعليمية، وهي صحيفة مُصغّرة يحررها المعلم بوصفه مُدوّنًا عبر شبكة المعلومات، وتتضمن منشورات تعليمية، ومقالات في تخصص ما، وتأتي مرتبة ترتيباً زمنياً، تبدأ بالأحدث فالأقدم².
3. التعبير: القدرة على ترجمة (نقل) ما يجري بخاطر الكاتب، بعبارات متناسقة، تؤدي إلى وحدة فكرية منتظمة، بلغة عربية فصيحة، وتندرج تحتها الكتابة الأكاديمية (المنهجية)، وكل ما يكتبه الطلاب في المراحل الأولى من تعليمهم، وأقصد بذلك ما يُكتب بعيداً عن الإبداع- في مادة التعبير في المدارس الابتدائية على سبيل المثال.
4. الإنشاء: القدرة على صياغة العبارات، والتعبير عن المشاعر، والتحليق في آفاق الخيال المبدع، باستخدام لغة أدبية راقية. وعليه، تأتي الكتابة الإبداعية تحت هذا القسم.
5. التصنيف: تمييز الأشياء، بعضها عن بعض، كأن يجمع المصنّف مصطلحات الفقه أو النقد الأدبي في معجم، فمحتوى المعجم مأخوذ من مصادر كثيرة، قام المصنّف باختيار المناسب منها، وترتيبها على نحو خاص مثل الترتيب الأبجدي. وبالتالي، فهذا مصطلح خاص وليس عاماً. وبناءً على هذا، فإن التصنيف -في رأي الباحث- يندرج تحت الضرب الأول من الكتابة، أي الكتابة القائمة على الجمع.
6. التأليف: هو الوصل، وجمع ما تفرّق، وفي رأي الباحث أنه أعم من التصنيف، ويقع في إطار الكتابة الإبداعية؛ فالأعمال الأدبية من وحي خيال المبدع، وهي خلق أدبيّ.
7. التحرير: أورد ابن منظور في معجم "لسان العرب" في مادة "حرّر" قوله إن: "تحرير الكتابة: إقامة حروفها، وإصلاح السقط..."³. ومن هنا، ذهب الكبير إلى أنّ تحرير الكتابة يُراد به "تخليصها من العيوب كافة؛ عيوب الأخطاء الإملائية، وأخطاء الأساليب والتراكيب، وأخطاء المعاني والصيغ..."⁴. والتحرير -بمفهومه المعاصر- عملية يقوم بها المحرر (editor)، وذلك بتخطيط المواد والمحتويات والنصوص وتنظيمها وتدقيقها، والتأكد من وضوح الأفكار ودقتها؛ حتى تصبح جاهزة للنشر. ومن أمثلة ذلك ما يقوم به الأستاذ الجامعي من تحرير كتاب ما وحده، أو من خلال تشكيل لجنة تقوم باختيار عنوان للكتاب، وكتابة وجمع مقالات يستوعبها هذا العنوان، فيكتب المسؤولون عن التحرير مقدمة تفصح عن محور / محاور الكتاب وأهدافه، ويُعدّون فهرساً يتضمن عناوين المقالات العلمية وأرقام صفحاتها، وفي كل موضوع يُذكر اسم الباحث -على سبيل المثال- في الهامش. ومن مجالات التحرير أيضاً ما ينهض به القائمون على إعداد كتب المؤتمرات. ومن ثمّ، يقع تحرير الكتب وفقاً للمفهوم السابق- في إطار الكتابة الأكاديمية.

¹ ينظر: الشنطي، محمد صالح، فن التحرير العربي: ضوابطه وأمنائه (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط 2001، 5م) ص 20.

² ينظر: العجرمي، سامح، المدونات الإلكترونية التعليمية، شبكة المعلومات (www.samehjamil.wordpress.com) تاريخ التصفح: 22-6-2021.

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حرر)، (بيروت: دار مكتبة الهلال، د.ط، د.ت) الجزء الرابع، ص 189.

⁴ الكبير، مسفر بن محماس، التحرير العربي ومهارات الكتابة (الدمام: مكتبة المتنبي، ط 2، 2014م) ص 9.

ثالثاً: مراحل عملية الكتابة

تمرُّ الكتابة بالمراحل الآتية:

1. تحديد قالب الكتابة (مقال / رسالة ماجستير أو دكتوراه... إلخ).
2. اختيار الموضوع، وبلورة العنوان على نحو واضح وموجز من دون خلل... إلخ.
3. التحديد الأولي للمحاور أو الأفكار الرئيسة.
4. جمع المادة العلمية المتصلة بالموضوع.
5. تنظيم الأفكار، وصوغها بأسلوب مناسب، وفقاً للأساليب المتعارف عليها، وهي الأسلوب العلمي، والأسلوب الأدبي، والأسلوب العلمي المتأدب؛ وذلك للوصول إلى خاتمة يذكر فيها الكاتب أو الباحث النتائج التي توصل إليها.
6. مراجعة المسوّدة الأولى؛ لتصحيح ما قد يعتورها من خلل. ويُفضل ترك المسودة يوماً أو يومين، ثم العودة إليها مرةً أخرى، فقد تمسها يد التغيير.
7. عرض العمل المكتوب على أصحاب التخصص؛ لإبداء الرأي، وذلك يخضع لعوامل كثيرة منها: الوقت، والأهمية... إلخ.

المحور الثالث

الكتابة الأكاديمية: تعريفها، وأهدافها، ومواصفاتها، وشروطها

أولاً: تعريف الكتابة الأكاديمية

1. هي الكتابة التي يُطلب من كل الطلبة والأساتذة الجامعيين والباحثين إنجازها، ولهذه الكتابة طابع أساسي مميز، هو أنها مُوجَّهة بصفة عامة إلى الفئة نفسها من القراء، ومن خصائصها استعمال مصطلحات خاصة بالمجال الذي يُبحث فيه من طرف المرسل والمتلقي، بالإضافة إلى الاستناد إلى تحليل مُفصّل¹.
 2. هي أسلوب ونسق لغوي يتكوّن من أدوات وتراكيب لفظية، تُستخدم في كتابة الرسائل والأطروحات والبحوث والدراسات والتقارير والملخصات العلمية².
- ويرى الباحث أن الكتابة الأكاديمية ضُرب معين من ضُروب الكتابة التي تُنجز في رحاب الجامعات وغيرها، حيث يستخدم الباحث أو الطالب لغة علمية مُنضبطة، تتوخى التحليل والتفسير والبرهنة، وتتطلب قدرات عقلية تتسم بالتفكير الناقد، ويتجلى هذا النوع من الكتابة فيما يُقدّم في رسائل الدكتوراه والماجستير، ومشروعات السنة النهائية، والمقالات العلمية المحكمة، والإجابات الخاصة بالأسئلة المقالية في الاختبارات، وما يقدمه الطلبة من واجبات فصلية، وغير ذلك.

ثانياً: أهداف الكتابة الأكاديمية

تتوخّى الكتابة الأكاديمية تحقيق عدة أهداف، منها ما يلي:

¹ ينظر: الدبوري، محمد، منهجية الكتابة الأكاديمية والكتابة المهنية، ترجمة: عبد الجليل ناظم (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط1، 2008م) ص 23-24.

² ينظر: الورد، حارث سعيد، الكتابة الأكاديمية: نحو مزيد من الاهتمام، شبكة المعلومات (www.ahewar.org) تاريخ التصفح: 2021-6-19.

1. التعبير عن الأفكار بلغة واضحة خالية من الأخطاء.
2. ممارسة التفكير المنطقي الناقد.
3. الوقوف على ما يميّز كلّ نوع من أنواع الكتابة الأكاديمية شكلاً ومضموناً (مقال / مراجعة مقال / خطة البحث / رسالة ماجستير ...إلخ).
4. القدرة على إنجاز عمل ما في نطاق الكتابة الأكاديمية.
5. استخدام العبارات الانتقالية على نحو دقيق.

ثالثاً: مواصفات الكتابة الأكاديمية

سوف يصنف الباحث هذه المواصفات إلى صنفين: مواصفات عامة، وأخرى دقيقة.

من أبرز ما يميّز الكتابة الأكاديمية- في هذا الصدد - ما يلي¹:

1. الوحدة والتجانس: تكون عناصر الموضوع مكتملة؛ وهذا يتطلب استبعاد كل ما لا علاقة بالموضوع.
2. الوضوح والشفافية: لا بد من أن تكون الأفكار واضحة في عقل الباحث؛ ليلبغ مراميه.
3. التسلسل والترابط: تتابع الفقرات وتتواشج على نحو يحكمه المنطق.
4. السلامة اللغوية: الأسلوب بمنأى عن الأخطاء كافةً.
5. الموضوعية: ترك الحقائق تعبر عن نفسها من دون تلوينها بميول شخصية وأهواء النفس.
6. الإقناع: عرض المعلومات والبيانات بطريقة تساعد القارئ على قبولها والوثوق بها.
7. الدقة: التثبت عند نقل المعلومات والبيانات والإحصاءات من مظاهرها.
8. العقلانية: تقديم الأدلة والبراهين، وتجنّب المبالغات.
9. الرسمية: استعمال الفصحى، والنأي عن العامية، والألفاظ الدخيلة مثل: الخطاب المؤدج.
10. الأمانة العلمية: نسبة الأقوال إلى أصحابها، والبعد عن أي نوع من أنواع الانتحال.

ب- شروط الكتابة الأكاديمية:

يتطلب الالتزام بشروط الكتابة الأكاديمية أن يمتلك الباحث أو الطالب عدة مهارات؛ كي يعمل بمقتضى هذه الشروط. وتعرّف المهارة بأنها أداء مهمة ما أو نشاط معيّن بصورة مقنعة، وبأساليب والإجراءات الملائمة، وبطريقة صحيحة. وبعبارة أخرى، هي القدرة على إنجاز مهمة بكيفية محددة، وبدقة متناهية، وسرعة ملحوظة². ويرى الباحث أنه

¹ ينظر:

- النجار، فخري خليل، الأسس الفنية للكتابة والتعبير (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2011م) ص.131

- الشهراني، سعد بن علي، الكتابة الأكاديمية: خصائصها ومتطلباتها اللغوية، شبكة المعلومات، (www.docs.google.com) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.

² ينظر: الخيكاني، هند محمد رضا، مفهوم المهارة، شبكة المعلومات (www.uobabylon.edu.iq) تاريخ التصفح: 2021-6-20.

من الأفضل أن يتم بيان شروط الكتابة الأكاديمية من خلال نوع معين من أنواعها؛ تيسيراً للفهم، وسيكون ذلك من خلال توضيح متطلبات كتابة رسالة ماجستير.

ويمكن إجمال المهارات في النقاط الآتية:

- مهارات تنظيم النص.
- مهارات الأفكار.
- مهارات الأسلوب والصحة اللغوية.
- مهارات التتابع.
- مهارات الإخراج (التصميم).
- مهارات التوثيق¹.

أولاً: العنوان

بدايةً، يُنصح الدارس أو الباحث بقراءة المصادر والمراجع المتعلقة بمجال يروم الكتابة فيه. فإن لم يُوفق في الوصول إلى عنوان جديد، فيمكن أن يجد مُبتغاه في المقترحات الواردة في خاتمة البحوث، حيث يقوم باختيار ما يناسب مستواه وميوله.

وتتضح شروط كتابة العنوان فيما يلي:

1. الإيجاز غير المخلّ.
2. استخدام الجمل الخبرية، وتجنب الجمل الاستفهامية.
3. عدم كتابة كلمات زائدة.
4. الوضوح والدقة.
5. البعد عن الأساليب المجازية.
6. تجنب الأخطاء الإملائية.
7. ذكر حدود البحث وفقاً لطبيعة الموضوع.
8. أن يكون العنوان دالاً على محتويات البحث.

¹ ينظر: الدمرداش، نعمت محمد محمد خلف، برنامج تدريبي في الثقافة اللغوية لتنمية بعض مهارات القراءة للدراسة ومهارات الكتابة الأكاديمية للطلبة المعلمين غير المتخصصين، مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، العدد 16، يونيو 2014، ص 469-471.

ثانياً: ملخص البحث

ثمة أنماط معينة تحددها الجامعات، وذلك على النحو المنصوص عليه في الدليل الخاص بكتابة البحوث في كل جامعة. وعليه، فسوف يقتصر البيان -هنا- على النمط المتبع في كلية اللغات والإدارة. وتتجلى مهارات الباحث في كتابة ملخص البحث على النحو الآتي:

1. كتابة الملخص في فقرة واحدة تشمل الإشارة إلى موضوع البحث، وأهم أهدافه، ومشكلته، ومنهجه. وإن كانت الدراسة كمية، يشير الباحث إلى أداة البحث ومجتمع العينة وعدد أفرادها، ويُدِيل الملخص بأهم النتائج. وتكون هذه الفقرة من 175 كلمة إلى 200¹.
2. استخدام لغة واضحة مكثفة بعيدة عن الترهّل اللفظي.
3. تجنّب الأخطاء اللغوية والطباعية.
4. استخدام علامات الترقيم بدقة.
5. استعمال صيغة المبني للمعلوم، فيقال - على سبيل المثال- اتبع الباحث المنهج الوصفي.
6. عدم كتابة اختصارات غير مفهومة.
7. استخدام جمل قصيرة، وتقسيم الجمل الطويلة إلى جمل قصيرة.

ثالثاً: محتويات البحث (الفهرس)

بدايةً، يتعيّن على الباحث اختيار التقسيم المناسب لمحتويات بحثه؛ فالفهرس مرآة للتقسيم المختار، ويُنصح الباحث بتقسيم البحث إلى باين، إن كان للبحث جانبان: نظري، وتطبيقي، ثم يقسّم كل باب إلى فصول، ثم مباحث، ثم مطالب. وتأتي مهارات كتابة المحتويات (الفهرس) على النحو الآتي:

1. اختيار العناوين الدالة الموجزة المناسبة، فمن العناوين الممجّعة ما يردّ أحياناً -على سبيل المثال- في بعض مشروعات السنة النهائية حين يكتب الطلاب (الفصل الأول: التمهيد)؛ فالأولى أن يكون على أي نحو من الأنحاء الآتية: الهيكل العام للبحث / الإطار العام للبحث / المقدمة. وإذا كتب الطالب "المقدمة" فالعنوان الجانبي الأول هو: تمهيد أو توطئة؛ حتى لا يكرر كلمة "مقدمة".
2. ترتيب العناوين الجانبية للفصل الأول على نحو صحيح، فإن كانت الدراسة نوعية، فالعناوين على النحو الآتي: تمهيد أو مقدمة أو توطئة كما سبقت الإشارة / مشكلة البحث / أسئلة البحث / أهداف البحث / الدراسات السابقة / منهج البحث / حدود البحث / مصطلحات البحث. أما إن كانت الدراسة كمية، فتأتي العناوين الجانبية هكذا: تمهيد أو مقدمة أو توطئة / مشكلة البحث / أسئلة البحث / أهداف البحث / أهمية البحث / حدود البحث / مصطلحات البحث. ثم تتوالى الفصول حسب الدراسة.
3. استخدام علامات الترقيم بدقة؛ فقد لوحظ أن بعض الطلاب يضعون نقطة في نهاية العناوين، ومنهم من يضع هذه العناوين بين قوسين. وهناك من يكتبها بخط غامق ويضع تحتها خطاً.
4. مطابقة العناوين المثبتة في الفهرس للعناوين نفسها الواردة في متن البحث، أي تلافيفه.

¹ ينظر على سبيل المثال: شبكة المعلومات، (www.mobt3ath.com) تاريخ التصفح: 19-6-2021م.

رابعاً: الأبواب والفصول:

تتمثل شروط كتابة الأبواب والفصول في النقاط الآتية:

1. وضوح العبارات ودقتها.
2. استخدام طرق متنوعة عند نقل المعلومات من المصادر، ومنها: النقل التام، وإعادة الصياغة، والتلخيص، والاختصار، والخطوط العريضة¹.
3. تنوع الجمل، باستعمال الجمل الاسمية والفعلية، والجمع بين الأنماط المختلفة لهذين النوعين من الجمل، وهي: الجملة البسيطة، والجملة الممتدة، والجملة المتعددة، والجملة المركبة².
4. استخدام العبارات الانتقالية في المواضيع المناسبة³.
5. عدم بدء الفقرة بمقتبس من مصدر ما، وكذلك عدم إيراد المقتبس في نهاية الفقرة؛ فلا بد من بروز شخصية الباحث من خلال حسن التمهيد والتحليل والتعقيب.
6. اتباع منهجية موحدة عند توثيق المصادر والمراجع؛ فهناك من يجمع بين التوثيق في المتن والهامش. وعند اختيار طريقة التوثيق، فيجب أن تُذكر بيانات المصادر على نحو مُتسق؛ فهناك من لا يذكر رقم الطبعة أو دار النشر أو التاريخ، فإذا كانت البيانات غير مذكورة في المصدر، فالباحث يكتب: د. ط، د. ن، د. ت. ولا بد من اطلاع الباحث على دليل جامعته؛ للوقوف على طريق التوثيق المعمول بها.
7. استهلال كل فقرة بجملة رئيسة، متبوعةً بجمل توضحها، مدعومةً بالأدلة والبراهين والمقتبسات من المصادر المتعلقة بالموضوع.
8. كل فقرة تتناول فكرةً مستقلة.
- 9- ضبُط الآيات والأحاديث وأبيات الشعر بالشكل، وكذلك الكلمات التي قد تؤدي إلى اللبس.
10. مراعاة التوازن - قدر المستطاع - في حجم الفقرات.
11. تجنب التكرار والإطناب.

خامساً: كتابة الخاتمة

تتضمن الخاتمة -وفقاً لمقتضيات الدراسة النوعية- أربعة عناصر، هي: خلاصة البحث، والنتائج، والتوصيات، والمقترحات. وفيما يلي أهم الشروط المطلوبة في هذا الصدد:

¹ ينظر: إبراهيم، محمد عبد الرحمن، البحث العلمي: مقدمات وتطبيقات (كوالا لمور: د. ن، ط1، 2011م) ص 52-62.

² ينظر على سبيل المثال: المناصرة، حسين والأمين، عمر محمد والشامان، مسعد، أساسيات التحرير وفن الكتابة بالعربية (الرياض: مكتبة الرشيد- ناشرون، ط. 2007، 1م) ص 85-90.

³ ينظر: إبراهيم، محمد عبد الرحمن، دليل الطلاب إلى لغة البحث العلمي (كوالا لمبور: مركز البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط 1، 2009م) ص10.

1. تتطلب خلاصة البحث كتابة فقرة أو أكثر تُشعر القارئ بأنه وصل إلى نهاية المطاف؛ فيقوم الباحث بالإشارة إلى ما تناوله في فصول الرسالة، بإيجاز شديد، وبلغة سليمة مُكثَّفة؛ ليستقر في عقل القارئ ما وُردَ في تلافيف الفصول من خطوط عريضة، تعطي فكرة عامة عن البحث.
2. تُعرض النتائج مرتبةً حسب ورودها في فصول الرسالة بلغة واضحة سليمة من دون ذكر تفاصيل؛ لأن مواضعها الفصول السابقة.
3. لا تتضمن النتائج معلومات أو أدلة أو براهين جديدة لم يسبق أن ناقشها الباحث.
4. من الأفضل أن تُكتب النتائج في نقاط.
5. لا تشتمل النتائج على رسوم توضيحية أو غيرها.
6. تتضمن التوصيات إرشادات من شأنها تطوير العمل في القسم أو الكلية أو أي قطاع في الدولة، وذلك في ضوء من توصل إليه الباحث من نتائج.
7. المقترحات مقصورة على موضوعات جديدة مقترحة، لها علاقة بموضوع البحث الحالي، ويمكن أن يستفيد منها الباحثون لاحقاً ويكتبون فيها. وأخيراً، لا يجوز أن يخلط الباحث بين التوصيات والمقترحات، أو يكتهما تحت عنوان واحد.

سادساً: قائمة المصادر

تأتي شروط كتابة قائمة المصادر على هذا النحو:

1. كتابة العنوان في منتصف الصفحة من أعلى، وليس على اليمين، كما حال العناوين الجانبية، كما يفعل بعض الطلاب.
2. البدء بكتابة "القرآن الكريم" في حالة اعتماد الطالب عليه في دراسته.
3. تُرتَّب المصادر والمراجع ألفبائياً، باتباع الترتيب من 1 إلى نهاية المصادر.
4. اتباع طريقة توثيق المصادر المعتمدة في الكلية.
5. تبني طريقة مناسبة لترتيب المصادر، بأن تبدأ- على سبيل المثال- بالمصادر الحديثة ثم القديمة، أو القديمة فالأحدث، إن كان نوع البحث يتطلب ذلك. وقد يقسم الباحث المصادر وفقاً لمجالات البحث، ومن ذلك البدء بعلوم القرآن، ثم علوم الحديث، ثم الفقه...إلخ.
6. لا يُعْتَدُّ بأداة التعريف عند كتابة الألقاب مثل الشافعي، حيث يُكتب في حرف (الشين). وكذلك لا يُعتد بالكنية، فعندما تكتب: ابن فارس، فإنها ترد ضمن حرف (الفاء). وكما تمَّ بيانه يجب أن يتبع الطالب دليل الكلية أو الجامعة التي ينتسب إليها.

المحور الرابع

الإطار العام لتجربة كلية اللغات والإدارة في تعليم الكتابة الأكاديمية

أولاً: نبذة عن مقرر الكتابة الأكاديمية

- بدء تدريس المقرر: الفصل الدراسي الثاني 2020/2021م

- الطلاب المستهدفون: طلاب السنة الأولى في الفصل الدراسي الأول

- الرمز: ARCO 1104

- عدد الساعات المعتمدة: 3

- عدد ساعات التدريس أسبوعياً: 3

- عدد الساعات في ظل جائحة كورونا: 2

- عدد المحاضرات أسبوعياً: 2

- عدد المجموعات، وعدد طلاب كل مجموعة: 4 (الأولى: 39، الثانية: 39، الثالثة: 40، الرابعة: 24).

- عدد الطلبة: 153 طالباً وطالبة

- مُخرجات التعلّم: يمكن إجمالها في أنها ترمي إلى تطبيق لغة أكاديمية مناسبة عند كتابة ورقة بحثية وعرضها.

- مدخل التعليم: مدخل عمليات الكتابة، فالتركيز هنا - لا يكون على المنتج النهائي للكتابة، كما كان قبل عام 1963 م،

أي قبل ظهور هذا المدخل، بل ينصبّ الاهتمام على جميع عمليات الكتابة ومراحلها، بدءاً من مرحلة ما قبل الكتابة، وفي أثناء الكتابة، وبعدها.¹

- استراتيجيات التعليم: العصف الذهني والفصل المقلوب والتعليم التعاوني.

- تطبيقات التواصل: whatsapp, googleclassroom, googlemeet

- درجات التقييم المعمول به إبان جائحة كورونا: واجبات 40 درجة، مراجعة مقال 20 درجة، اختباران قصيران 20 درجة، تقديم خاص بأحد موضوعات المقرر 20 درجة.

- درجات التقييم المفترض: مُنتدى 10 درجات، واجب 20 درجة، مشاركة 5 درجات، اختباران قصيران 15 درجة، تقديم 20 درجة، تصور مبدئي لخطة البحث 30 درجة.

أهم محاور المقرر: يتناول المقرر موضوعات تدور حول بناء الجمل والفقرات، وكتابة مقال علمي، ورفد الطلبة بقدر كبير من الروابط والعبارات الانتقالية، وتقديم موضوعات في الإملاء مثل: مواضع كتابة الهمزة، وكتابة الألف اللينة، وعلامات التقييم، بالإضافة إلى كتابة التصور المبدئي لخطة البحث، وبيان مناهج البحث، وتوثيق المصادر، وكيفية كتابة نتائج البحث، وتنظيم قائمة المصادر...إلخ.

ثانياً: الخطوات الإجرائية لتدريس المقرر ومتطلباتها

تأتي هذه الخطوات على هذا النحو:

1. جمع المصادر من شبكة المعلومات، وإرسالها إلى الدارسين، عبر تطبيق واتساب (whatsapp).

¹ ينظر: العواد، عواد بن دخيل، المداخل المهارية، ضمن: مداخل تعليم اللغة العربية، تحرير: تركي بن علي الزهراني (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط 1، 2019م) 73-79.

2. توزيع موضوعات المقرر على الدارسين؛ لإعداد العروض التقديمية (point power).

3. تكليف الدارسين بإعداد العروض التقديمية من خلال العمل الجماعي؛ لإعلاء مهارات العمل بروح الفريق.

4. إرسال بنود التقييم (rubric) في الأسبوع الأول للمحاضرات؛ ليتسنى للدارسين الوقوف على أساليب التقييم ومتطلباته.

5. لتوضيح طريقة السير في شرح أحد الدروس، سيعرض الباحث الخطوات المتبعة في شرح موضوع: "كتابة المقال"، وذلك على النحو الآتي:

- إرسال مواد تعليمية خاصة بموضوع الدرس؛ ليقرأها الطلاب، استعداداً للمناقشة في أثناء المحاضرة.

- بدء المحاضرة بمناقشة المعنى اللغوي والاصطلاحي، من خلال توجيه الأسئلة؛ لسر مدى فهم الطلاب للموضوع.

- تقديم خلفية تاريخية موجزة جداً عن نشأة فن المقال على يد الفيلسوف الفرنسي ميشيل دي مونتيني (1533-1592م) في كتابه "محاولات" (Essais) (www.m.marefa.org، 2021)، وكيف تعرّف زوّاد النهضة في عالمنا العربي والإسلامي إلى فن المقال.

- بيان مكوّنات المقال، وكيفية كتابته.

- تقديم نموذج لمقال من إعداد الباحث، وبيان طريقة تحليله.

- تقسيم الدارسين إلى مجموعات، وتكليف المجموعة الأولى بكتابة مقدمة مقال بعد أن تحديد عنوانه، وقد أُسند إلى المجموعة الثانية كتابة الفكرة الرئيسة الأولى، وهكذا دواليك إلى أن أُختيرت مجموعةً لكتابة الخاتمة. وطلب من الدارسين أن يكون العمل جماعياً، وأن يتبعوا استراتيجية العصف الذهني في المناقشة تمهيداً للكتابة. وفي نهاية المطاف، تأتي كل مجموعة وتعرض -عبر (googlemeet)- ما تمّ إعداده. ويقوم المعلم بتوجيه الدارسين إلى نقاط القوة في كتابتهم أولاً، ثم نقاط الضعف.

- تكليف الدارسين بكتابة مقال، والعمل -هنا- فرديّ.

- عرض بعض مقالات الطلاب، وحثهم على المناقشة الجماعية؛ للوقوف على الإيجابيات والسلبيات؛ ليتجنبوا الأخطاء التي وقعوا فيها.

- بيان طريقة المراجعة النقدية للمقال، وتقديم تطبيقات لها.

ثالثاً: تقييم تدريس مقرر الكتابة الأكاديمية عن بعد

تمخّضت تجربة تعليم الكتابة الأكاديمية -عن بعد- عن عدة إيجابيات وسلبيات، يأتي عرضها على النحو الآتي:

أ- الإيجابيات:

1. إتاحة الفرصة للطالب لإدارة وقته، فيما كانه أداء واجباته، والاطلاع على المصادر، ومشاهدة الفيديوهات

المتعلقة بالمقرر في الوقت المناسب له، وذلك على نحو أفضل مما كان عليه في التعليم المباشر، فلديه الآن متسع من الوقت.

2. تدريب الطلاب على الاعتماد على النفس، وفي ذلك تشجيع على التعلّم الذاتي، من خلال الاطلاع على المصادر المتنوعة، ومحاولة الفهم. ويوصى الطلاب بالاتصال بالمعلم للاستفسار عما تُغلق على أفهامهم.
3. اكتساب الدارسين مهارات البحث عن المصادر في شبكة المعلومات. كما يقوم أمين مكتبة الكلية بإلقاء محاضرة واحدة في هذا الصدد.
4. دعم مهارات التفكير لدى الدارسين، فعندما يُكَلَّفون بواجب، فإن ذلك يتطلب تفكيراً ناقداً. ومن ثمّ، فبإمكانهم تصفّح المواقع الإلكترونية، وغيرها للمساعدة في الإجابة. فعلى سبيل المثال، أحياناً يطرح المعلم عدة عناوين لمقالات علمية محكمة أو رسائل ماجستير، ويُكَلَّف هؤلاء الطلاب بتقييم تلك العناوين. وهنا، يتصفح الطلاب شبكة المعلومات؛ للوقوف على معايير صوغ العناوين، ويحاولون تقييمها في ضوء هذه المعايير.
5. تقليل الفروق الفردية بين الدارسين؛ من خلال إتاحة مصادر تختلف في درجة صعوبتها، وتلقّي استفسارات الدارسين أثناء المحاضرة أو في وقت لاحق من خلال الهاتف المحمول. بالإضافة إلى حثّ الطلاب على المناقشة الجماعية؛ لتبادل المعلومات والخبرات. ومن هنا، كُلف هؤلاء الطلاب بواجبات جماعية. وكل هذه الخطوات من شأنها رَأب صدع الفروق الفردية قدر المستطاع.
6. قيام المعلم بعرض مواد تعليمية متنوعة، منها: مقاطع الفيديو، والكتب الإلكترونية، والمقالات العلمية المحكمة، ورسائل الماجستير والدكتوراه. ولكن هذه المزيّة تتوافر أيضاً في التعليم المباشر عندما تُتاح الأجهزة الإلكترونية، والشبكة اللاسلكية (WiFi).

ب- السلبيات:

1. ضعف التفاعل بين المعلم والطلاب؛ فهناك عدد لا بأس به من الطلاب يركنون إلى عدم الإجابة عن الأسئلة، لافتقار التواصل وجهاً لوجه، وغالباً ما يجد المعلم استجابة دائمة من طالب معيّن.
2. افتقاد العلاقات الاجتماعية - إلى حد كبير - بين الطلاب من ناحية، وبينهم وبين المعلم من ناحية أخرى؛ فالمعلم - على سبيل المثال - يلتقي طلابه وجهاً لوجه في التعليم في قاعات المحاضرات، وفي طُرُقَات الكلية، كما أن مكتبه مفتوح لطلاب في ساعتي الاستشارة العلمية؛ وكل هذه الأمور تُعمّق الجانب الإنساني في التعليم.
3. قصور الانضباط الذاتي لبعض الطلاب، فلا يدري المعلم مدى انتباه الدارسين، ومدى التزامهم بمتطلبات العملية التعليمية.
4. يحتاج مقرر الكتابة الأكاديمية إلى تصحيح ما يكتبه الطلاب، وقيام المعلم - عن بعد - بهذا الأمر فيه مشقة كبيرة في أثناء التصحيح، وكذلك عند إرساله إلى الطالب؛ حيث يستغرق وقتاً أطول بخلاف التصحيح الورقي في المكتب، أو بصورة مباشرة في قاعة الدرس؛ ففي التعليم المباشر، قد يكلف المعلم الدارسين بكتابة فقرة قصيرة، ثم يقوم بتصحيح عدة إجابات بعد تسلّمها من الطلاب، ويناقش ما ورد فيها من أخطاء، من دون الإشارة إلى اسم الطالب؛ تجنباً لعامل الخجل الذي يتصف به بعض الطلاب، مما يدفعهم إلى الإحجام عن المشاركة.
5. تقليص وقت المحاضرة من ساعة ونصف إلى ساعة واحدة لا يتيح الوقت الكافي للتدريب على مهارات الكتابة.
6. تأخر بعض الطلاب في إرسال الاختبارات والواجبات؛ لأن هناك خللاً في شبكة الاتصال اللاسلكي (WiFi)، وهذا يُقدح في مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع الدارسين.

7. الإجابة عن أسئلة الاختبار في التعليم عن بعد، قد يؤدي إلى تدني مستوى مصداقية الدرجات الممنوحة للطلاب، فقد لاحظ المعلم اعتماد بعض الطلاب على المصادر المتوافرة في شبكة المعلومات، على الرغم من التنبيه على أنفسهم في الإجابة، وتجنب اللجوء إلى شبكة المعلومات وغيرها.

8. لا يُتاح تقسيم الطلاب - على نحو فعال - إلى مجموعات، وتكليفهم بالإجابة عن سؤال ما، بتبني استراتيجية العصف الذهني.

9. صعوبة شراء الطلاب لبعض الكتب المتعلقة بالمقررات الدراسية المنشورة من قِبَل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وعدم توفر خدمة البيع الإلكتروني لهذه المقررات التي بلغت ثلاثة وعشرين مقراً.

10. الإرهاق البدني الناشئ عن الجلوس ساعات طويلة أمام الحاسوب.

11. زيادة عدد الطلاب لا تتيح وقتاً كافياً للتطبيقات، ومناقشة الأخطاء، على نحو مفيد للطلاب؛ لأن هذا الأمر يزيد عدد المجموعات التي تقوم بالتقديمات.

الخاتمة

- أولاً النتائج:

تمخضت هذه الدراسة عن عدة نتائج، وهي:

1. فرضت جائحة كورونا واقعاً غير مسبوق على مستوى العالم، وقد أثر ذلك في جميع مناحي الحياة، وفي مقدمتها المؤسسات التعليمية التي تبنت التعليم عن بعد، بما له وبما عليه.
2. ثمة تقسيمات عديدة للكتابة بين جموع الباحثين، وقد تبنت الباحثة التقسيم الرباعي للكتابة، حيث يشمل الكتابة القائمة على الجمع، والكتابة الإبداعية، والكتابة المنهجية، والكتابة الوظيفية؛ وذلك وفقاً لعمليات الكتابة ومادتها.
3. تمخض عن التقسيم الرباعي المشار إليه أنفاً سبعة مصطلحات، وهي: الإعداد، والتدوين، والتعبير، والإنشاء، والتصنيف، والتأليف، والتحرير. وقد رام الباحث - قدر استطاعته - فض الاشتباك بينها، على الرغم مما قد يكون بين بعضها من تداخل.
4. للكتابة عمليات مترابطة، تُسمَّى بتحديد قالب الكتابة، ومروراً باختيار الموضوع وبلورة عنوانه، ووضع محاوره، وجمع مادته، وتنظيم أفكاره، وانتهاءً بمراجعته.
5. الكتابة الأكاديمية لها شروط تشمل العنوان، ومحتويات البحث، والأبواب والفصول، والخاتمة، وقائمة المصادر. ويجب التركيز على الجانب التطبيقي؛ ليترسخ الجانب النظري في عقول الدارسين.
6. ثمة إيجابيات وسلبيات لتجربة تعليم الكتابة الأكاديمية عن بعد في كلية اللغات والإدارة، ومن أهم الإيجابيات: إتاحة الفرصة أمام الدارسين لاكتساب مهارة إدارة الوقت، وتعلم الاعتماد على النفس، والتدريب على التفكير الناقد... إلخ. أما سلبيات هذه التجربة، فقد تمثلت في ضعف التفاعل بين المعلم وطلابه، وافتقاد العلاقات الاجتماعية، وقصور الانضباط الذاتي لبعض الطلاب، والقُدح في مبدأ تكافؤ الفرص بين الطلاب نتيجةً للخلل الطارئ على الشبكة اللاسلكية... إلخ.
7. فك الارتباط - قدر المستطاع - بين مفردات بعض موضوعات مُقررِي منهج البحث والكتابة الأكاديمية المقدمين من قِبَل كلية اللغات والإدارة، فلا داعي - على سبيل المثال - للإحاطة بكل طرائق توثيق المصادر على النحو المتبع لدى جمعية علم النفس

الأمريكية (APA)، وجمعية اللغات الحديثة (MLA)، حيث يقترح الباحث أن يُمسَّ الموضوع مسّاً خفيفاً، ويكتفى بالطريقة الأولى.

- ثانياً التوصيات:

1. عقد مزيد من المؤتمرات والندوات لعرض تجارب المؤسسات التعليمية في تعليم العربية عن بعد، ومناقشة التحديات التي تواجه المعنيين بهذا الأمر.
2. بدء خدمة البيع الإلكتروني للمقررات المنشورة من قبل الجامعة.
3. تقديم مقرر الكتابة الأكاديمية من خلال مستويين، يتضمن المستوى الأول أساسيات الكتابة الأكاديمية مع قدر مناسب من التطبيقات، ويكون هذا في الفصل الأول من السنة الأولى، ويُخصص المستوى الثاني للتطبيقات المكثفة؛ لترسيخ ما درسه الطلاب في المستوى الأول، ويُعمل به الفصل الثاني من السنة الأولى.
4. إقامة مسابقات من شأنها تعزيز مهارات الكتابة الأكاديمية، ومن موضوعاتها كتابة مقال، ومراجعة نقدية لمقال علمي محكم، أو لمشروع السنة النهائية، على مدار السنة الدراسية، حتى لا يُترك الطلبة نهياً للنسيان، وتُدار هذه الأنشطة من خلال جمعية الطلاب. ويجب أن تكون تلك الأنشطة على مستوى الجامعة أيضاً.
5. إقامة مسابقات محلية بين الجامعات الماليزية في هذا الصدد، وأيضاً على المستوى الدولي، كما هو شأن مسابقة المناظرة؛ فالكلام والكتابة صنوان.
6. افتتاح مختبر للكتابة، يتولّى شؤونه منسق، يتولّى الإشراف على التدقيق اللغوي والترجمة.
7. إعداد برنامج يُذاع عبر إذاعة الكلية، وذلك على غرار البرنامج الإذاعي الشهير "قل ولا نقل" الذي كان يُذاع عبر أثر إذاعة القاهرة في تسعينيات القرن الماضي، وكان يُقدم لمدة دقيقة واحدة تقريباً، متضمناً الاستخدام الصحيح لكلمة ما، وبيان الاستخدام الخطأ، وقُدِّمت مواده من حين لآخر خلال اليوم.
8. يجب ألا يتجاوز عدد الطلاب في كل مجموعة 20 طالباً؛ لإتاحة الوقت الكافي للتطبيقات الكتابية، وتصحيحها ومناقشتها جماعياً.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب

1. إبراهيم، محمد عبد الرحمن، دليل الطلاب إلى لغة البحث العلمي (كوالا لمبور: مركز البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط 1، 2009م).
2. البحث العلمي: مقدمات وتطبيقات (كوالا لمبور: د. ن، ط 1، 2011م).
3. الديوري، محمد، منهجية الكتابة الأكاديمية والكتابة المهنية، ترجمة: عبد الجليل ناظم (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط 1، 2008م).

4. الشمري، عقيل بن حامد الزماي، التعلم عن بعد: أسس ومبادئ البيئة التعليمية المثلى من منظور اللسانيات النفسية لاكتساب اللغة الثانية، ضمن: تعليم اللغة العربية عن بعد، تحرير: زكي أبو النصر البغدادي (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، 2015م).
5. الشنطي، محمد صالح، فن التحرير العربي: ضوابطه وأنماطه (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط5، 2001م).
6. العواد، عواد بن دخيل، المداخل المهارية، ضمن: مداخل تعليم اللغة العربية، تحرير: تركي بن علي الزهراني (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، 2019م).
7. الكبير، مسفر بن محماس، التحرير العربي ومهارات الكتابة (الدمام: مكتبة المتنبي، ط2، 2014م).
8. محمد، حسين علي، التحرير الأدبي: دراسات نظرية ونماذج تطبيقية (الرياض: مكتبة العبيكان، ط7، 2011م).
9. المناصرة، حسين والأمين، عمر محمد والشامان، مسعد، أساسيات التحرير و فن الكتابة بالعربية (الرياض: مكتبة الرشيد- ناشرون، ط. 2007، 1م).
10. ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار مكتبة الهلال، د.ط، د.ت).
11. النجار، محمد رجب ومصالح، سعد عبد العزيز والهواري، أحمد إبراهيم، الكتابة العربية: مهاراتها وفنونها (الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 2001م).
12. النجار، فخري خليل، الأسس الفنية للكتابة والتعبير (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2011م).
13. الهمامي، حمد بن يوسف وإبراهيم، حجازي، التعليم عن بعد: مفهومه وأدواته واستراتيجياته (الرياض: مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، 2020م).

ثانياً: المجالات العلمية المحكمة

1. الدمرداش، نعمت محمد محمد خلف، برنامج تدريبي في الثقافة اللغوية لتنمية بعض مهارات القراءة للدراسة ومهارات الكتابة الأكاديمية للطلبة المعلمين غير المتخصصين، مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، العدد 16، يونية 2014.

ثالثاً: شبكة المعلومات

1. الخبيكاني، هند محمد رضا، مفهوم المهارة، شبكة المعلومات (www.uobabylon.edu.iq) تاريخ التصفح: 2021-6-20.
2. الشهراني، سعد بن علي، الكتابة الأكاديمية: خصائصها ومتطلباتها اللغوية، شبكة المعلومات، (www.docs.google.com) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.
3. العجومي، سامح، المدونات الإلكترونية التعليمية، شبكة المعلومات (www.samehjamil.wordpress.com) تاريخ التصفح: 2021-6-22.
4. النغميش، جودة التعليم عن بعد بين الواقع والمأمول، شبكة المعلومات (www.al-jazirah.com) تاريخ التصفح: 2021-6-21.
5. الورد، حارث سعيد، الكتابة الأكاديمية: نحو مزيد من الاهتمام، شبكة المعلومات (www.ahewar.org) تاريخ التصفح: 2021-6-19.

6. (www.mobt3ath.com) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.
7. (www.mobt3ath.com) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.
8. (www.wepal.net) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.
9. (www.dorar-aliraq.net) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.
10. (www.islamweb.net) تاريخ التصفح: 2021-6-19م.
11. (www.for9a.com) تاريخ التصفح: 2021-6-17م.
12. (www.m.marefa.org ، 2021) تاريخ التصفح: 2021-6-25م.



